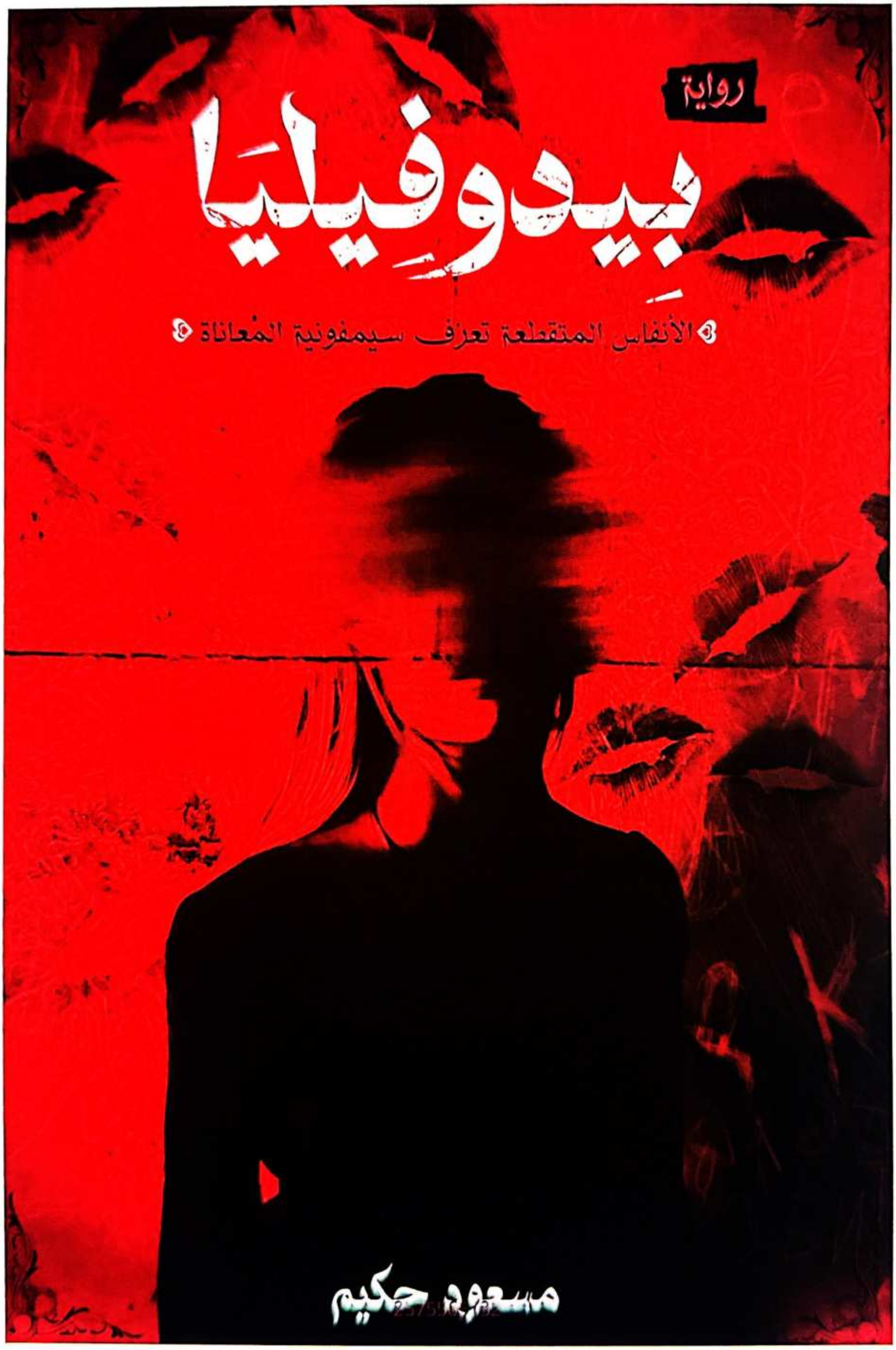
رواية
بيدوفيليا
الأنفاس المتقطعة تعرف سيمفونية المُعاناة
مسعود حكيم

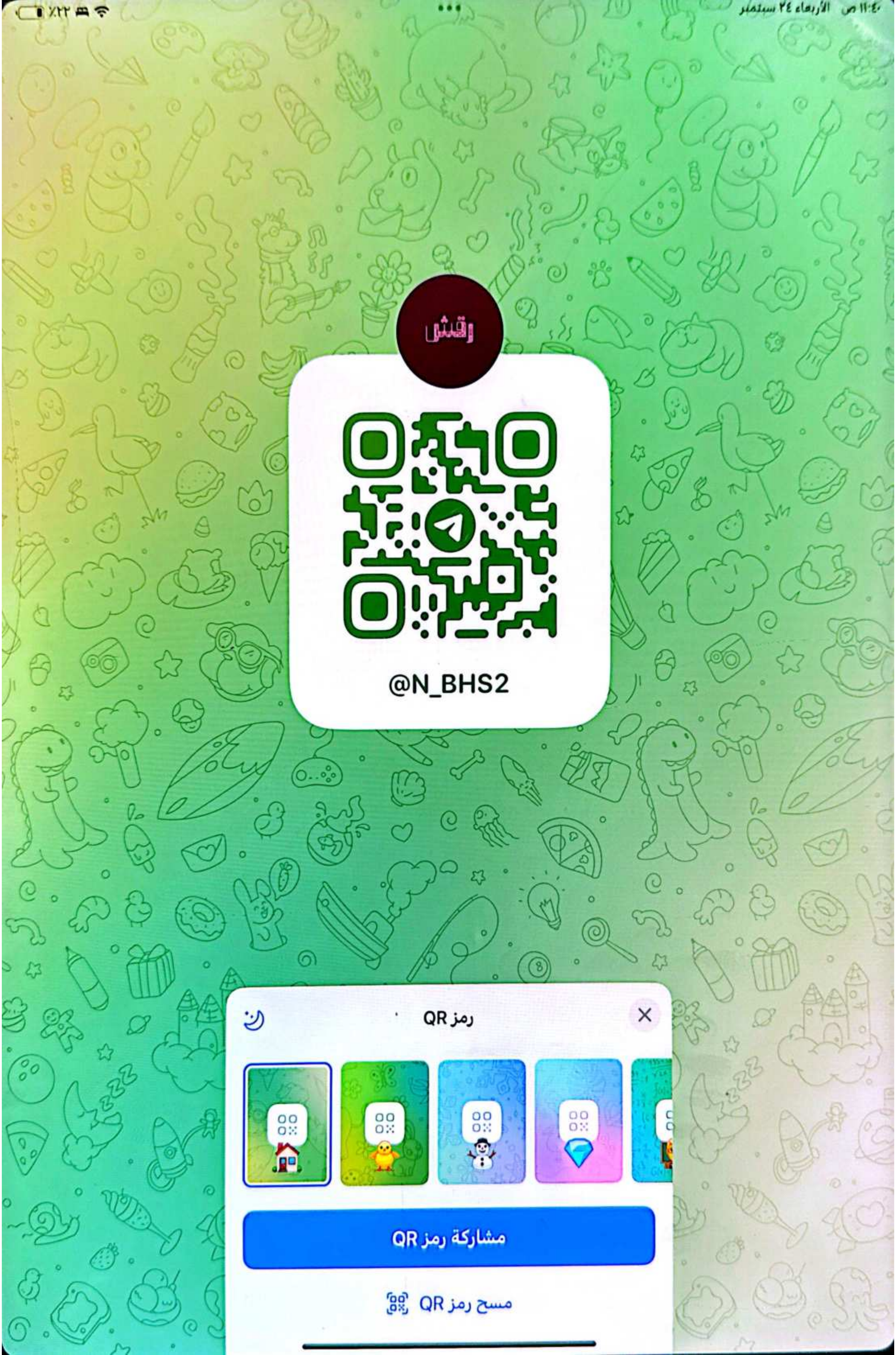
١١:٤٠ ص الأربعاء ٢٤ سبتمبر
٪٢٢
رقش
@N_BHS2
رمز QR
مشاركة رمز QR
مسح رمز QR

© مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع، ١٤٤٦هـ

حكيم، مسعود
بيدوفيليا: الوجه الآخر للشر / مسعود حكيم - ط١ - الدمام، ١٤٤٦هـ
٤٤٠ ص؛ ١٤ سم

رقم الإيداع: ١٤٤٦/١٥٠٨١
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٨٤٩٩-٧٠-٢

مركز الأدب العربي للنشر و التوزيع

الموقع الإلكتروني :
Www.Adab-Book.Com
مركز الأدب العربي
@Services_Book
@ServicesBook1
مركز الأدب العربي
adabarabic7
aladabce@gmail.com

مسؤول النشر :
للتواصل
0597777444

تنفيذ الطباعة
مطبعة الكتاب العربي - الرياض

المملكة العربية السعودية- الدمام
لطلب إصدارات مركز الأدب العربي
00966594447441

دولة الإمارات العربية المتحدة مكتبة الأدب العربي 00971569767989

جمهورية مصر العربية مركز الأدب العربي 00201120102172

الحقوق محفوظة : لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه ، أو تخزينه في نطاق استعادة جميع المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال بدون إذن سابق من الناشر .

جميع العبارات و الأفكار الواردة في الكتاب تعبّر عن وجهة نظر المؤلف دون أدنى مسؤولية على الناشر .

رواية

بِيدوفِيليَا

مسعود حكيم

m6.ut

1446هـ – 2025م

إهداء

إلى تلك الأرواح التي تُشرق بالنقاء، وتغفو على وسائد الطمأنينة..

إلى تلك الأرواح التي لم يُكتب لها سوى أن تعيش في ضوء الطفولة، بعيدًا عن ظِلال الألم..

إلى تلك الأرواح التي تستحق الأمان كما تستحق الحياة.. ولكنهم تعثّروا بشهوات الكِبار...

تنويه

هذه الرواية من أحداث ليست حقيقية وكذلك أسماء الشخصيات لا تمت بصلة للواقع وأيضاً أسماء المدن المذكورة في هذه الرواية، وأي تشابه في الأسماء أو الأحداث فهو من محض المصادفة لا أكثر.

قم بتشغيل الموسيقى من خلال مسح الباركود

تمهل...

إن كان فهمك يقف عند حدود الأفق المنظور، فعليك إعادة هذه الرواية مكانها، واختر لنفسك رواية أخرى تروي ظمأ الوعي لديك...

لأن السطور التي تلوح أمامك، قد تظن أنها تحمل بين طياتها أسرارًا عتيقة، و هذا ما يتجاوز حدود الفهم البشري، فتغدو الأذهان مشتتة، تائهة في متاهة الواقع والخيال...

جميع الحقوق محفوظة لقناة رَقَش

أما زلت واثقًا بأنك تريد متابعة القراءة؟!

حسنًا، إذا كنت مُلحًّا في استطلاع الأسرار، فلتتذكر أنني حذرتك مُسبقًا، وأن ذمتي منزهة عن تداعيات خواطرك وما قد تنسجه من خيوط الحقيقة والسراب داخل أروقة هذه الرواية...

هناك من يتهمني بالبيدوفيليا... وهو اتهامٌ يُلقى جزافًا دون برهانٍ يُذكر، وفي الأفق البعيد، هناك من يُحلل أفكاري بميزان الشك، مُعتبراً إياها قرينةً على الاتهام المُلفق، وكأنما الجيل الناشئ قد أبحر في سفينة اليقين، مُعرجًا على مرافئ التصديق دون تمحيصٍ أو استقصاء.

الحرية في التأمل والتفكير... لبنةٌ أساسية في صرح البيان، لذا أُدرجت هذه الرواية في فسيفساء الخيال العلمي في الأدب البوليسي النفسي، إذ لا تربطها بالواقع سوى خيوط الأحلام الرقيقة، والكتابة هنا ليست إلا نافذةً تُطل على عوالَم مُتخيلة، لا تعكس ذات الكاتب كما يُروج، وأنا هنا... بريءٌ من كل تأويلٍ أو فهمٍ يُساء استخدامه في حق هذه الرواية العابرة للأزمان.

في أعماق الظلام... تنساب الأفكار المحرمة كالسحب المتجمدة... حيث يلتقي الغموض بالجريمة، وتنبت جذور البيدوفيليا. ذلك الشذوذ النفسي الذي يتغذى على الأرواح الصغيرة ويستنزفها ببطء... كقطرات المطر الذي ينهمر في ليل مظلم..

الفصل الأول

1

الخفايا المنتظرة

ليلًا...

في ظلمة الليل الحالكة، وتحت زخات المطر الغزيرة التي تنهمر كستائر من الفضة... وبعد أن توارت النجوم خلف الغيوم الداكنة، ظهر طيف رجل ذي ملامح أندلسية، عيناه تشعان كحبات القهوة الخولانية الفاخرة التي تنمو في أودية خولان الخصبة.

خداه المستديران يكسوهما النعاس، وتبرز غمازة رقيقة على خده الأيسر كلما ارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة.

حاجباه الكثيفان يشكلان قوسين حادين فوق عينيه... وشاربه الكث يمتزج بلحيته النافرة، وشعره الأسود الغزير يتمايل كذيل حصان عربي أصيل، يتقاذفه النسيم العاصف.

يتجول في أزقة حي (الصفا)، ذلك الحي الشامخ في قلب مدينة (جدة)، إذ كانت الأمطار تنحدر بوابل، والأزقة الضيقة تغرق في الظلام والوحشة، لا تشبه نفسها المعتادة.

ويحمل الرجل ذو الملامح الأندلسية مظلته السوداء... يتسلل بين الخفاء، كأنه يتعقب أثرًا ما، أو يستدرجه سر ما.

وفي أحد الأزقة المنسية، لفت انتباهه باب قديم موصد بإحكام، مصنوع من خشب السنديان، محفور عليه رموز غامضة تحكي قصصًا من الأزمان الغابرة.

وكأنه يحرس سرًا طواه النسيان، وشيءٌ في صمته المهيب كان يدعوه للاقتراب.... إذ شعر بقشعريرة تسري في جسده، كأنما الباب يراقبه بصمتٍ ثقيل، وسمع في أعماقه همسًا خافتًا يتردد، لكن مصدره ظل مجهولًا.

لم يستطع كبح جماح فضوله..فمدت يده المرتجفة نحو الباب، وملمس الخشب البارد زاد من رهبة اللحظة، استغرق الأمر منه قوة أكبر مما توقع ليدفع الباب، وصوت الصرير الذي انبعث من المفاصل الصدئة ملأ الأرجاء وكأنه صرخة عتيقة مزقت سكون المكان.

وحين انفتح الباب أخيراً..كُشف عن فناء داخلي مسكون بالظلمة.ارتجف قلبه وهو يرى الجدران المتآكلة بالرطوبة، والأرضية التي تكسوها طبقة كثيفة من الغبار.

بدا و كأن الزمن نفسه قد توقف هنا، وكأن الفناء ينتظر بصمتٍ أن يُكتشف سره الدفين.

فلمح سلمًا خشبيًا متهالكًا يقود إلى الأدوار العليا، فراح يصعد بخطوات مترددة، وعندما بلغ الطابق العلوي، أذهله ما رأى.

غرفة واسعة تحتضن أثاثًا قديمًا ينبض بالحكايات؛ وهناك... مرآة ضخمة معلقة على الجدار، وعندما انعكس فيها، رأى طيفًا آخر يرمقه بنظرات ثاقبة، عينا الطيف مظلمتان، ووجهه متوارٍ خلف الأنظار.

في تلك اللحظة، انتاب الرجل ذا الملامح الأندلسية شعور مخيف بالرهبة، وتساءل في حيرة وهو يدق في الفراغ قائلًا:

- هل هذا ظل من الأرواح السائرة؟!... أم أن هناك لغزًا مستتراً يختبئ في أرجاء هذا المكان؟!

قال ذلك و هو يواصل البحث، حتى اكتشف كتبًا مهترئة وأدوات عجيبة، وفي الزوايا، صور لأشخاص مجهولين، كأنهم كانوا يلجؤون إلى هذا المأوى.

جميع الحقوق محفوظة لقناة رَقش

وتمتم مرة أخرى بصوت محموم:

- من كان يقطن في هذه الأروقة؟!...وما هي المكنونات التي تخفيها هذه الجدران؟!

لكن قبل أن يسترسل في تأملاته أكثر، قطع المحقق ألدرن سلسلة أفكاره، وهو يجلس في مقعد سيارة الدفع الرباعي التابعة لقسم البحث الجنائي، تتقدم به نحو تلك البقعة الأرضية الغامضة، المعروفة باسم قرية (ذعبلوتن). الواقعة في أقصى جنوب شرق الربع الخالي، على تخوم (المملكة العربية السعودية) و(سلطنة عُمان)، تبعد عن مدينة (الدمام)

بمسافة تناهز «1300 كيلومتر»، وتحيط بها الصحراء من كل جانب، مانحة إياها ستارًا من الرمال.

وبنظرة خاطفة، ألقى المحقق ألدرن نظرة إلى مساعِدته دوجانا، فرأى فتاة ذات جمالٍ تتأمل الأفق بعيون بنية غامضة، شعرها القصير الأشقر يتراقص مع نسمات الهواء، وتبدو ملامحها كأنها قادمة من عالم آخر.

ترتدي بدلة سوداء تلتف حول جسدها بأناقة، ويتساقط بعضُ خصلات الشعر على كتفيها وكأن الفجر في خصلاتها قد تجلى وأشعة الشمس من لونها قد استقت إذ بدت وكأن لديها حكايات جميلة تختبئ خلف عينيها البنيتين.

في الزاوية القريبة، بينما المحقق ألدرن يتربع على مقعده بجوارها، مسحورًا بالجمال الأثيري الذي اخترق ناظريه للحظة ومن دون سابق إنذار قطعت مساعِدته دوجانا سلسلة تأملاته بصوت مشحون بالقلق قائلة:

- يهمسون في الأروقة، بأنها مأساة دامية.

رد عليها المحقق ألدرن، وعيناه لا تزالان تغرقان في بحر الجمال الذي أمامه:

- هذا ما وصلني من أنباء، بالفعل...

***

مع مرور الوقت، وبعد رحلة شاقة في تلك السيارة التي قطعت طريقًا طويلًا عبر صحراء (الربع الخالي)، وصل المحقق ألدرن وفريقه الجنائي إلى موقع يبدو وكأنه خارج حدود الدهر.

هناك... في قلب الصحراء، تتلاشى الفواصل بين الحقيقة والوهم، ويتسلل عبق الأزمان الغابرة عبر أرجاء عيادة طبية موحشة تركها الزمن لتواجه مصيرها.

كانت القرية المحيطة بالمكان غارقة في النسيان، وكأنها تخفي بين أزقتها أسرارًا مظلمة وأحداثًا مروعة. الأرواح التائهة بدت وكأنها تحوم في صمتٍ أبدي، بينما العتمة تمتزج بالفراغ لتشكل دهاليز غامضة لا نهاية لها.

في منتصف المشهد، وقف مبنًى مهجور، وكأنه شاهد صامت على مآسي الماضي. جدرانه المتصدعة كانت تنبض بروايات من العصور البعيدة، ونوافذه الخالية تحدق بلا روح نحو الأفق البعيد، وكأنها تنتظر نهاية لا تأتي.

ظهرت العيادة كملاذ للرجاء والعافية، غير أنها الآن تقبع كمأوًى للخيالات والأحجيات، محملة بخفايا مظلمة وغموض دفين.

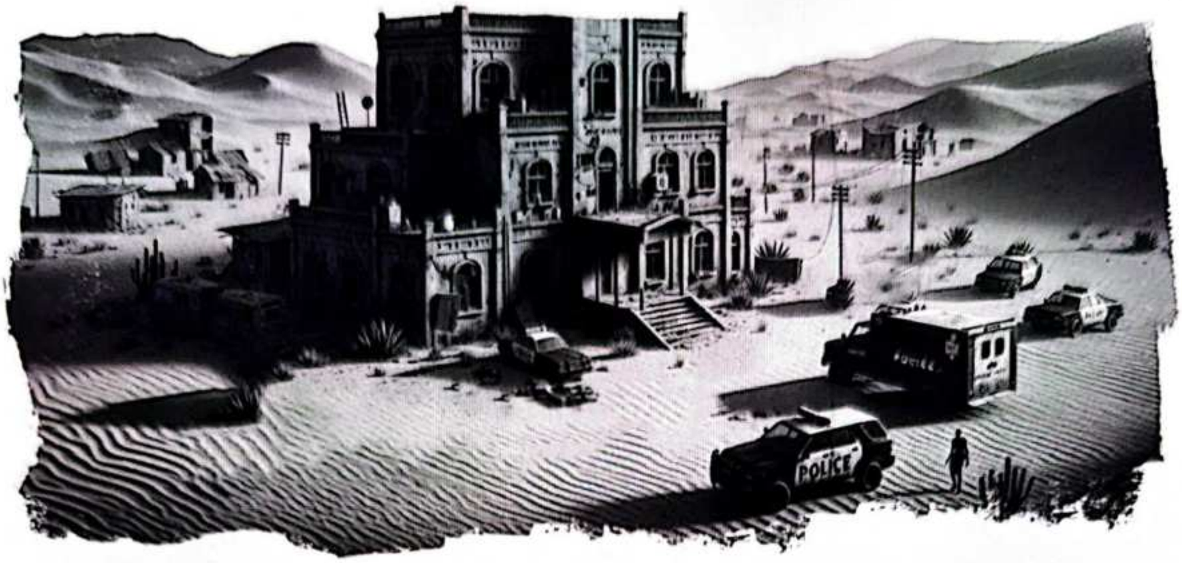

قبل أن يطأ المحقق ألدرن وفريقه أرضها، كانت الأرواح الخفية تسكن أرجاءها، وكأنها تنتظر بصبر لتكشف عن ألغازها السرمدية.

وما أن اقترب المحقق ألدرن من العتبة، حتى انتابه قلق ملحوظ، إزاء هذه القضية التي أثارت الرعب في الأنفس.

فعند مدخل المبنى، كانت تصطف أربع سيارات شرطة، وسيارة فحص جنائي ضخمة تعكس الجدية، وبجوار إحدى السيارات، كان يقف ضابط برتبة ملازم أول، ينحني بشدة وهو يقذف بثقل الغثيان، في صورة توحي بأنه قد شهد منظرًا يقلب المعدة، وإلى جانبه، ضابط آخر يستند بِباب السيارة، يكاد يفقد توازنه، ويضع يده على فمه كأنه يكبت غثيانًا مماثلًا.

بدهشة ممزوجة بالحذر، استفسر المحقق ألدرن من الضابط قائلًا:

- ما الأمر هنا؟!

لم يجب الضابط بالكلمات، بل أشار بإصبعه نحو الداخل، وكأنه يخشى

أن يتكلم، فيتسبب في اضطراب معدته مجددًا.

أدرك المحقق ألدرن الصمت المعبر، وتقدم نحو الداخل ليستقبله ضابط آخر، شاحب الوجه، تعلوه علامات الاشمئزاز فسأله المحقق ألدرن بصوت يختلط فيه الحزم بالفضول:

- ما الذي يجري هنا بالتحديد؟!

أجابه الضابط بصوت خافت:

- تلقينا إخطارًا من حكيم القرية، يفيد بأنه عثر على...

لم يتمكن الضابط من إكمال جملته، فبدا وكأن الكلمات تخونه، فحثه المحقق ألدرن قائلًا:

- على جثة؟!

أنكر الضابط برأسه، ثم أشار إلى مكان قريب بجوار ساحة العيادة الطبية، فكان رجال الشرطة وفريق البحث الجنائي يحيطون بزاوية مظلمة ومهجورة و كأنهم يتجنبون النظر إلى ذلك الكيس القماشي المهترئ الذي يرقد على الأرض، ملطخًا بآثار الزمن والرطوبة، وكأنه شاهد على إهمال طويل والرباط البالي يتدلى منه كحبال متهالكة، والظلام يكتنف الزاوية، بينما تتسرب الأضواء الخافتة من فتحة بين السحب، تكشف عن جزء من الكيس، وتحمل الرياح رائحة العفن والأسى، مثيرةً للفضول والرهبة في آن.

هل يخفي الكيس سِّرا مظلمًا أم هو مجرد ذكرى مهملة؟! وبجانبه، جلس رجل كهل ونحيل، ينظر بعينين زرقاوين تشبهان أعماق البحر، بفضول وحذر، يرتدي ثوبًا عربيًّا يعود بالذاكرة إلى عصور قديمة، وتتدلى على كتفيه أوشحة ملونة ويتكئ على عصًا خشبية تحكي قصصًا منسية، تحمل علامات الدهر والمعاناة.

يبدو وكأنه يعتمد عليها في مسيره اليومي، وكأنها مفتاح لألغاز لا يعرفها إلا هو. وجهه شاحب وملامحه لا تخلو من الحزن، وكأنه يحمل في طياته قصصًا لا تُحكى إلا في ليالٍ موحشة... وكان يرتجف... ويبكي بصمت...

***

في خفايا الغسق الغامضة.. مضى المحقق ألدرن بخطًا واثقة نحو ذلك

الكيس القماشي الذي يختبئ في ركن الساحة السحيق، والظلام يلفه بستاره الحالك.

بدا وكأن ذاك الكيس القماشي يخفي تحت طياته أشياء غريبة لم تتضح معالمها في الأفق المعتم، فأشعل المحقق ألدرن مصباحه اليدوي، الذي يعد رفيق دربه الدائم، وانحنى برأسه متأملًا بزاوية حادة، ليطل على ما يكمن داخله... وبمجرد أن ألقى المحقق ألدرن نظرته الثاقبة على تلك الأجسام الغريبة، ارتد إلى الوراء وقد اعتراه الذهول والرعب.

فتلك الأجسام الغريبة التي يحويها الكيس القماشي لم تكن إلا أطقمًا من الأنياب البشرية المقلوعة بوحشية، وإلى جانبها رؤوس إناث في مراحل

متفاوتة من التحلل والفئات العمرية.

وعلى الرغم من مسيرته المهنية المليئة بالمشاهد المروعة، إلا أن المحقق ألدرن وقف مشدوهًا أمام هذا المنظر الدموي، الذي فاق في بشاعته كل ما عاينه من جرائم سابقة.

وبجهد جهيد، كبح جماح غثيانه الذي كاد يطغى على إرادته، فيما كانت أصداء اضطرابات المعدة تتردد في الفضاء المحيط.

وهو يتأمل تلك الأنياب المقلوعة، والتي تشهد على تفاوت أزمنة قلعها، كانت تجمعها سمات مشتركة؛ كالزرقة الباهتة التي تكسو شفاه كل رأس، تمنحها مظهرًا مشابهاً لما يُرى في أفلام الرعب، والألم العميق المحفور في تلك العيون المتسعة التي فقدت بريق الحياة، والفجوة السوداء داخل كل فم تقف شاهدًا على مكان الأنياب المفقودة، والتي كانت تحيط بذلك الكيس القماشي.

ومن خلفه، انبعثت شهقة مدوية، تبعها صوت امرأة تقذف بما في جوفها بعنف، فالتفت المحقق ألدرن بحدة نحو مساعِدته دوجانا قائلًا:

- استجمعي شجاعتكِ قليلًا.

أشارت دوجانا بإصبعها المرتعش إلى الكيس القماشي، وقالت بوجه شاحب:

- ما هذا الذي أراه؟!

أمسك المحقق ألدرن بكتفها، محاولًا إضفاء بعض الثبات على صوته:

- استعيدي رباطة جأشكِ... أو انصرفي من هذا المكان.

نظرت إليه مساعِدته دوجانا بعينين مثقلتين بالإرهاق، قبل أن تستدير مغادرةً وهي تقول:

- حسنًا... سأكون في انتظارك بالخارج.

أومأ المحقق ألدرن لها بالرحيل، ثم التفت إلى أحد الضباط متسائلًا:

- كيف تم العثور على هذا الكيس القماشي؟!

أومأ الضابط بحيرة نحو رجل كهل شاخص النظرات، نحيل الجسد، وأجاب:

- إنه الحكيم... حكيم القرية، كان يجوب الأرجاء كعادته حتى دلف إلى ساحة هذه العيادة، فلاحظ ذلك الكيس القماشي؛ فقام بفتحه، ولم يلبث أن انتابه الهلع، فصرخ بصوت متواصل، جذب صراخه أنظار القرويين الذين ارتعدوا لما شاهدوه، فبادروا بإخطار الشرطة.

لفّ المحقق ألدرن ناظريه نحو الحكيم الكهل، مستفسراً بنبرة حازمة:

- من يملك هذه العيادة الطبية؟!

أجابه الضابط بلهفة:

- الوثائق تشهد... أن العيادة الطبية تخص الدكتورة (خنساء)، متخصصة في طب الأسنان، غير أنها قد رحلت إلى (ألمانيا) طلبًا لمستقبل مهني منذ عهد يمتد لسبعة أعوام، ومنذ ذاك الحين، تُستأجر هذه العيادة لأطباء الأسنان الماهرين بعقود تمتد شهرًا أو عامًا، ليقدموا خدماتهم لأبناء القرية.

تمتم المحقق ألدرن، وهو ينثر الأسئلة كحبات المطر:

- منذ سبعة أعوام؟!.. وهذه الأنياب لم يمضِ على قلعها إلا أيام يسيرة.

ثم استطرد متسائلًا والحيرة تلفّ أفكاره:

- ومن يستأجر العيادة الطبية الآن؟!

هز الضابط رأسه مُنكرًا:

- لا روح تسكنه.

- ما معنى كلامك؟!

كاد المحقق ألدرن أن يضيف شيئًا إلى سؤاله، لكن الضابط أومأ نحو ذلك الرجل الكهل، قائلًا:

- لكن... الحكيم على علم.

- لِم لم تفصح عن ذلك منذ البداية؟!

تركه المحقق ألدرن و توجه نحو الحكيم مسرعًا، الذي كان يخفي

ملامحه بين كفيه وينوح بصوت مسموع، فنظر إليه المحقق ألدرن، قائلًا:

- يا حضرة الحكيم!

انتفض الرجل الكهل وجلًا، ورفع عينيه الزرقاوين المغرورقتين بالدموع، في رعب مستتر، فطبطب المحقق ألدرن على كتفه محاولًا تهدئته قائلًا:

- أرغب في بضع كلمات معك.

صاح الحكيم في قلق:

- لقد أفشيت للضباط كل ما بحوزتي من معرفة.

طبطب المحقق ألدرن على كتفه مجددًا، ورسم ابتسامة متكلفة على شفتيه، قائلًا:

- مجرد ثرثرة يا حضرة الحكيم... مجرد ثرثرة.

أبعده المحقق ألدرن عن ذلك الكيس القماشي وسأله:

- من يدير أمور العيادة الطبية يا حضرة الحكيم؟!

- الأستاذة (حسناء)، تصوغ العقود، وتنتزع عمولتها، ثم تودع الباقي في حساب أختها الدكتورة (خنساء).

سأله المحقق ألدرن محافظًا على ابتسامته المصطنعة:

- ومن آخر من استأجر العيادة؟!

- الدكتور (سِنان).

نظر المحقق ألدرن في عينيه الزرقاوين والحيرة تتصاعد منه، قائلًا:

- ومن يكون هذا الدكتور سِنان؟!

حدق الحكيم في الأفق البعيد، والحيرة تكتنف محياه، وهو ينطق بصوتٍ متهدج:

- مستأجر...طبيب أسنان.

لم يتمالك المحقق ألدرن نفسه، والدهشة تعلو نبرته، وهو يقول:

- هذا يعني أنك عاجزٌ عن إدراك خباياه؟!

تلعثم الحكيم، وهو يرفع إصبعه نحو السماء، كأنه يستحضر ذكرى عميقة، قائلًا:

- لقد صادفته مرةً يتيمة، حينما جلب أدواته الغريبة إلى هذا المكان.

- يُفترض بك أن تكون حكيم القرية، وأن تعي تفاصيلها الدقيقة.

- لقد حال دون اقترابي من معتركه الطبي، طوال مدة إقامته، انظر كيف أضحت العيادة خاوية على عروشها، وإني شيخ زمانه، عاجزٌ عن مجاراته أو مساءلته، وكيف لي وأنا الذي شاهدت تلك الأدوات التي حملها في...

انقطع حديث الحكيم، إذ قاطعه المحقق ألدرن، قائلًا:

- أدوات؟!... ما هي تلك الأدوات التي تتحدث عنها؟!

نظر الحكيم نحو المحقق لبرهة، وكأنه ياول استيعاب السؤال، ثم أجاب:

- أدوات طبية... كما أظن.

- ولماذا تظن ذلك؟!

- وما الذي يمكن أن تكون عليه؟!... لقد رأيت ملقطًا للأضراس ومقصّاً جراحيًّا وأدواتٍ طبيةً أخرى مبهمة.

خفتت حدة المحقق ألدرن، وهو يردد بتساؤل:

- ملقط للأضراس... ومقص جراحي؟!

- أجل... هذا ما جاء به، يا حضرة المحقق.

بدأت الأحداث تتشكل في ذهن المحقق ألدرن، رويدًا رويدًا، رؤوس مقطوعة، وأنياب مقلوعة، والدكتور سِنان الذي جاء بمعدات طب الأسنان، كملقط الأضراس ومقص جراحي وأدوات طبية محيرة، وقام بمنع الحكيم من الاقتراب من ساحة العيادة طوال فترة وجوده.

لم يبقَ مجالٌ للشك، بأن الدكتور سِنان هذا هو الجاني، وهو من ارتكب الجرم بلا ريب...

***

- حضرة المحقق، هنالك أمرٌ يتوجب عليك مشاهدته.

نطق بها أحد الضباط، متجهًا نحو المحقق ألدرن، الذي التفت إليه وسأله بصرامة غير مقصودة:

- ما الأمر؟!

أومأ الضابط بإصبعه نحو الخلف، قائلًا:

- هناك... داخل مبنى العيادة!!

وبلا تردد، توجه المحقق ألدرن إلى داخل مبنى العيادة، فدخل الغرفة بخطًا مترددة، وتوسعت عيناه لتستوعبا المشهد الأليم أمامه.

إذ الجدران مغطاة بطلاء أبيض متقشر، والأنوار الخافتة تتدلى من السقف المتهالك وتحيط به أدوات طبية معدنية، كملقط الأضراس والمرايا الصغيرة والمقص الجراحي، وتبرق الأدوات في العتمة كأنها تتربص بالفريسة و يعلو صوت الساعة الجدارية المتوقفة، كأنها تنبهه إلى الوقت الذي يمر ببطء في هذا المكان الموحش، حيث شعر بالبرودة تخترق عظامه والهواء يمل رائحة المطهرات اللاذعة، فتملكه القلق وهو يقول بتردد:

- هل هذا مكان للشفاء أم للعذاب؟!

كأن الزمان قد تجمد هنا، والأرواح الغاضبة ترقبه من كل زاوية، وينيره مصباح متوهج، وبانفعال شديد، أشار الضابط إلى الغرفة الطبية قائلًا:

- ها هو ذا!!

تضيق عينا المحقق ألدرن وهو يحاول أن يميز ما يشير إليه الضابط تحت الضوء الخافت، ثم تراجع بحركة مفاجئة كأنه لمس النار، فما رآه كان مرعبًا، إلى حد لا يوصف!..

جميع الحقوق محفوظة لقناة رَقش

الفصل الثاني

2

غيمة تحجب نور اليقين

في زاوية مظلمة ومهجورة من منزل الدكتور محمد، يمتد قبوٌ متسعٌ إلى الأعماق. تتداخل الظلال على الجدران المتشققة، والأرضية مغطاة بطبقة من الغبار الكثيف. يتسلل الضوء الخافت من فتحة صغيرة في السقف، مما يكشف عن أثاث مُتَنَسِّل، ومنضدة خشبية متسخة، وأدوات مغطاة بالعفن، ورفوف متهالكة تحمل مجموعة من الأجسام المتساقطة.

تتعالى أصوات الرياح المتسللة في الأرجاء، تحمل معها نفحات من الرطوبة والبرودة.

بدا وكأن القبو يحتفظ بأسرار قديمة، وأن الدكتور محمد كان يستخدمه لأغراض غامضة.

ربما كان يجري تجارب محرمة هنا، أو يخفي شيئًا مهمًّا على العالم الخارجي.

حيث الجدران مغطاة برسومات غريبة ورموز غامضة، تشير إلى أن هذا المكان كان شاهدًا لأحداث مرعبة في الماضي.

الهواء يمل رائحة العتمة والتراب، والصمت يلف المكان بطبقة من الغموض.

بقعٌ من الدماء كانت تكسو أرضية ذلك القبو المهجور داخل منزل الدكتور محمد. منظر لا يمكن للمحقق ألدرن أن يقوم بنسيانه أبدًا.

إذ تراجع إلى الخلف... وسرعان ما لاحظ أن الجميع قد اختفوا من ذلك القبو المهجور، والسواد يغزو أرجاء المكان، سوى تلك البقعة الدموية التي توهجت بلونها الأحمر وبدأت تلك البقعة تتسع شيئًا فشيئًا.

شخصت عيناه البنيتان من ذلك المنظر، فقام المحقق يصرخ قائلًا:

- أين ذهب الجميع؟! أين اختفوا؟!

لم يتلقَّ المحقق ألدرن إجابة لسؤاله، فذهب يضرب في الهواء محاولًا إيجاد ذلك الباب الذي قام بالدخول منه نحو القبو المهجور منذ لحظات والخوف يتصبب داخله، وظل يبحث ويبحث داخل ذلك القبو المهجور الذي تكسوه تلك البقع الدموية.

لكن المحقق ألدرن لم يعثر على ذلك الباب، وكل ما يحيط ذلك القبو المهجور هو الجدران القاسية المصنوعة من الحجارة القديمة والمتآكلة.

كانت تلك الجدران الحجرية توحي بأن ذلك الباب لم يكن موجودًا منذ البداية وقام المحقق بالصراخ قائلًا:

- أين أنتم؟!

تردد صدى صوته في أرجاء القبو المهجور لدرجة أنه شعر بأنه ليس

داخل القبو المهجور أساسًا بل داخل قبر عميق رُبما يقضي بقية حياته داخله.

ولكنه لم يلبث أن انتابه إحساس مفاجئ بحركة خفية وهو يجوب الظلمة باحثًا عن ذلك الباب الخفي، متحسسًا تلك الجدران البازلتية الباردة، فاندفع مذعورًا نحو موضع البقعة القانية التي تلطخ الأرضية، مدفوعًا بالهلع.

فتوسعت حدقتاه البنيتان في فزع من المشهد الأليم الذي يتكشف أمامه، إذ من رحم تلك البقعة القانية بدأت تنبثق أطراف بشرية، تبرز مثل يدٍ ثم ساعد ثم هيكل بملامح أنثوية مجردة من ثيابها.

تجلى أمامه ذلك الهيكل الأنثوي بلا رأس، ومن خلفه تتسلل أشكال أخرى بملامح أنثوية من البقعة القانية ذاتها كأنها تنبع من جوف بئر سحيقة، وكانت تلك الأشكال ملطخة بدماء غزيرة وسوائل نُطفية، وحولها ترفرف فراشات زرقاء تحيط بأعناقها.

تقهقر المحقق ألدرن والفزع يلفه، حتى اصطدم بالجدار الصخري وتوسعت حدقتاه في هلع مخيف، فبدأت تلك الأشكال الأنثوية تقترب منه ببطء مخيف. لم يجد المحقق ألدرن بدًّا من الصياح والتلويح في الفراغ نحو تلك الأصابع التي تدنو من وجهه حتى انهار على مقعده صارخًا:

- كلا!!

دوى صدى تلك الصرخة حتى قفز المحقق ألدرن وهو يرتعش من الرعب والعرق يتصبب من جبينه بغزارة كأنه اغتسل بدلو من الماء، فدفع بمعطفه جانبًا لينهض والدم يتجمد في عروقه صائحًا:

- إنه كابوس.. كابوس مفزع!!

بسرعة ورشاقة، فتحت مساعِدته دوجانا باب مكتبه في قسم البحث الجنائي بمدينة (جدة) بقوة غير معهودة، والظلام يتسرب من خلال الفتحة المكشوفة.

كانت الغرفة معتمة، والضوء الوحيد ينفذ من ثنايا الستائر الموصدة، وكان المحقق يصرخ وبفعل صراخه الغامض اندفعت مساعِدته إلى الداخل وهي ترتجف قائلة:

- هل أزعجك كابوس مفزع مجددًا؟!

أومأ المحقق ألدرن برأسه مؤكدًا ثم مسح وجهه بيده مضيفًا:

- أفظع مما تتصورين.

ألقت دوجانا نظرة إلى إبريق الماء بجانب حاسوبه المكتبي، فأمسكت به لتصب الماء في الكوب وقدمته للمحقق ألدرن قائلة:

- خذ.. حاول أن تسترخي قليلًا.

تلقف منها الكوب وبدأ يرتشف الماء بتؤدة وبعد أن أفرغه قال

لمساعِدته:

- لا تقلقي.. يمكنكِ متابعة عملكِ... أنا بحال جيدة.

أمعنت مساعِدته دوجانا النظر في عينيه البنيتين والقلق يتساقط من شفتيها قائلة:

- يجدر بك الابتعاد عن هذه القضية وأخذ استراحة.

- لا... أنا بخير.

استقر المحقق ألدرن على مقعده المصنوع من جلد الغزال وهو يتصفح الوثائق الرسمية للقضية، متظاهرًا بأنه بخير وأنه لا يعاني من شيء، حتى غادرت مساعِدته دوجانا تاركة وراءها المحقق ألدرن يغرق في كوابيسه وحيدًا بين تلك الأوراق التي يتأملها، ثم نهض من مقعده وجلس للحظات على حافة مكتبه.

فنهض مرة أخرى متوجهًا نحو نافذة مكتبه تاركًا الأوراق خلفه؛ وبتوتر أشعل سيجارة التبغ، وجلس ينفث دخانها في ظلمة الغرفة وهو يستحضر ذلك الكابوس الشنيع الذي عايشه في قبو منزل الدكتور محمد.

- متى سينقضي هذا الكابوس المفزع؟! لقد مضت أكثر من خمسة أعوام على تلك الحادثة...

صاح المحقق ألدرن بكلمات ملؤها الذهول والاشمئزاز، ثم بدأ يستحضر

في ذاكرته تحديدًا ذاك المشهد البشع الذي اعترضه في الغرفة الطبية بقرية (ذعبلوتن).

لم تكن طبقة الدهان التي تغشى الجدار الشرقي للغرفة، متجانسة كسائر الجدران، بل بدت كأنها تشربت بصبغة قاتمة تشبه اللون القرمزي.

توقف مشدوهًا للحظة أمام المشهد، يدق عبر زجاج نافذة مكتبه، ثم أمسك بجهاز الإرسال اللاسلكي وقال بنبرة حازمة:

- لجميع الوحدات... أصدر الأمر بالتوجه فورًا إلى موقع الحادثة... أعيد وأكرر، يجب أن نعود إلى موقع الحادثة.

أطلق المحقق ألدرن ذلك الأمر وانطلق من مكتبه متوجهًا إلى موقع الجريمة، مصحوبًا بِمساعِدته دوجانا وفريق البحث الجنائي...

***

تهفو الغرفة الطبية بألوانها الشاحبة، وتكسو جدرانها طبقات الدهان المتصدعة. ويخترق النور من النوافذ الموصدة بمشقة، مولدة خيالات غبارية تتراقص في الأرجاء.

الأثاث المتآكل، والأدوات الطبية تكتنفها البياضات الفاترة.

دلف المحقق ألدرن إلى تلك الغرفة الطبية بخفة تامة، وتمايلت ظلال فريق البحث الجنائي على الأرضية الإسمنتية المتشققة.

وكان وجهه خافيًا تحت قبعته السوداء الغائرة من شدة الظلمة، لكن خطواتهم الوئيدة والمتعجلة كانت مسموعة.

ينقبون في أرجاء الغرفة بنهم، تعلو أصوات الحفيف والطرق بينما تفتح الأدراج وتغلق، وتتقلب الأوراق المهترئة فوق الرفوف كأنها تخفي سِّرا ثقيلًا. كل زاوية تتحدث، كل ظل يوحي بشيء مريب.

تصطدم أصداء خطواتهم بهمسات الرياح التي تتسلل بخفة عبر الشقوق والنوافذ المهشمة، وكأنها شاهدة صامتة على ما حدث هنا.

فجأة، توقف المحقق ألدرن في مكانه، عيناه متسمّرتان على السرير الطبي المتداعي، كأنه يلمح شيئًا لا يراه سواه.

رفع بصره ببطء إلى السقف المتصدع، فبدت ملامحه متجهمة وكأن لغزًا خطيراً تجلى أمامه.

استدار بسرعة نحو فريقه، صوت كلماته يخترق الصمت المشحون:

- الطبقة من الدهان... لم تكن متماسكة بما يكفي لتبدو طبيعية... لكنها أيضًا لم تكن لينة كما يُفترض أن تكون.

كانت كلماته تلك تحمل في طياتها تحذيرًا، كأنها خيطٌ أول لفك عقدة مجهولة تُحاك في الظل.

فأردف وهو يتمتم بنفور:

- لقد استعمل الدم بديلًا عن الماء لخلط هذا الدهان، لعل هذا سبب عدم تماسكه.

لمست مساعِدته الجدار الشرقي للغرفة الطبية فعلقت بأصابعها بعض قطرات من الدم، فأخرجت منديلها لتمسحه وهي تقول:

- خلف هذا الجدار دفنت تلك الأجساد بلا شك.

فتساءل أحد الضباط بقلق:

- لماذا لم يدفن الأنياب والرؤوس معها إذًا؟!

كان السؤال معقولًا إلى حد ما حتى أعرض المحقق ألدرن بوجهه، وقال بحزم لذلك الضابط:

- أخبر وحدة الهدم بهدم هذا الجدار... فورًا!

تردد الضابط البائس لبرهة، ثم مضى يجر أقدامه نحو وحدة الهدم، بينما التفتت مساعِدته دوجانا إلى حكيم القرية في الضوء الخافت من القمر. حيث كان يرعى قطيعه على تلة موحشة، صمت الليل يبتلع كل شيء إلا صوت الريح التي تصفع وجهه العاري من الحياة.

ثيابه ملطخة بالوحل وممزقة، تحمل على أكتافها حكايات معارك خفية، ووجهه مستور تحت خيوط عمامته، أثقلته سنوات من الإرهاق.

كان يبدو كأنه يحمل عبئًا أثقل من الجبال، عصاه الخشبية رفيقته

الوحيدة، يتكئ عليها وكأنها الشيء الوحيد الذي يربطه بالأرض. عيناه الزرقاوان كانتا تحملان في عمقهما بحرًا من الغموض، غموضًا لا تستطيع العقول البشرية إدراكه، وكأنهما بوابة لعالم آخر مليء بالأسرار والوجع.

الأغنام تحيط به في صمت يشوبه الحذر، كأنها تدرك أن هذا الرجل ليس كغيره. يتحرك بينها بتؤدة وحذر، كأنه يسير في ظلمة يعرف كل زواياها. خطواته بطيئة لكن ثابتة، يتفادى الأشجار اليابسة التي تتشبث بالأرض مثل أشباح مهزومة، والحفر السحيقة التي تنبض كجروح غائرة في قلب التلة. كان يعرف مكان كل جذع متعرج وكل حجر صامت، وكأن الأرض تهمس له بأسرارها... فقالت:

- كم أحسد هذا الحكيم.

التفت إليها المحقق ألدرن بتعجب مستفسراً، فأضافت قائلة:

- القرية والأغنام هو كل ما يهمه، حتى وإن ألقوا الأنياب والرؤوس في كل أرجاء القرية.

- إنها مهمته.

- وأين عواطفه؟!

ابتسم المحقق ألدرن ابتسامة مصطنعة وقال:

- هذا ما يجدر بكِ أن تحسديه عليه... فهؤلاء الناس يشغلهم السعي

وراء رزق يومهم وإتمام مهامهم تجاه واجباتهم . . .

***

عاد الضابط بعد غياب قصير، لكن خطواته المترددة وعينيه المضطربتين فضحت شيئًا ما قبل أن يتكلم:

- لم نجد شيئًا، يا حضرة المحقق.

ارتسم على وجه المحقق ألدرن مزيج من الغضب والتوجس، فاستوى في وقفته كالصياد الذي فقد أثر فريسته. حدّق في الضابط بنظرة أثارت قشعريرة في جسده.

كان في داخله سؤال يتردد كصدًى في كهف مظلم، سؤال أبى أن يُقال بصوت مسموع، لكنه حاصر فكره:

- أين تلك الأجساد التي بلا رؤوس ولا أنياب؟!

ظلت تساؤلاته ترتعش في ذهنه بلا إجابات. وكأنها أسئلة تصدح في الفضاء من دون ردود. . .

***

أوشك الفجر على أن يزيح الستار عن لونه الفضي، والهواء البارد يتسلل كأنه يحمل سّرا غامضًا بين أنفاسه. تحت سماء مدينة (مكة المكرمة)، بدأت قطرات المطر الأولى تتهادى بخفة، كرسائل مشفّرة من السماء إلى

الأرض.

ثم ما لبثت أن تحولت إلى زخّات غزيرة، تنبض بإيقاع خفي كأنها صلاة صامتة تعانق الأرواح.

الشوارع خالية من المارة، لكنها تعجّ بأحاديث المطر. الأرصفة تتلألأ بقطرات كأنها ألماسات خُلقت خصيصًا لتزيّن المدينة.

كل قطرة تبدو وكأنها تحكي حكاية غابرة، قصصًا روحانية مدفونة عميقًا في تربة المكان.

المطر لا يهطل فقط... بل يتحدث... يتناغم مع سكون الليل وكأنه يسرد أسرارًا لا يعرفها إلا من أصغى بصدق. وفي زاوية مظلمة، تقف امرأة محجبة بثقة رغم العاصفة، عباءتها السوداء المبللة تتدلى حولها كستار الليل المخملي.

تحمل مظلة ترتعش تحت وطأة المطر، وفي يدها الأخرى تمسك بطفلتها ذات الأعوام السبعة، التي التصقت بها وكأنها تخشى أن تبتلعها الظلال.

عينا المرأة تجوبان الأفق المضطرب، تبحث بلهفة عن سيارة أجرة تنقذهما من هذا المكان الموحش.

فبدأت خطواتها تقودها بين الأزقة الضيقة، حيث الرياح تصفر وكأنها أرواح هائمة، تحمل معها أوراق الشجر المبللة وأصداءً غامضة تتردد بين الجدران المتشققة؛ كانت السماء تبكي بغزارة حينها.

وبينما تجتاز الأم وابنتها الشوارع الموحلة، توقفت فجأة سيارة فاخرة على بعد خطوات منهما. عجلاتها السوداء تلتمع تحت وابل المطر... كأنها تحاكي لمعان النجوم.

خلف زجاجها الداكن، ظهر وجه رجل شاحب كالقمر، ملامحه حادة ونبيلة، وعيناه الداكنتان تخترقان العتمة... على عنقه، استقرت قلادة مرصعة بالجواهر، تلألأت كنجمة وحيدة وسط ليلة حالكة.

كان حضوره يشبه رؤيا غامضة، بين الحلم والحقيقة، فهل كان ملاكًا منقذًا أم سرابًا مخيفًا؟!

وبصوت يشبه همس الريح، سأل بكلمات تفيض مودة وأناقة:

- هل تبحثين عن سيارة أجرة يا سيدتي؟!

مسحت المرأة المحجبة جبينها المتصبب بللًا، وهي تدير وجهها نحوه بابتسامة متوهجة، وأجابت بصوت يكاد يختنق بالأنفاس:

- أجل.

انحنى الرجل الشاحب ليفتح باب سيارته، وتهادى نحوهما بخطوات مترددة، وقال بنبرة تحمل بعض الحذر:

- تفضلي، سيارتي رهن إشارتكما.

كان الجو يتحول إلى الأسوأ، فبدا الشارع خاليًا من المارة، ولم ترغب

المرأة المحجبة في تفويت هذه الفرصة، فمسحت جبينها مجددًا من قطرات المطر، وقالت بصوت متردد:

- حسنًا، إذا كنت تصّر.

ابتسم الرجل الشاحب ابتسامة مفتعلة، وتقدم نحوهما، قائلًا:

- دعيني أساعد الصغيرة على الصعود، وأما أنتِ فتفضلي بالركوب.

همست المرأة المحجبة بخجل، قائلة:

- حسنًا.

أمسك الرجل الشاحب بيد الطفلة إذ كانت الطفلة ذات الأعوام السبعة ترتدي فستانًا ملفوفًا حوْل جسدها النحيل وشعرها الأسود الطويل يتدلى على كتفيها بشكل مباغت وعيناها كبيرتان وعميقتان تنظران إليه بفضول وغموض.

كانت ملامح وجهها مختلطة بين البراءة والدهشة، جبينها الصغير كان مشدوداً قليلًا وكأنها تحمل ملامح الريبة من خلاله وشفتاها الورديتان كانتا مغلقتين بإحكام.

استعدت والدة الطفلة للجلوس داخل السيارة، غير مدركة أن هذه اللحظة ستغيّر كل شيء.

وبينما كانت تلتفت لتجلس على المقعد، اخترقت وخزة حادة رقبتها فجأة،

كأنها سهم غير مرئي أصابها من العدم، ارتعد جسدها، وعيناها تلمعان بذعر مكتوم. حاولت أن تستدير، لكن الألم سيطر عليها، ليكشف لها المشهد المروّع: رجل شاحب الوجه يقف خلفها، ممسكًا بإبرة طبية فارغة، تتساقط منها قطرات من سُم قاتل.

كان السُّم يتسلل ببطء قاتل داخل جسدها الذي بدأ بالخضوع. أما الرجل، فقد رسم على وجهه ابتسامة شيطانية باردة، كأنها شبح خرج من كوابيس مظلمة.

صرخت المرأة بصوت مخنوق، وكلماتها تنفجر كرجاء أخير:

- ماذا فعلت بي؟!

لكن الرجل لم يرد... اكتفى بتلك الابتسامة المرعبة التي ازدادت اتساعًا، وكأنها تُعلن انتصاره.

حاولت المرأة التمسك بيد طفلتها الصغيرة، وصوتها يصرخ بالاستغاثة، لكن جسدها بدأ يخونها، ينهار تحت تأثير السُّم. لم تعد قدماها تحملانها، وأصبحت الدنيا من حولها أشبه بلوحة مظلمة تغرق في الضباب.

في لحظة أخيرة من الوعي، همست بحزن يعصر قلبها:

- أيها الـ...

لكنها لم تستطع إكمال كلماتها، فسقطت أرضًا، صمتها الأبدي

يحتضنها، بينما طفلتها تنظر إليها بعينين غارقتين في الدموع والخوف.

فاقترب الرجل الشاحب بانحناءة حادة حتى أصبح وجهه قريبًا من وجه الطفلة... نظر إليها بعينيه الباردتين، وقال بصوت ناعم يقطر خبثًا:

- هيّا بنا... صغيرتي الجميلة، سنذهب الآن إلى حديقة الألعاب.

ثم أمسك بيد الطفلة، واقتادها إلى سيارته الفاخرة.

صعد وأغلق الباب بقوة، تاركًا خلفه جثة الأم المسجاة في الصندوق الخلفي، مغمورة بزخات المطر التي بدأت تهطل بغزارة، وكأنها تشهد على المأساة. انطلقت السيارة تشق الظلام، وأصوات المطر تختلط مع صوت المحرك.

الطفلة صامتة، وجسدها الصغير يرتجف... بينما الرجل الشاحب ينظر إلى الأمام، وابتسامته ما زالت منحوتة على وجهه، كأنها وُلدت لتبقى...

***

- صف لنا الدكتور سِنان... طبيب الأسنان هذا.

بهذه الكلمات المحملة بثقل السلطة والجدية، أطلق المحقق ألدرن سؤاله القاطع، موجهًا نظراته الثاقبة نحو حكيم القرية الذي كان يقف في زاوية مكتبه، داخل أروقة قسم البحث الجنائي.

رفع الحكيم يديه الهزيلتين، مخترقًا بهما فضاء الغرفة، وأجاب بصوت

يملؤه التردد والحذر:

- كما سبق وأفضت إليكم بالوصف، يا حضرة المحقق، فإنه رجل ذو قامة متوسطة، وجهه يشبه حبة اللوز في استدارتها، ويزين شفته العليا شارب غزير يمتد ليلاقي لحيته، وتتخلل خصلات شعره الداكنة بعض خيوط الشيب، ويحجب بصره وراء نظارات طبية تعكس بريق الألمعية.

أمعن المحقق ألدرن النظر نحو الحكيم لبرهة، قبل أن يومئ برأسه نحو شخص يجلس في زاوية القسم، يمكن رؤيته من خلال النافذة الزجاجية للمكتب، وقال بنبرة محملة بالإصرار:

- أترى ذاك الرجل هناك؟!

أجاب الحكيم بإيماءة متحفظة وملؤها الحذر، فتابع المحقق ألدرن حديثه بصرامة:

- إنه (مصمم جرافيك) تابع لقسم البحث الجنائي... تفضل بالجلوس إلى جانبه وصِف له ملامح الدكتور سِنان بأدق التفاصيل الممكنة، وسيعمل هو بدوره، على استخدام الذكاء الاصطناعي لترجمة وصفك إلى صورة تقريبية للدكتور... هل تقطعت بك السبل إلى فهم ما أرمي إليه؟!

أومأ الحكيم مرة أخرى برأسه، مليئًا بالقلق، وهو يراقب المصمم الجرافيكي بنظرات مشوبة بالريبة والتوجس، في تلك اللحظة، أشار المحقق ألدرن إلى المصمم وهو يخرج من مكتبه الخاص، قائلًا:

- هو تحت تصرفك الآن.

وبمجرد أن أتم كلماته، غادر المحقق ألدرن المكتب، تاركًا الحكيم في مواجهة المصمم، ثم توجه إلى مكتب مساعِدته دوجانا، التي كانت منهمكة في العمل أمام شاشة الحاسوب، حتى أنها لم تكد تلحظ دخوله.

فوقفت احترامًا له، فأشار لها بالعودة إلى مقعدها، وسألها بصوت يحمل نبرة التحقيق:

- هل أثمرت جهودكِ عن شيء ما؟!

أجابت دوجانا برأسها مهزوزة نافية:

- الأطباء الذين عبروا حدود الوطن خلال العام الجاري، كان من بينهم خمسة أفراد يحملون اسم (سِنان)، اثنان منهم لا يزالان داخل حدود الوطن والخمسة يحملون الجنسية (السورية)، تمامًا كما هو الحال مع مستأجر العيادة الطبية، ولم يُسجل لهذين الاثنين أي خروج حتى الآن، أحدهما يقيم في فندق (جراند ميلينيوم) بمدينة (جازان) والآخر يقيم مع أقاربه في مدينة (أبها).

سألها المحقق ألدرن، والحيرة تتسرب من بين كلماته:

- أيهما يتطابق مع الوصف؟!

- لا أحد منهما يتطابق مع الوصف.

تقطب جبين المحقق ألدرن بعبوس، وأدار وجهه بغضب، فرفعت مساعِدته دوجانا عينيها إليه، قائلة:

- أعتذر يا حضرة المحقق، ولكن يبدو أننا أغفلنا أمرًا مهمًّا.

- وما هو ذلك الأمر؟!

- الأستاذة حسناء... فهي المسؤولة عن تأجير العيادة الطبية، وهي الوحيدة التي يمكن أن ترشدنا إلى الدكتور سِنان هذا.

نظر إليها المحقق ألدرن وابتسم ابتسامة ماكرة، قائلًا:

- أتظنين حقًّا أن يفوتني أمر كهذا؟!

ثم أضاف:

- لقد وصلتني معلومات من وزارة الداخلية تفيد بأنها في دولة (الكويت) لحضور مؤتمر التعاون الإسلامي، فهي معلمة دين وتهتم لهذه الموضوعات كثيراً.

- حسنًا، فهمت ماذا تقصد.

في تلك اللحظة، تراجع المُحقق ألدرن بصورة مفاجئة، بلا سابق إنذار أو تبرير، وقبل أن يُقدم على نطق حرف، اخترق الصمت رنين هاتفه المحمول فانتزعه بخفة ومهارة، وألقى نظرة خاطفة على اسم المُتصل، ثم همس لمساعِدته دوجانا قبل أن يُجيب:

- إنه الدكتور (يامن)..

همست دوجانا بصوتٍ مُحمّل بالترقب والتساؤل:

- من الطب الشرعي؟!

أيّد المُحقق ألدرن بإيماءة رأسٍ مُقتضبة، وهو يُجيب على الهاتف، مُتسائلًا بنبرةٍ تحمل طيات الجدية قائلًا:

- هل أثمرت تحرياتك عن شيء يا دكتور يامن؟!

عبس وجهه بشدة، وتغيّرت ملامحه بصورة دراماتيكية وهو يُصغي إلى رد الدكتور. فوقفت مساعِدته دوجانا تُراقبه، تُلقي عليه الأسئلة في توتر وقلق:

جميع الحقوق محفوظة لقناة رَقّش

- هل وصل إلى نتيجة؟!

كان المُحقق ألدرن غارقًا في استماعه للمُكالمة، لدرجة أنه بدا وكأنه لم يسمع استفسارات دوجانا إذ كانت ملامحه تُشير إلى أن ما يُخبره به الدكتور يامن يحمل في طياته مفاجأة مُرعبة ومُخيفة... إلى حدٍّ بعيد جدًّا...

الفصل الثالث

3

خطوات بين اليقين والشك

في ركنٍ معتمٍ من أروقة معمل الطب الشرعي، حيث يقبع الدكتور يامن، رئيس قسم الطب الشرعي، غارقًا في صمتٍ رهيب.

وقف المحقق ألدرن، وتلألأت عيناه البنيتان بلهيب الغضب، وتحركت شفتاه بكلماتٍ متجمدة لا تُسمع وكانت يداه تعصران سيجارة التبغ، وينفث من شفتيه خيوطًا دقيقة من الدخان تتخلل الهواء الثقيل بالضباب.

بدا وكأن وجهه يحمل أسئلة لا تُعد، وكأنه يحدق في النافذة باحثًا عن أجوبة في ظلمات الليل البعيدة.

والمطر يتساقط بخفة خارج النافذة، يرسم على الزجاج بقطراته الدقيقة. المشهد يتلون بألوان غامضة، والمطر ينسج لحنًا خافتًا على النافذة، والمشاهد والاستفهامات تتشابك في ذهن المحقق ألدرن، فنطق بكبرياء لم يقصده:

- أعِدْ عليّ ما أفصحت به آنفًا يا دكتور يامن.

رفع الدكتور يامن يده ملوحًا في الفضاء، متمتمًا بنبرة متبرمة:

- لقد سردتُ لك المعلومات بأكملها.

- أعتذر منك . . .

ثم أردف:

- لكنك تعي جيدًا معاناتي السابقة مع الانفصام، وما زالت آثارها تطاردني، لذا أرغب في سماع ما ذكرته مجددًا لأتمكن من استيعاب تلك المعلومات من جديد. . . إن أذنت.

أخذ الدكتور يامن نفسًا عميقًا، وهو يقول:

- كل تلك الأنياب قد اقتُلعت، وأصحابها لا يزالون بين الحياة و. . .

حاول الدكتور يامن أن يزيد على حديثه ولكن المحقق ألدرن قاطعه، قائلًا:

- يا له من مشهد مروع!!

ثم تابع بحدة:

- ومن هذا المختل الذي يمكن أن يفعل شيئًا كهذا؟!

هز الدكتور يامن كتفيه بلا مبالاة، قائلًا:

- ولكن أصحابها لم يحسوا بوجع القلع.

استدار المحقق ألدرن نحو النافذة، ينفث دخان سيجارته مرة أخرى، والاستفهامات تتطاير من فمه مع الدخان قائلًا:

- دون أن يُخدَّروا؟!

تنهد الدكتور يامن بقوة، وكأنه يشعر بالضجر من إعادة ما سبق وشرحه منذ لحظات، قائلًا:

- لقد كانوا في حالة فقدان للوعي التام بعـ...

أوقفه المحقق ألدرن بإشارة من إصبعه، منعًا له من الإطالة، ثم ألقى بسيجارته أرضًا، وداس عليها بقدمه بعنف، وكأنه يسحق معها كل ما يعتمل في نفسه من أفكار وتساؤلات، قبل أن يشير بإصبعه مرة أخرى إلى الدكتور يامن، قائلًا:

- أعِدْ على مسامعي تلك المعلومات المقززة التي أخبرتني بها للتو.

تنهد الدكتور يامن مرة أخرى، قائلًا:

- تلك الفجوات داخل أفواه الضحايا لم تكن إلا مقدمة لاقتلاع أنيابهن.

استحكمت ملامح المحقق ألدرن بشدة، وتمتم بتقزز قائلًا:

- وهن على قيد الحياة؟!!

أطلق الدكتور يامن تنهيدة مثقلة وهو يهز رأسه موافقًا، وأردف بصوت يكسوه الوهن:

- إن هذا المشهد بالذات، ينضح برهبة مطلقة، إذ اقتلعت أنيابهن بآلة تشبه كماشة قطع... وهن لا يزلن يتنفسن الحياة.

أغمض المحقق ألدرن جفنيه، متأثرًا بفداحة ما نقله إليه الدكتور يامن، وهمس بصوت مبحوح:

- لا بد أن الأوجاع التي عانين منها كانت مروعة إلى حد لا يُحتمل.

تسلل الصمت إلى ذهن الدكتور يامن لبرهة، قبل أن يبوح بكلماته بحذر شديد:

- لا أستطيع أن أؤكد لك هذا الأمر بيقين.

استدار المحقق ألدرن نحوه بتعجب مفاجئ، وتساءل بنبرة متذمرة:

- كيف لا تستطيع التأكيد؟!... لقد أخبرتني بأن أنيابهن قد اقتُلعت وهن على قيد الحياة، ورؤوسهن أيضًا قُطعت، دون أن يُمنحن رحمة التخدير، فكيف لا تستطيع التصريح بمعاناتهن؟!

- لقد خُطت على محياهن تعابير الهلع المفزعة، وذلك مع انطفاء شعلة

وعيهن، حيث تم قلع أنيابهن لاحقًا، ولكن من الناحية الطبية، يتطلب الإحساس بالألم وجود الخلايا العصبية، التي تتلقى إشارات الألم من داخل الفم، بالتحديد من تلك الأنياب، ثم تعيد إرسالها إلى خلايا الدماغ، ولكن بمجرد اقتلاع الأنياب من الفم، تتوقف مستقبلات الألم عن العمل.

ظهرت على المحقق ألدرن علامات الذهول من المعلومات التي استقاها من الدكتور يامن، فتساءل بحيرة مكتومة:

- وماذا عن قطع الرؤوس؟!

- تم ذلك بالتزامن مع اقتلاع الأنياب.

- كيف استمرت أجسادهن في الحياة إذًا، بعد قطع الرؤوس وقلع الأنياب؟!

أجاب الدكتور يامن على استفسار المحقق ألدرن بشكل مفاجئ، قائلًا:

- حتى بعد قطع الرؤوس وقلع الأنياب، يستمر القلب في الخفقان لثوانٍ؛ لأن له مركزًا عصبيًّا مستقلًّا.

ساد الصمت بينهما للحظات، قبل أن يعود المحقق ألدرن ليوجه نظره نحو الدكتور يامن مرة أخرى، قائلًا وكأنه يخاطب ذاته:

- هذا يكشف لنا أننا أمام قاتل متسلسل ذي ندرة مخيفة.

- قاتل يتخبط داخل دوامة الاضطراب النفسي، وسادي جدًّا يفوق كل

المجرمين الذين شهدتهم في حياتي.

- صحيح أنني لم أصادف قاتلًا متسلسلًا بهذا الشكل طوال فترة خدمتي في قسم البحث الجنائي، لكنني درست الكثير عن هذا النوع من المجرمين، واستفدت كثيراً من قضية سفاح النساء التي وقعت قبل خمس سنوات، ودونتها في دفتر مذكراتي الذي أسميته (انفصام).

أفصح الدكتور يامن بحذر متزايد:

- يبدو لي أنك في حاجة إلى مشورة طبيب نفسي متخصص في السلوك الإجرامي، فمعظم القتلة المتسلسلين يكابدون من اختلال نفسي، وهذا القاتل بالذات يبدو مختلفًا ومضطربًا بشكل استثنائي.

تأمله المحقق ألدرن لبرهة بصمت، ثم أطلق كلماته في تفكير محموم يتبعه قلق متصاعد:

- الرؤوس والأنياب التي تم العثور عليها، تلمح إلى أن ضحاياه كانوا دائمًا من الصغار.

أقر الدكتور يامن برأسه، مضيفًا على حديث المحقق ألدرن، قائلًا:

- وأن أعمارهن تتراوح ما بين السابعة والسابعة عشرة.

- هذا يعني أن أعمار ضحاياه لم تبلغ السن القانونية بعد.

ثم تابع المحقق ألدرن قائلًا:

- وماذا عن جنسياتهن؟!

- أكد التحليل الجيني أن جميعهن يملن الجنسية ذاتها وجميعهن من الإناث.

- وماذا عن أهالي الضحايا؟! فمن غير المعقول أن يختفي كل هذا العدد من الأطفال دون أن يثيروا انتباه عائلاتهم.

تريّث الدكتور يامن لبرهة، قبل أن ينطق بكلماته المحمّلة بالتردد:

- كل هؤلاء الصغار... مبتورون من جذورهم، فقد كشف الفحص الجيني أن لا أُسر تقف في انتظارهم.

تجهّمت ملامح المحقق ألدرن، وتعقّدت في دهشة وتصلّب، إلى أن أشار بإصبعه السبّابة نحو الفضاء، معلنًا بثقة:

- إنه لمجرم ماهر... يحسن اختيار ضحاياه بعناية فائقة.

أطلق المحقق ألدرن تلك العبارات وهو يتناول هاتفه المحمول، مستعدًّا لمفارقة الغرفة، فاستوقفه الدكتور يامن بنبرة مشوبة بالشك قائلًا:

- وما مصير الدكتور سِنان... طبيب الأسنان هذا؟!

توقّف المحقق ألدرن عند مصراع الباب، ثم استدار إلى الدكتور يامن، رادًّا على استفساره بجزم:

- أظن أن العثور عليه قد يكون محالًا.

بدأت الحيرة تتسلل إلى أفكار الدكتور يامن، فتمتم بتساؤل:

- هل تعني أنه قد فرّ من ربوع الوطن، أم أنه كان يتخفى خلف اسم ومظهر يخالفان حقيقته؟!

أومأ المحقق ألدرن بإصبعه نافيًا دون أن يلفظ بكلمة واحدة، وتراقصت على شفتيه ابتسامة باهتة، قبل أن يطبق باب المكتب خلفه، تاركًا الدكتور يامن يغرق في بحر من التساؤلات... تساؤل تلو الآخر، من دون توقف...

***

في ركنٍ خافتٍ من الحديقة المهجورة... تتأمل الطفلة الألعاب البالية.

الأرجوحة الآيلة للسقوط تهتز رويدًا في الفضاء، والزلاقة المتآكلة تقف كأنها تنتظر حدثًا ما.

الأشجار العقيمة تميل فوقها، وأوراقها الذابلة تهوي بهدوء. يبدو أن الأزمان قد جمدت هنا، والنسيم القارس يداعب الألعاب اليتيمة.

إذ تحتضن الطفلة دمية مشوهةً بين يديها، وعيناها الواسعتان تنقبان عن لغزٍ مستتر، هل هي معزولةٌ هنا؟! أم أن ثمة كائنًا آخر يتربص بها من العتمة؟!

فجأة، وبلا مقدمات، التفتت الطفلة نحو ذلك الظل الشاحب حيث بدأت معالمه تبرز تدريجيًّا.

فإذا بها تلمح ذلك الشخص ذا الملامح النبيلة، الذي فاجأ والدتها بالحقنة الطبية، تلك السمات أنفسها مع نظارة طبية ذات إطار ذهبي يبرق بريقه في الأفق، إلا أنه يرتدي معطفًا ناصع البياض يشبه معاطف الأطباء لكنه ملطخ بدنسٍ من ألوان شتى. اقترب ذلك الرجل ذو الظل الشاحب من الطفلة التي أمامه فانحنى بزاوية حادة حتى صار على مستوى قامتها قائلًا:

- هل ترغبين في اللعب، أيتها الجميلة؟!

أومأت برأسها موافقة، فتابع قائلًا:

- حسنًا، ما رأيكِ بأن نمارس لعبة (الزوج والزوجة)؟!... إنها لعبة ممتعة وللغاية.

وبعد أن أتم كلماته، حمل الطفلة على كتفه كما لو أنه يحمل قربانًا بعد ذبحه، وابتعد بها عن الحديقة المهجورة وهي تضربه بساقيها محاولة الفرار منه.

لكنه وجه لها ضربات قاسية أفقدتها وعيها...

***

وبعد لحظات استقر داخل عيادة طبية مجاورة للحديقة، يمكن مشاهدة الضوء يتسلل من خلف الستائر البلاستيكية القديمة.

والجدران ملوثة بآثار الطلاء الأبيض الذي اندثر مع تقادم الزمان، والأثاث قديم الطراز ومتداعٍ.

حيث ترقد الطفلة، ذات الشعر الأسود الطويل، على السرير الطبي، وعيناها مغمضتان بإحكام بطريقة غريبة.

ذلك الرجل ذو الظل الشاحب، الذي يلبس قناعًا وقفازات طبية، يقف إلى جانبها يراقبها بعيون ماكرة.

يبدو وكأن هناك شيئًا خفيًّا سيحدث، والقلق يعم الأجواء.

هل هذه العيادة مجرد مكان لمعالجة الأسنان، أم أن هناك أحداثًا أخرى تجري في الخفاء؟!

ذلك الرجل ذو الظل الشاحب بدا وكأنه خرج من حكاية مرعبة، يحيط به

الهلع والفزع.

ومعطفه الأبيض الملوث والممزق قليلًا، يبدو وكأنه شاهد على العديد من الأيام القارسة والليالي البهيمة.

قناعه الطبي يستر ملامح وجهه، وعيناه الثاقبتان تتلألأن بالحيرة والريبة. يمسك في يده أدوات طبية معطوبة، وبسكينة مطلقة اقترب منها ذلك الرجل ذو الظل الشاحب، ودفع بالإضاءة الطبية فوق عنقها مباشرة وهي مقيدة فوق ذلك السرير الطبي بلا وعي ولا إحساس بما يدور حولها.

بنظرات متجمدة، راقبها ذو الظل الشاحب بلا اكتراث، ثم اقترب من فمها وهو جالس على ذلك الكرسي المتسخ والمتهالك.

حمل ذلك الرجل ذو الظل الشاحب ملقطًا طبيًّا ذا مقبض من العاج بيده الرقيقة، حيث الأداة تبدو عتيقة ومتآكلة، كأنها تخفي مكنونات عميقة.

وتشكلت ابتسامة غامضة حول شفتيه الداكنتين، وأمسك الملقط بإحكام، وقال بصوت خافت:

- الآن... سنقلع هذه الأنياب، أيتها الجميلة.

أطلق هذه الكلمات وهو يرمقها بنظرات ملؤها الشر، وكأن المشهد تجسيد لأبشع الكوابيس.

وما أن انتهى من قلع تلك الأنياب، حتى وقف ذلك الظل الشاحب أمام

الطفلة، يتفحص ما حوله، فإذا به يقع نظره على ساطور ذي نصل محدب، يبرق بريقًا يعكس نصاعته.

فتناوله برشاقة مفاجئة، ودون أي إنذار، غرس الرجل ذو الظل الشاحب ذلك الساطور ذا النصل المنحني في عنق الطفلة بوحشية.

كان المشهد يوحي بالرحمة القاتلة... لا وجع ولا تأوه.

وبعد أن غرس ذلك الساطور ذا النصل المنحني في عنقها، انفصل رأسها عن جسدها، وتدحرج بعيدًا، وعلى ملامحها ترتسم صورة السكينة والطهر، وكأنها كانت على علم بما سيحدث لها منذ أن رأت ذلك الظل الشاحب، لكنها اختارت الصمت، وكتمت السر في قلبها إلى الأبد.

فبدأ يقترب منها مرة أخرى وبهدوء بالغ راح يجس جذعها بحذر شديد كما لو أنه يداعب ظهر حيوانه الأليف بكل مرح، وهي مستلقية فوق ذلك السرير الطبي كقنديلٍ يحاول ملأهُ بالزيت ليشعله.

معلنًا بذلك دخوله في المحظور وفعل المنكرات وتفريغ غرائزه وهتك عرض تلك الطفلة كعُرُبٍ أترابٍ.

من أجل غاية لحظية... غاية لا يدركها إلا بفعل المحرمات.

لقد كان يفرض هيمنته على محيطها الأثيري بوابل من اللثمِ... بتباعدٍ يتسم بالأبديةِ دون ذرة إعياء أو شعور بالضجرِ... كإلاهةِ جمالٍ... يقدِّم فُروض الغزوِ ما بين قائمتيها ويشرع عبادة اللعقِ... ليلة مجردة من

الحُللِ... وكأنها جريرةٌ في متاهات الجحيم، تتجلى في حجرةٍ مُعتمة...

***

- مُحالٌ أن يكون ذاك الواقع؟!

صاحت دوجانا، بتلك الكلمات مُشرئبةً بالعجب والحيرة، وهي ترمق المُحقق ألدرن الذي كان يُشعل سيجارة التبغ، مُحاولًا ستر قلقه البادي، قائلًا:

- أعيدي التمعن في تلك الصورة البهلوانية... رجل ذو قامة متوسطة، وجهه يشبه حبة اللوز في استدارتها، ويزين شفته العليا شارب غزير يمتد ليلاقي لحيته، وتتخلل خصلات شعره الداكنة بعض خيوط الشيب، ويحجب بصره وراء نظارات طبية تعكس بريق الألمعية وينطق بلكنةٍ شامية، أليس كل ذلك يبدو كشخصيّة بهلوانية في مسرحية هزلية؟!

- تُرى... هل تشير يا حضرة المحقق، إلى أننا أمام مُدعٍ يخفي حقيقته؟!

أومأ المُحقق ألدرن بإصبعه مُنكرًا وهو يُطلق عباب دخان سيجارته في الفضاء، قبل أن يُضيف مُسترسلًا:

- دعينا نُعِدِ النظر في كل ما يخص هذا الدكتور سِنان، فالأستاذة حسناء التي تُدير تأجير العيادة في دولة «الكويت» من أجل المؤتمر... والحكيم الذي يُصدق كل من يزعم أنه استأجر عيادةً وكأن...

لم يتمكن المُحقق ألدرن من إتمام حديثه، إذ قاطعته مساعِدته دوجانا بلهفة، قائلة:

- لكن الأستاذة حسناء تُبلغه عبر الهاتف.

- ذاك الحكيم الطاعن في السن قد يكون ساذجًا في تمحيص الأمور... ربما أتقن الدكتور سِنان فن تقليد صوت الأستاذة حسناء... لا تنسي أننا نعيش في زمن التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي؛ ولنا في قضية الكاتب الذي اتُّهم ظلمًا بالتحرش بقرائه عبر رسائل مفبركة خير مثال على ذلك.

أزبد وجه مساعِدته دوجانا وهيَ تستفسر بحنق:

- أتُشير بقولك هذا إلى تبرئة الأستاذة حسناء؟!

- كيف لي أن أُقر بذلك ولم نُجرِ استجوابها بعد؟!

- هذا يعني أننا نُطارد سرابًا، يا حضرة المحقق؟!

أجاب المُحقق ألدرن على استفسارها وهو يواصل استنشاق دخان سيجارته بثبات، قائلًا بحزم:

- بالضبط، نحن نتعقب طيفًا أوهمنا به، وترك للحكيم مهمة نقله إلينا.

- لماذا؟!... هل ليَتُرك تلك الأنياب والأعضاء داخل ذلك الكيس القماشي في ساحة العيادة دون غيره؟!

وأضافت دوجانا بتعجب:

- ألم يكن أولى به أن يُخفيها أو يُبعدها في أرض بور، بدلًا من تلك الساحة؟!

- والأعجب أنه لم يُخفِ ذلك الكيس القماشي وأبقاه مكشوفًا.

رمقت دوجانا نظرة إلى المُحقق ألدرن وسألته بأنفاس مُتحيرة:

- هل تظن أنه أراد لنا أن نجدها، يا حضرة المحقق؟!

لم تتلقَ دوجانا ردًّا على تساؤلها في الحال، فالُمحقق ألدرن استمر في التدخين لبرهة في صمت، قبل أن يهمس قائلًا:

- والطلاء المُمزوج بالدماء في غرفة العيادة...

ثم تابع:

- نعم... لقد أقدم على كل ذلك ليُعري نفسه أمامنا.

- ماذا تعني؟!

استدار المُحقق ألدرن نحوها بحركة مُفاجئة، وهو يُطفئ سيجارته بقدمه، قائلًا:

- إنه يتلاعب بنا.

تجهمت ملامح دوجانا بالشك والقلق دون أن تُصدر صوتًا، فواصل المُحقق ألدرن حديثه بنبرة مُتبرمة:

- إنه يختبر عبقريته في مواجهة فطنتنا.

- هل يُعقل ذلك، يا حضرة المحقق؟!

لم يُجب المُحقق ألدرن على استفساراتها، بل قال بلهجة مُتهورة:

- الدكتور يامن على صواب.

مالت دوجانا برأسها في حيرة، فنظر إليها ألدرن، مُكملًا حديثه بصرامة:

- يجب أن نستعين بطبيب نفسي، طبيب ذي باع طويل في تحليل السلوك الإجرامي والأمراض النفسية.

ثم أضاف:

جميع الحقوق محفوظة لقناة رَقش

- وأظن أنني أعرف الشخص المثالي الذي سيُعيننا.

ألقى المُحقق ألدرن تلك العبارات والفضول بدأ يتسلل إلى أفكار مساعِدته دوجانا، والتساؤلات تتردد في الأثير أكثر فأكثر...

***

في هدوء القبور، استوطن ذلك الشخص ذو الظلال الشاحبة... متأملًا بنظراته الثاقبة أدواته العلمية المتناثرة بين أركان المعمل البائس.

تتراقص الأجهزة الطبية بأنوارها الخافتة، تخترق ضباب الغرفة الكثيف، وكأنها نجوم تتلألأ في سماء معتمة.

كانت العيادة يومًا ما ملجأ للحياة، أما اليوم فقد أصبحت مأوًى للنسيان والإهمال... السقف المتداعي ينثر حطامه على أرضية ملطخة بأوراق الشجر المتحللة والغبار الثقيل.

ذاك الشخص ذو الظلال الشاحبة، يلبس قفازات مطاطية ممزقة الأطراف، يخطو بتؤدة على أرضية متشققة.

يبدو كأنه يخفي مجهولات عميقة، وعيناه تعكسان سهاد ليالٍ مديدة من البحث الدؤوب والتجارب المضنية.

يظهر كعالِم مسكون بالجنون، يطارد الحقيقة خلف الأسى والعلل، أو كمخترع يجتهد ليبتدع ما هو خارق وباهر.

المعدات تعمل في صمت... والأجهزة الطبية تفوح منها روائح الإيثانول والمعقمات، وتتدلى الأنابيب والأسلاك من الأعلى.

إحدى الآلات كانت تسحق خلايا أنياب بشرية، مستخلصة من فم ضحية حديثة، ثم تدور بسرعة فائقة، كخلاط ضخم... تضيف إليه باستمرار محاليل وأحماضًا غامضة، ذات ألوان متنوعة ورائحة غريبة، كمحلول الإيثيلين، وحمض اللاكتيك، وقليل من مزيج حمض الهيالورونيك ومحلول الصوديوم، وأخيراً مزيجاً من السوائل النُّطفية والكالسيوم.

كل تلك المحاليل والأحماض كانت تُمزج بعناية مع تلك الأنياب المقلوعة داخل الخلاط العملاق، وكانت عينا ذاك الشخص ذي الظلال الشاحبة

تتلألأ، كأنها تشير إلى أن كل شيء يسير وفق المخطط.

وبعد ساعتين متواصلتين من الخلط، تحول المزيج إلى سائل ذي قوام كثيف، وبضغطة زر، بدأت عملية ضغط السائل وتصفيته عبر مصفاة طبية متناهية الدقة، تحتها نيران متأججة تنفث دخانًا يملأ المكان كضباب داكن وأسود.

وبعد مرحلة التصفية، اكتسب المزيج قوامًا رماديًّا يميل للبياض، ثقيلًا نوعًا ما ولزجًا بعض الشيء.

يتقاطر منه سائل ذهبي اللون، يمتزج بآخر بلون الأقحوان، داخل وعاء ضخم ليعطي المزيج لونًا يشبه الرمال، وكانت قطرات المزيج تتساقط من خلال أنابيب دقيقة لتملأ محاقن طبية صغيرة الواحد تلو الآخر.

وبصبر الأولياء، ومن خلف نظارته الداكنة التي تعكس ضوء القمر الخافت، راقب ذلك الشخص الشاحب ذو الظلال العابرة مجريات الأمور.

وبعد انتظار دام لحظات محتشدة بالتوتر، استطاع أخيراً أن يستولي على صفيحة فضية تزخر بمحاقن طبية لامعة، قبل أن تقوم آلة قديمة بتغليفها بورق الألمنيوم وتختمها بختم الأبدية.

وبقلب يكاد يقفز من الحماس، انتزع ذلك الظل الشاحب قنينة واحدة، وأدخل برفق إبرة نحيلة في محقن يحتوي على مزيج سائل ذهبي اللون.

وبحركة محسوبة، استخلص ثلاثة سنتيمترات من الإكسير السحري،

ليكشف بعدها عن ساعده العاري، ويغرس الإبرة في مجرى دمه، مستنشقًا آخر قطرات اللذة بعينين مغمضتين.

وحينما فتح عينيه مجددًا، كانتا تشعان ببريق أشد وضاءة، تتلألأان كجوهرتين مصقولتين بنيران الجحيم الأصفر.

وبنشاط متجدد، نهض ليجمع المحاقن الباقية ويضعها في ثلاجة صغيرة مخبأة في زاوية معتمة من مختبره الموحش.

وفي خطواته المتثاقلة، اصطدمت قدمه اليسرى برأس طفلة، فركله جانبًا دون مبالاة، وتنفس بعمق يشوبه الأسى، وألقى نظرة خاطفة على جسدٍ بلا رأس ولا أنياب يرقد في الظلام.

ثم استخرج صورة مطوية من جيب معطفه الأمامي، وفردها أمامه بحركة درامية.

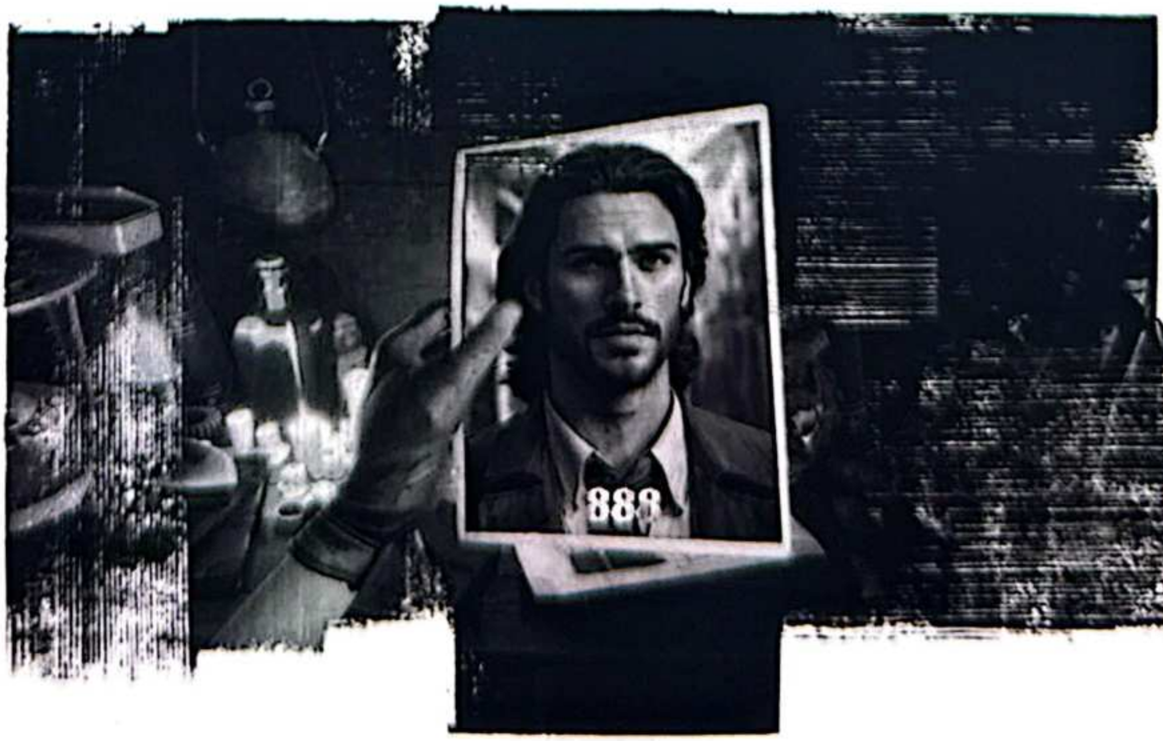

كانت الصورة تحمل ملامح رجل ذي ملامح أندلسية، عيناه تشعان كحبات القهوة الخولانية الفاخرة التي تنمو في أودية خولان الخصبة.

خداه المستديران يكسوهما النعاس، وتبرز غمازة رقيقة على خده الأيسر كلما ارتسمت على شفتيه ابتسامة عريضة.

حاجباه الكثيفان يشكلان قوسين حادين فوق عينيه، وشاربه الكث يمتزج بلحيته النافرة، وشعره الأسود الغزير يتمايل كذيل حصان عربي أصيل، يتقاذفه النسيم العاصف.

وأسفل الصورة، أرقام متماثلة تتكون من ثلاث خانات، «8,8,8»، وكأنها تنطوي على ألغاز الكون الخفية...

***

بظلال الشك والحيطة، ألقت امرأة فاتنة نظرة خاطفة نحو المحقق ألدرن، تلك المرأة ذات العيون الفستقية والخصلات القرمزية المتماوجة، وعلى مقربة من وجنتها اليسرى، شامة فارقة تزين محياها.

كانت كالفراشة الساحرة، تتراقص بجمالها المتفرد أينما حلت، تحولت الأنظار إليها، وكأنها ملكة البهاء، ترتدي معطفًا ناصع البياض يشبه معاطف الأطباء.

ومع تحفز الأفكار، انتقلت ببصرها المتوجس إلى دوجانا، قبل أن تطرح

بصوت تملؤه الريبة:

- هل ما أفصحتم عنه للتو مجرد وقائع متخيلة؟! أم أنها تنتمي لصفحات الروايات البوليسية للروائي مسعود حكيم؟!

تملكت الدهشة محيا دوجانا، وفي الأثناء... رد المحقق ألدرن بنبرة متزنة:

- للأسف... ما نواجهه ليس جريمة واحدة، بل متاهة من الجرائم المروعة، يا دكتورة (عبير).

تأملته الدكتورة عبير بعمق، ثم أطلقت صرخة مكتومة:

- يا للعجب! لطالما كان تخصصي في فك طلاسم السلوك الإجرامي والأمراض النفسية... وعلى مر السنين؛ شهدت على الكثير من هذه الأمور ولكن ما سردتموه لي يفوق كل ما مررت به، إنه يتجاوز حتى قصتك المؤلمة يا ألدرن.

وأضافت بصوت محمل بالأسى:

- حتى في أعتى أفلام الرعب ومؤلفات الجريمة، لا يمكن تصور هذا العنف والفظاعة.

تمتمت دوجانا بحزن:

- للأسف الشديد... هذه هي حقيقة عالمنا، يا دكتورة عبير.

- وهذا ما يزيد الأمر رهبة، يا دوجانا.

استدار المحقق ألدرن نحو الدكتورة عبير، قائلًا بجدية وحزم:

- لهذا السبب، جئت إليكِ في هذه المصحة العقلية بعد سنوات خمس، تاركًا خلفي كل مخاوفي، لتدلينا على طريقة التصدي لقاتل متسلسل بمثل هذا الدهاء.

- ألدرن... لقد افتقدت تلك الأيام الزاهية، وأنا مسرورة للغاية بأن أكون جزءًا من حل هذا اللغز المعقد.

ثم تابعت الدكتورة عبير وهي تعقد أناملها أمام وجهها:

- القاتل الذي تلاحقونه ماكر ومتغطرس، شخصية سيكوباتية لا تبالي بشيء سوى إشباع رغباتها الشاذة، ويستخدم العنف الجنسي كأداة للسيطرة، وهو ذو معرفة واسعة وتعليم عالٍ، يمتلك إلمامًا بعلوم شتى.

وأردفت وهي تبحث في حاسوبها المكتبي:

- وفوق ذلك... هو شخص يعاني من (البيدوفيليا).

بدت على المحقق ألدرن علامات الذهول، وعيناه اتسعتا كمن أدرك لتوّه أنه يقف على أعتاب لغز يفوق إدراكه.

صوته كان مشوبًا بالارتباك وهو يسأل بصوت بالكاد يخفي اضطرابه:

- وما معنى ذلك؟!

تقدمت الدكتورة عبير بخطوات بطيئة وواثقة، وكأنها تحمل الحقيقة التي ستغير كل شيء. فأضاء وهج الشاشة وجهها، مما أضفى على ملامحها ظلًا غامضًا.

فأشارت بأصابعها النحيلة نحو الشاشة، وقالت بصوت منخفض، كمن يكشف عن سر دفين:

- انظر بنفسك... هنا تبدأ الحكاية.

بدأت الدكتورة عبير تقرأ محتويات الحاسوب بصوت رتيب، لكنه يحمل بين طياته توترًا مستتراً، وكأن الكلمات التي تنطق بها تخفي أكثر مما تكشف.

البيدوفيليا

«البيدوفيليا» اضطراب نفسي يتسبب في أن يصبح لدى الفرد البالغ اهتمامٌ جنسٌي تجاه الأطفال الذين لم يصلوا إلى سن البلوغ بعد، إذ يمكن أن يتضمن هذا الاهتمام الاعتداء الجنسي على الأطفال، بالإضافة إلى ممارسة سلوكيات جنسية غير طبيعية معهم و يعد البيدوفيليا أحد أنواع الاضطرابات النفسية المعروفة باسم **«الولع الجنسي بالأطفال»** حيث يشعر الفرد بإثارة جنسية تجاه أشياء وحالات لا تكون جزءًا من المنبهات الجنسية الطبيعية، ويتسبب عادة بانجذاب المريض لأطفال من أحد الجنسين أو كليهما.

كما يُعرف مصطلح البيدوفيليا بـ «اضطراب اشتهاء الأطفال» و«اضطراب الغلمانية».

وفي الوقت نفسه يعاني ذلك السفاح أيضًا من «البارانويا» التبختر بالذات مع الشعور بعدم احترام الآخرين أو إدراكهم لذاته.....

لم تتمكن الدكتورة عبير من إتمام حديثها، إذ داهمها المحقق ألدرن بمداخلة مفاجئة، متسائلًا بنبرة محمومة وملؤه الحيرة:

- بيدوفيليا!!، لماذا سُمي بذلك الاسم الغريب وما الغاية الأساسية لدى المصابين بهذا الاضطراب؟!

- تعود تسمية «**البيدوفيليا**» إلى اللغة (اليونانية). حيث يشير مصطلح (**بيدوس**) إلى (**الطفل**) و(**فيليا**) إلى (**الحب**) أو (**الولع**)، بالتالي يعبر عن الاضطراب الجنسي والغاية الأساسية لدى المصابين بالبيدوفيليا غالبًا ما تكون الرغبة في تحقيق الإشباع الجنسي من خلال الأطفال، وهذا يمكن أن يشمل مجموعة متنوعة من السلوكيات، من النظر إلى الأطفال بشكل جنسي إلى الاعتداء الجنسي المباشر.

ثم أردفت قائلة:

- لذا هو يستفز أروقة المباحث الجنائية برمتها؛ ليؤكد لذاته أنه صاحب العقل الألمع، ولهذا الغرض... ينثر أدلة جرائمه أمامكم، كطُعم للمنازلة والمتعة، وليُبرهن على هيمنته على مجريات الأمور، مُظهرًا ذلك بتطويعه لضحاياه وإشباع نزواته عبرهم.

غمغم المحقق ألدرن بصوت خافت ملؤه الغيظ الخفي:

- ذاك البيدوفيلي... يعتقد أنه يفوقنا ذكاءً ومكرًا.

- إنه موقن بذلك.

تبادل المحقق ألدرن نظرات مشحونة بالتوتر مع مساعِدته دوجانا، قبل أن يطرح سؤاله بحزم، قائلًا:

- وماذا إن أثبتنا له النقيض؟!

أومأت الدكتورة عبير برأسها مُنكرة:

- لن يكون ذلك يسيراً أبدًا؛ فهو دومًا ما يسبقنا بالخطوة الأولى.

كان المحقق ألدرن يتأهب للبوح بشيء ما، لكن دوي رنين هاتفه المحمول قطع عليه ذلك، فأجاب على الهاتف بعجالة، مشيراً بإصبعه السبابة إلى الدكتورة عبير، قائلًا:

- عفوًا.

وألقى المحقق الدرن بتلك الأحرف وهو يضغط على زر الرد، ثم تابع قائلًا:

- ما الأمر؟!

انكسرت ملامح الدكتورة عبير بالشك، بينما نهضت مساعِدته دوجانا من مقعدها مضطربة، إذ بدا واضحًا على ملامح المحقق ألدرن أنه يستقبل خبراً صاعقًا.

خبراً مفزعًا ومهولًا... بالغ الرهبة...

الفصل الرابع

4

شعلة تضيء دروب المجهول

أغمضت دوجانا جفنيها، وهي تدير وجهها بنفور، تكافح للسيطرة على غثيان يعتصر أحشاءها.

بينما كان المحقق ألدرن يقف شامخاً كالجبل، متجردًا من العواطف، يدق في الصندوق الذي يستقر على مكتبه، والذي يضم رأس طفلة صغيرة، محفورة على ملامحها نقوش الفزع والألم.

وإلى جانب الرأس، كانت هناك مجموعة من الأنياب اللامعة، تبرق في الصندوق كأنها جواهر صقلها صائغ ماهر.

ساد صمت مطبق المكان، وكل من فيه يخشى أن ينبس ببنت شفة. حتى انفجر صبر المحقق ألدرن، وقال بصوت يخفي وراءه بعض الحدة:

- من الجاني الذي أتى بهذا إلى هنا؟!

تبادل عامل النظافة وحارس القسم نظرات ملؤها الذعر، وقال الأخير بصوت متهدج:

- الحقيقة يا حضرة المحقق... نحن لا ندري من أحضره إلى هنا.

- أتقولون لا تدرون؟!

وأضاف المحقق ألدرن بنبرة متعالية:

- صندوق بهذا الحجم يتربع فوق مكتبي وأنتم عاجزون عن تفسير كيف وصل إلى هنا؟!

تبادل الرجلان نظرات مشوبة بالشك، قبل أن يهمس عامل النظافة بصوت مخنوق:

- في الواقع يا سيدي... نحن نعرف كيف وصل الصندوق إلى مكتبك... لكننا نجهل الفاعل.

لم تجرؤ دوجانا على طرح أي سؤال، وهي تراقب ما يحدث حولها، خوفًا من أن تفتح فمها فتتقيأ ما في جوفها، بينما قال المحقق ألدرن بإحباط:

- هل من تفسير لهذا الجنون؟!

اندفع حارس القسم قائلًا بصوت مرتعش:

- هناك جندي أوصل هذا الصندوق إلى قسم البحث الجنائي... وأخبرني بأنه طرد خاص بك، جاء بناءً على طلبك، وعندما مررنا الصندوق عبر الفحص الأمني، لم نجد به معادن، فأدخلناه إلى مكتبك.

- متى اكتشفتم ما بداخل الصندوق؟!

أجاب عامل النظافة هذه المرة بصوت يرتجف:

- كنت أرغب في تنظيف مكتبك قبل وصولك يا سيدي، فلاحظت سائلًا

يتسرب من الصندوق، فقمت بفتحه لأجد الدم ينزف منه، و...

لم يتمكن من إكمال كلامه، فقد اختنق بعبرته، عاجزًا عن وصف مشاعره عندما اكتشف محتويات الصندوق، فقال المحقق ألدرن بتجهم:

- أرسلوا الصندوق وما فيه إلى قسم الأدلة الجنائية لأخذ الآثار، وانقلوه فورًا إلى الطب الشرعي.

وبعد أن انتهى المحقق ألدرن من كلماته، أدى حارس القسم التحية العسكرية وانطلق لتنفيذ الأمر، بينما جلس المحقق ألدرن خلف مكتبه، متمتمًا لمساعِدته دوجانا:

- ألم أقل لكِ إنه يتحدانا؟! يا له من بيدوفيلي مخيف...

وأشار بإصبعه نحو مكان الصندوق، قائلًا بغضب:

- ذلك السفاح البيدوفيلي... جاء بنفسه إلى قسم البحث الجنائي حيث يبحث عنه الجميع، ليضع رأس وأنياب ضحيته الجديدة على مكتبي.

- انظر... ليست لدي معرفة كبيرة بالطب الشرعي، لكن هذا الرأس يبدو أنه قُطع حديثًا وكذلك الأنياب.

- نعم... وهو يتحدانا بهذا الفعل.

بعد أن ألقى هذه الكلمات، رفع المحقق ألدرن سماعة الهاتف، فتمتمت مساعِدته دوجانا قائلة:

- هل تتصل بالدكتور يامن؟!

هز المحقق ألدرن رأسه نافيًا، وأجاب بحزم:

- بل بالدكتورة عبير... أريد تفسيراً لهذا العمل السادي الذي قام به ذلك البيدوفيلي...

***

- إنها لعبة!

بهذه الكلمات أجابت الدكتورة عبير على استفسارات المحقق ألدرن بعد أن استمعت إليه عبر الهاتف، فرد عليها المحقق ألدرن بدهشة:

- لعبة؟!... أخبركِ أن هذا البيدوفيلي قام بوضع رأسٍ مقطوعٍ وأنيابٍ مقلوعة على مكتبي.

أجابته الدكتورة عبير بهدوء عبر الهاتف قائلة:

- هنا تكمن المتعة في هذه اللعبة... إنه يختبر ذكاءه ضد أنظمة قسم البحث الجنائي بأكمله، ولكن... المتعة لا تكتمل إلا بوجود خصم بمستوى ذكائه.

استجوب المحقق ألدرن الدكتورة عبير بنبرة محمومة من خلال الهاتف، قائلًا بصوت متهدج:

- ما المرمى من تلك الإشارة إلى «الخصم»؟!

- أنت يا ألدرن ألا تذكر؟!... بماذا يلقبونك في أروقة البحث الجنائي يا حضرة المحقق (كونان[1]) أم أنك...

كانت الدكتورة عبير تكاد تضيف فصلًا آخر لحديثها، لكن المحقق ألدرن قاطعها بجفاء، متمتمًا:

- عبير... ألن تعفيني من هذا اللقب الملقى على عاتقي؟!

بعد أن قال ذلك... خيم الصمت المطبق لبرهة، قبل أن تكسره الدكتورة عبير، قائلة بمحاولة لطرد السكون:

- إن ذلك السفاح البيدوفيلي اختارك أنت لتكون خصمه اللدود في لعبة الشطرنج هذه.

همهم المحقق ألدرن بصوت خافت:

- تلك لعبة دنيئة ومفزعة.

- بالنسبة لشخصية سادية سيكوباتية وبيدوفيلية مثله... ليست إلا لعبة شطرنج يديرها هو... يضع قوانينها، وينتقي خصومه بعناية، ليشبع رغباته الغرائزية عبر ضحاياه.

وأضافت الدكتورة عبير بثبات:

- ولن يستسلم لفكرة الهزيمة أبدًا.

- إذا كانت مجرد لعبة شطرنج، فعليه أن يستعد لاحتمال الفوز

أو الخسارة.

- لكن تذكر... هو من يمسك بزمام اللعبة، يحدد مسارها، ويضع قوانينها، والأدهى أنه يملك القدرة على تغييرها كيفما يشاء، وبحسب ما تقتضيه الأحداث ويحول كل خطوة خسارة إلى انتصار مدوٍّ.

وبعد أن ألقت الدكتورة عبير هذه الكلمات، أنهى المحقق ألدرن المكالمة بغضب، وهو يفكر بحدة:

- لعبة وخصم؟! ما هذا التحليل يا عبير؟!

ومع تلك الكلمات الأخيرة، وصل فريق الأدلة الجنائية، وقد بدت على وجوههم علامات الذهول والفزع، وهم يدقون في الرأس المقطوع والأنياب المقتلعة داخل الصندوق.

وقف المحقق ألدرن خلف مكتبه، متجمدًا، قائلًا:

- الرأس والأنياب المقتلعة سيتسلمها الطب الشرعي قريبًا، لكن قبل ذلك، افحصوها جيدًا، وبالنسبة لذلك الصندوق، أريد كل الآثار التي تغطيه.

بدا وكأن الوقت قد تجمد لبرهة في مكتب المحقق ألدرن، حيث تحرك فريق الأدلة الجنائية بخطًا مترددة، يجمعون الأدلة بعناية فائقة من حول ذلك الصندوق.

وفي غمرة الصمت المطبق، تقدمت دوجانا بسؤال محمل بالقلق، وهي ترمق فريق الأدلة الجنائية بنظرات متسائلة:

- كم يلزمنا من الوقت لنستخلص هوية صاحب هذه الآثار؟!

أجاب ضابط الأدلة الجنائية، وهو ينظر إليها بثقة:

- لقد استدعينا سيارة الأدلة الجنائية المتنقلة، المزودة بكل ما نحتاجه من معدات، وهي الآن في طريقها إلينا، ستمكننا من تحليل هذه الآثار وكشف الحقائق في لمح البصر.

- رائع...

همست دوجانا بالكلمة وكأنها تخرج من أعماق دهشتها، فيما عيناها تراقبان المحقق ألدرن الذي نهض فجأة من مكتبه، وكأن شرارة غامضة أشعلت داخله... خطاه كانت سريعة، تكاد تضرب الأرض بإيقاع متسارع، وكأن الدهر يتعقبه.

فتح الباب بعنف، مستدعيًا حارس القسم وعامل النظافة مرة أخرى، وملامحه مشدودة كوتر على وشك الانفجار.

التفت إليهما بنظرة كأنها تخترق الحقيقة مباشرة، وسأل بنبرة جافة لكنها تحمل تحتها توترًا لا تخطئه الأذن:

- هل بإمكانكما وصف ذلك الجندي المتنكر؟!

كانت الأجواء مشحونة بصمت ثقيل، كأن الهواء ذاته يخشى التدخل، بينما ارتفعت حرارة اللحظة وبدأت الحقيقة تلوح في الأفق، لكنها لم تكن سهلة المنال.

فأجاب حارس القسم، وهو يحاول استرجاع تفاصيل ذلك الجندي المتنكر، قائلًا:

- كان ظله شاحبًا كالقصب... وشاربه الكثيف يمتد ليلتقي بلحيته، وحاجباه رفيعان كخيوط العنكبوت، وصوته كان خشنًا كصرير الأبواب القديمة.

أخذ المحقق ألدرن نفسًا عميقًا، محاولًا تهدئة أعصابه المتوترة، وهو يردد بصوت متحشرج:

- شارب كثيف يلتقي بلحية، وحاجبان رفيعان! يبدو أنه فنان في فن التخفي.

وبينما كان المحقق ألدرن يلفظ آخر كلماته، ظهر أحد أفراد فريق الأدلة الجنائية، وهو ينطق بكلمات تنضح بالشك:

- يا حضرة المحقق، لقد عثرنا على أثر غريب، يغطي هذه الأنياب المقتلعة.

التفت المحقق ألدرن نحو الضابط، وهو يسأل بتردد:

- ألا يجدر بكم إرسالها إلى سيارة الأدلة الجنائية أولًا؟!

لم يرد الضابط على سؤال المحقق ألدرن، بل اكتفى برفع الأثر الذي تم نقله إلى قطعة لاصقة شفافة زرقاء، وهو يهمس:

- إنها بارزة كبزوغ الفجر... يا حضرة المحقق.

نظر المحقق ألدرن إلى الأثر، وشعر برعشة تسري في أوصاله، كأنها برودة الجليد الأبدي في أنتاركتيكا[2].

فما رآه كان مذهلًا، ومرعبًا للغاية، لدرجة أن الواقع بدا كالخيال. والأجواء امتلأت بالتوتر والغموض، والصمت أصبح كالرصاص يثقل الأجواء. وعيناه البنيتان تلمعان باليقظة والحذر الشديد...

في يوم مشمس وفي قلب حي (المحمدية) بمدينة (جدة) يستقر منزل

قديمٌ جدًّا ما بين الأزقة الشعبية، وكأنه شاهد على أزمان لا تزال تحكيها الرياح المتجولة.

تحيط به حدائق مهملة داخل تلك المشربيات[3] الحجازية التي تزين النوافذ المهجورة بنقوش هندسية معقدة، يتسلل الضوء من خلال أوراق النخيل المتعبة، والجدران المتشققة تحمل علامات السنين، والأبواب الخشبية تنبض بالحكايات المدفونة.

تداخل الظلال والضوء يخلق لوحة فنية على الأرضيات البلاطية المتهالكة.

وترتفع درجات الحرارة في الأروقة الضيقة والرطوبة تلتصق بالجدران، كأنها تحاول الهروب من هذا المكان المبتور.

ارتسمت ابتسامة واسعة على محياه، معلنة عن وصول عامل التوصيل، وهو رجل ذو قامة متوسطة، وجهه يشبه حبة اللوز في استدارتها، ويزين شفته العليا شارب غزير يمتد ليلاقي لحيته، وتتخلل خصلات شعره الداكنة بعض خيوط الشيب، ويحجب بصره وراء نظارات طبية تعكس بريق الألمعية.

مدّ يده... حاملًا صندوقًا متناسق الأبعاد، إلى امرأة في عقدها الرابع... سمرتها تعكس أشعة الشمس اللافحة، وعيناها البنيتان تبرقان باليقظة والحيطة، وشعرها الأسود الطويل ينسدل على منكبيها بفخامة، ساترًا بعضَ

محياها، ترتدي ثيابًا فضفاضة، تناسب قوامها الممتلئ، وتمنحها هيئةً مبهمة، وهي تستمع إلى كلماته الودودة:

- مساء الخير... يا سيدتي، أنا سِنان من مستشفى المصحة النفسية، وهذا الطرد موجه إلى حضرة المحقق ألدرن.

رمقته المرأة بنظرة متسائلة، وهمست لنفسها بصوت خافت:

- تلك المصحة التي زارها ألدرن حينما طوقته أغلال (الانفصام) وتابعت بصوت متزعزع:

- ما الذي يحويه هذا الطرد؟!

توسعت ابتسامة عامل التوصيل وأجاب بنبرة محايدة:

- سيدتي... أنا لست إلا عامل توصيل، ولا علم لي بمحتويات هذا الطرد، كل ما أعلمه أنه قُدم كهدية من المصحة للمحقق ألدرن.

أحاطتها الشكوك، فأخذت تفحصه بعينيها الثاقبتين، من قمة رأسه المهندم وحتى أطراف أصابعه، مرورًا بنظارته الطبية وشاربه الكث، وزيه الذي يحمل شعار المصحة النفسية.

ولكن، تذكرت فجأة تحذير ابن أختها، الذي أوصاها بعدم قبول أي شيء دون إخباره، فسحبت يدها بسرعة، قائلة:

- لا يمكنني قبول أي شيء قبل أن أستشير ألدرن وأبلغه بالأمر.

- لا بأس سيدتي... أبلغيه بذلك.

انسحبت المرأة إلى داخل منزلها، وهي تخرج هاتفها المحمول لتتصل بالمحقق ألدرن، ولم يمض إلا لحظات حتى رد عليها بصوت متوتر:

- هل أنتِ بخير؟!

- نعم يا بني... أنا بخير، لكن ما الذي يقلقك؟!

- خالة (نزرية)... أرجوكِ، أجيبي بوضوح.

تمتمت خالته نزرية بنبرة مضطربة:

- أنا بخير... وكل شيء تحت السيطرة.

- إذًا... ما الذي دعاكِ للاتصال فجأة؟!

- أردت إخبارك عن طرد وصلك.

- أي طرد تعنين؟!

لم تستوعب سبب قلقه الشديد، فأجابت:

- ما الأمر، يا ألدرن؟!... إنه مجرد طرد.

وأضافت:

- أظن أن الدكتورة عبير أرسلته لك من المصحة النفسية التي كنت تتعالج فيها مع الأستاذ سِنان و...

قاطعها المحقق ألدرن بصوت جهوري:

- سِنان؟! يا للعجب، أغلقي باب المنزل فورًا، ولا تستقبلي أي طرد منه.

وأردف محذرًا:

- هل تسمعينني، يا خالتي؟!... أنا في طريقي إليكِ الآن.

اعتراها الرعب من صرخات المحقق ألدرن، فاستدارت لتغلق الباب بسرعة وخفة، لكنها اكتشفت أن الرجل قد تلاشى من أمامها، تاركًا الطرد يستقر على الأرض، فأغلقت الباب بإحكام، وهي تقول عبر الهاتف:

- لقد غادر... تاركًا الطرد خلفه، ما الذي يجري، يا بني؟!

- أنا على بُعد خطوات من المنزل، تحققي من إغلاق الباب جيدًا حتى أصل إليكِ.

بدأت دموعها تنهمر بغزارة، وهي تقول:

- لقد فعلت ذلك، يا بني... لقد فعلت.

قالت ذلك وبدأت تتساقط دموعها كالمطر، تنتظر بقلق وصول المحقق ألدرن...

***

- أهذا ما انتهت إليه الأحداث؟!

بصوتٍ يقطر حدةً وتساؤلًا، أطلق (وكيل وزارة الداخلية) السؤال على دوجانا، التي ردت بثبات:

- نعم... ما أفصحت عنه يا سيادة اللواء مؤكدُ بالبراهين الجنائية، فالأثر الذي اكتُشف على ذاك الصندوق، يعود لحارس القسم وعامل النظافة، ولكن! ثمة أثرُ آخر لا يُخطئه البصر، لذاك الذي تنكر في زي الجندي، وجاء متخفيًا إلى قسم البحث الجنائي مصطحبًا ذاك الصندوق.

تجهمت ملامح وكيل الوزارة، وتشابك حاجباه في تكدر، قائلًا:

- هل كانت كما وصفتِ بالضبط؟!

أيدت دوجانا بإيماءة من رأسها، مضيفة:

- يظهر أن ذاك الجندي المزيف كان يضع على أطرافه شرائح من اللدائن، تلك الشرائح التي أخفت آثاره الأصيلة، وتركت خلفها نقشًا مشابهاً للأثر، نُقش عليها عنوان بخط يكاد يكون مجهريًّا.

تمتم وكيل الوزارة بحيرة، رغم إلمامه المسبق بالأمر:

- أثر نُقش عليه عنوان؟!

- نعم... عنوان مسكن خالة المحقق ألدرن.

- لهذا هرع خارج القسم كأن الصاعقة أصابته.

- ذاك العنوان، كان إنذارًا وتحذيرًا يا سيادة اللواء؛ فذلك السفاح

البيدوفيلي، الذي يتلذذ بأذى الأطفال، أراد أن يُخطر المحقق ألدرن أين تقطن خالته.

تمتم وكيل الوزارة في ضيق للحظات، ثم استفسر:

- أو ربما يحاول إشعار ألدرن بأنه على دراية بماضيه.

أطلق تلك الاستفسارات وهو يمد يده لسماعة الهاتف، قائلًا:

- إلى جميع وحدات الأمن القومي... أرسلوا فرقة كاملة؛ لحماية مسكن خالة المحقق ألدرن والحي الذي تقيم فيه.

في تلك الأثناء، ارتفع صوت رنين هاتف دوجانا، التي ألقت نظرة استئذان إلى وكيل الوزارة، فأومأ مانحًا إياها الإذن، فتوجهت نحو زاوية قريبة من نافذة مكتب الوكيل وهي تجيب على المتصل، قائلة:

- تحت أمرك يا حضرة المحقق.

كانت تنطق تلك الكلمات وحاجباها يرتفعان في دهشة لما تسمعه، فسألها وكيل الوزارة بحيرة:

- ما الجديد في الأمر، ما الذي يحدث؟!

خفضت دوجانا الهاتف، وهي ترد على استفسار الوكيل بنبرة متوترة:

- المحقق ألدرن لا يطلب الدعم وحسب، بل يتطلع لفريق كامل من خبراء المتفجرات أيضًا يا سيادة اللواء.

وعند سماعه لتلك العبارات، تربّد وجه وكيل وزارة الداخلية بشك وخوف ... خوف شديد ومقلق جدًّا...

***

ضمت نزرية ابن أختها إلى صدرها في هلع، وعيناها تتابعان فريق المتفجرات وهم يحيطون بذلك الصندوق الغامض، بينما أفصح المحقق ألدرن مُطمئنًا على منكبيها:

- تعالي نتنحَّ جانبًا يا خالة نزرية، وندع الخبراء يقومون بواجبهم.

أجابت خالته والارتباك يعتصرها:

- هل من الممكن أن يكون ذلك الصندوق يخفي قنبلة؟!

- لست باليقين يا خالة... لكننا نتخذ الحيطة.

بهذا القول، انسحب نحو غرفة الجلوس مصطحبًا خالته وأوصد الباب بإحكام وراءهما، ثم استفسر قائلًا:

- صفي لي هيئة سِنان هذا، يا خالة نزرية.

ردت خالته بتوتر يشوبه القلق:

- إنه ليس بالطويل ولا بالقصير، يميل للضآلة بعض الشيء، وجهه شبه حبة اللوز في استدارتها، يرتدي ملابس رسمية تحمل شعار المصحة النفسية، ويزين شفته العليا شارب غزير يمتد ليلاقي لحيته، وينطق بلكنة

سورية.

تمتم المحقق ألدرن وهو يستمع لإجابتها:

- ذاك البيدوفيلي النذل.

وفي تلك اللحظة... عاودت خالته نزرية طرح سؤالها مجددًا والفزع يتملكها:

- هل هي قنبلة بالفعل.... يا بني؟!

- لا أملك الجواب يا خالتي.

قال ذلك وهو يستخرج من جيب معطفه صورة أعدها مصمم الأدلة الجنائية، استنادًا إلى وصف حكيم القرية، وسألها:

- أترين تطابقًا مع هذه الصورة... يا خالتي؟!

- لا، لا يتطابق.

ثم أردفت بتوتر:

جميع الحقوق محفوظة لقناة رَقش

- بل هو الشخص نفسه.

- هو؟!

أجابت خالته وهي تحدق في عينيه البنيتين:

- لا يمكن أن أمحو ملامحه من ذاكرتي أبدًا.

كان المحقق ألدرن على وشك البوح بشيء ما حين طرق أحدهم باب الغرفة، فأسرع لفتحه متسائلًا:

- ما الأمر... هل هناك مستجدات؟!

أجاب أحد خبراء المتفجرات على استفسار المحقق ألدرن، قائلًا:

- ليست بقنبلة.

أطلقت خالته نزرية زفرة ارتياح لدى سماعها الخبر، وهرعت تعانق المحقق ألدرن، الذي انتابه القلق مما سمع، فسأل متوجسًا:

- إذا لم تكن قنبلة، فما هي إذًا؟!

لم يستطع خبير المتفجرات مواجهة نظرات المحقق ألدرن التي كانت أشبه بشظايا زجاج تخترق روحه... كان السؤال بسيطًا في ظاهره، لكنه حمل في طياته ثقل العالم بأسره. تردد للحظات، صامتًا كأنه يحاول لملمة شتات نفسه حيث شحب وجهه، وابتلع ريقه بصعوبة قبل أن يهمس بصوت مهزوز، بالكاد يُسمع:

- يفضل أن تأتي لترى بعينك... يا حضرة المحقق.

تبعه المحقق ألدرن بخطًا متسارعة خارج غرفة الجلوس، وعندما وصل إلى الصندوق المشؤوم، انحنى ليتفحصه... فجأة، جحظت حدقتاه وانكسرت ملامحه بدهشة صادمة.

فما رآه المحقق ألدرن داخل الصندوق لم يكن بالأمر الهين أو العادي على الإطلاق...

الفصل الخامس

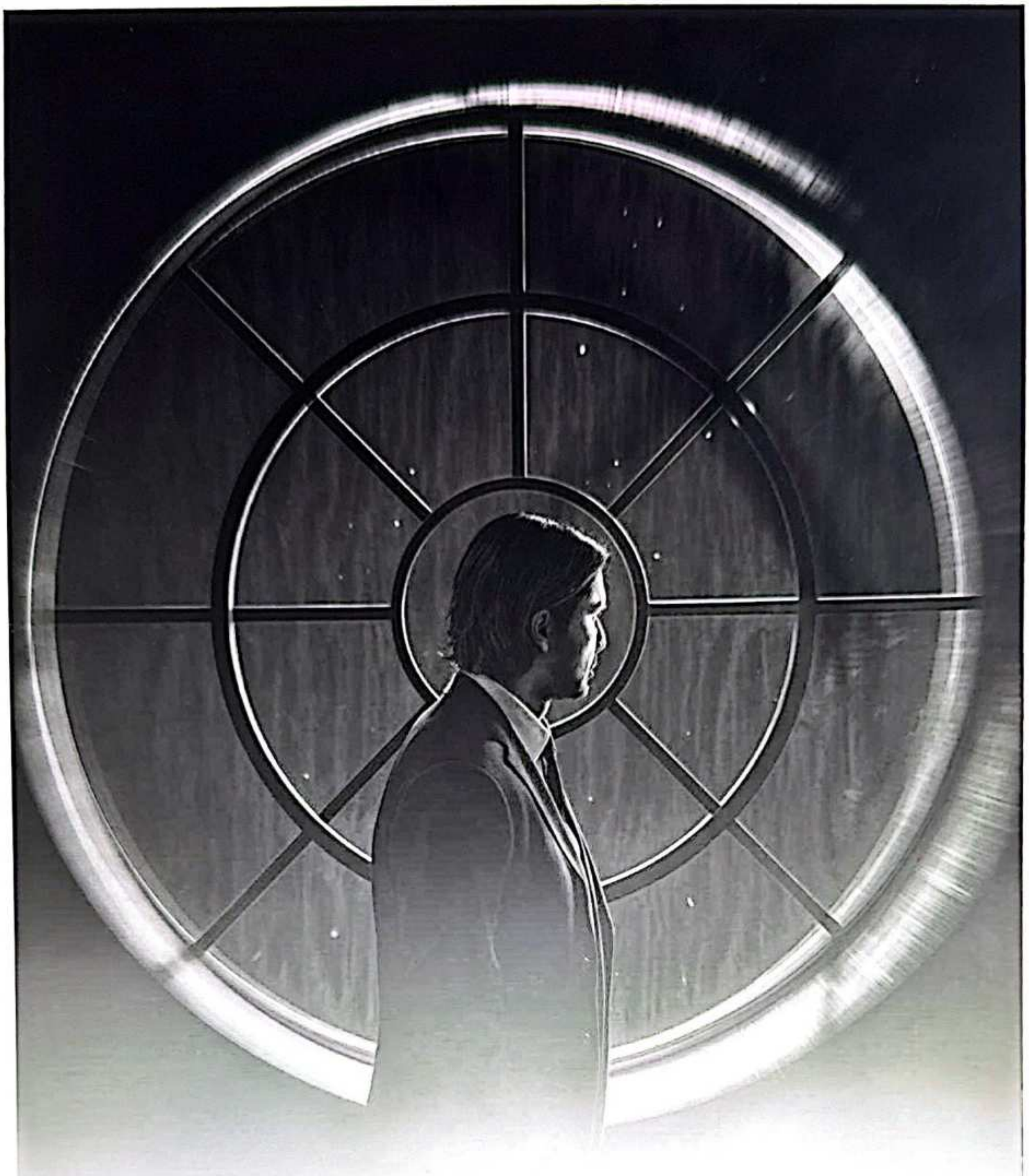

5

نافذة تفتح على تساؤلات ما لا نهائية

في ظلال الغرفة المشحونة بخبايا الأزمنة، تتربع الطاولة الخشبية تحت وطأة الأوراق المتراكمة، يجلِس المحقق ألدرن، وظله يمتد خلفه كوحش يتربص في الأركان.

ومعطفه الطويل الشبيه بمعاطف المحققين يتدلى كأجنحة الليل، وعيناه تنقبان في ملفٍّ يعج بالصور الباهتة والمستندات المتشابكة كخيوط العنكبوت.

- ما الذي يخفيه هذا الصندوق الغامض؟!

صدى الكلمات تردد في الفضاء كنداء من عالم آخر، حيث دوجانا بصوتٍ مرتعش كأوراق الخريف، قامت بطرح هذا السؤال، وشفتاها ترتجفان كزهرة في عاصفة.

فأجابها المحقق ألدرن، بنبرة حادة كشفرة سيف:

- لعبة جديدة.

وتابع بصوتٍ يحمل وقع المستورات:

- وأحجية جديدة لم يُكتب لها الحل بعد، فالصندوق كان يضم مجموعة من عرائس الدمى.

بدت دوجانا كظلٍّ تلاحقه الشكوك، وهي تهمس:

- عرائس الدمى؟!

- نعم، عرائس دمًى... بلا رؤوس، وإلى جانبها أنياب مبعثرة كنجوم في سماء مظلمة.

تراجعت دوجانا، وكأن صاعقة الحقيقة قد لامستها، فقالت بصوتٍ يكاد يُسمع:

- ما الذي ينبئ به هذا؟!

أجابها المحقق ألدرن، بصوتٍ يزمجر كرعد الشتاء، قائلًا:

- الرؤوس والأنياب كانت في صندوق مستقل، أما الأجساد فقد وُضعت وهي متراكمة بعضها فوق بعض في وعاء من البرونز، محاطة برمال ناعمة كأنها دموع الأيام.

- ذلك البيدوفيلي... يلعب لعبة القط والفأر معنا.

- ليست لعبة فقط، بل هي إشارات مبطنة...

ثم أردف:

- إشارات متعددة... ليست واحدة.

- إشارة واضحة كنور الفجر... فوصوله إلى منزل الخالة نزرية ومن دون

اسم مستعار، هو بحد ذاته تحدٍّ صارخ.

أشار المحقق ألدرن، بإصبعه كمن يرسم مصيرًا، وعيناه تتوهجان بلهيب الغضب:

- وكذلك دليل على أنه يعلم كل خطواتي، من خلال زيارته تلك.

- وماذا عن عرائس الدمى اللاتي بلا رؤوس ولا أنياب؟!

- إنه يذكرنا بأننا وجدنا الرؤوس والأنياب، لكن الأجساد لا تزال مفقودة.

- أو ربما يشير إلى مكان وجود الأجساد!!

انقبض حاجبا المحقق ألدرن كمن يواجه لغزًا عصيًّا، وهو يقول بعد تأمل:

- ربما... فكرة تستحق النظر، واحتمال يحمل وزن الحقيقة.

وفي همسة كأنفاس الليل، أردف المحقق ألدرن وكأنه يستشف الألغاز:

- وذلك الوعاء البرونزي البيضوي، لا بد وأنه يشير إلى شيء ما.

- وكذلك الرمال التي تغطي قاعه.

خيم الصمت على مكتب المحقق ألدرن، حيث غرق كلاهما في بحر التفكير، قبل أن يقول المحقق ألدرن بتركيز شديد:

- أين تكثر الرمال في عالمنا؟!

أجابت عليه دوجانا بسرعة كالبرق:

- في الصحراء.

وتابعت:

- أدركت الآن... إنه يشير إلى أنه دفن الأجساد في صحراء (الربع الخالي)، صحراء القرية.

هز المحقق ألدرن رأسه نافيًا، وهو يستمع إلى دهائها، وقال بتأمل عميق:

- مع هذا العدد من الرؤوس والأنياب، يستحيل دفن كل هذه الأجساد دون أن يلاحظها أهل القرية، فالأمر محفوف بالمخاطر الجمة.

ردت دوجانا على استنتاجات المحقق ألدرن بنبرة متململة وكأن كلماته قد أثارت استياءها العميق، قائلة بلهجة محملة بالسخط:

- تهون تلك المخاطر يا حضرة المحقق لو أنه كان يحتمي بظلال تلك الكثبان.

أدار المحقق ألدرن رأسه نحوها بفضول متزايد، فأردفت دوجانا بصوت يملؤه الغموض:

- تحت أرضية تلك الغرفة الطبية، على سبيل المثال.

شعر المحقق ألدرن بجذب غامض نحو هذه الفرضيات، فأطلق كلماته بصوت مبحوح تملؤه الدهشة، قائلًا:

- لنتخيل أن هذه الفرضيات دقيقة... في كل مرة يُقدِم ذلك البيدوفيلي

على دِفن الجثث تحت أرضية الغرفة الطبية، من المنطقي أن يثير هذا الأمر انتباه سكان القرية... أو أن يلمحوه أثناء اختلاسهم النظر من نوافذ العيادة؛ فضلًا عن أن القرية صغيرة... وأهلها متآزرون ويتبادلون الأخبار باستمرار، فإذا طرأ جديد أو وقع حادث ما، فسرعان ما ينتشر الخبر في الأنحاء.

وأضاف بتساؤل:

- ولكن لماذا كانت الرؤوس والأنياب المقتلعة هي كل ما ظهر لنا من داخل ذلك الكيس القماشي؟!

عندما أفصح المحقق ألدرن عن هذه التساؤلات، بدت مساعِدته دوجانا تحدق فيه بنظرات تحمل الشك والتفكير، وكأنها لم تزل متمسكة بقناعاتها وفرضياتها الخاصة، وإن كانت قد وافقته الرأي فيما يخص الرؤوس والأنياب المقتلعة.

- لماذا لم يعمد إلى دفنهم مع أجسادهم تحت أرضية تلك الغرفة الطبية في قرية (ذعبلوتن)؟! ولماذا أقدم على إلقاء تلك الرؤوس والأنياب المقتلعة داخل ذلك الكيس القماشي وتركها في ساحة العيادة الطبية؟!

هذه الأسئلة كانت تتردد في ذهن مساعِدته دوجانا حتى انتقلت إلى حافة شفتيها، قائلة:

- من الجلي أن هذه الأحجية ليستِ بتلك البساطة.

- بلا شك.

ترددت مساعِدته دوجانا لبرهة، ثم استجمعت شجاعتها وسألت المحقق ألدرن بحذر، قائلة:

- وماذا عن الخالة نزرية؟!

أطلق المحقق ألدرن زفرة محمومة، وهو يقول:

- هذه هي المعضلة الحقيقية.

قال ذلك وهو ينقل بصره نحو مساعِدته دوجانا وفي الأرجاء بكل أعين واجمة وواهمة . . .

***

في زقاق ضيق من أزقة أحياء مدينة (جدة)، حيث يتسلل ضوء القمر من خلال نوافذ المشربيات. . . كانت هناك قصة حب خفية تنسج خيوطها بين جدران هذه المدينة العتيقة.

كانت هناك امرأة غامضة تكتنفها الأسرار، يتدفق شعرها الأحمر الطويل كشلال من الحمم البركانية، ينساب حول كتفيها ويتمايل مع كل نسمة هواء رطبة.

أما عيناها الفستقيتان المتلألئتان، فكانتا تحملان بريقًا يشبه الأحجار الكريمة التي تضيء في الظلام، وكأنهما تخفيان في أعماقهما ألغازًا لم تُكشف بعد.

وعلى خدها الأيسر، تقبع شامة صغيرة، مثل نقطة سوداء في لوحة فنية، تضيف لمسة من الغموض إلى جمالها الأثيري.

كانت تلك المرأة ذات العيون الفستقية تعمل في مصحة عقلية مليئة بالأوهام والحكايات، وكانت تتأمل وتنظر بكل حب نحو ذلك الشخص... ذلك الشخص الغامض الذي ظهر في حياتها كظل في الليل، وملامحه تعزف ألحانًا تخترق الصمت وتصل إلى قلبها.

لم يكن أحد يعلم بمشاعرها الجياشة تلك نحوه سوى جدران المصحة العقلية التي كانت تحتضن همساتها والنجوم التي كانت تشهد نظراتها السرية.

كانت تُشرف على حالة ذلك الشخص ومتابعة مراحل علاجه داخل هذه المصحة العقلية، وكانت ذات العيون الفستقية تزوره كل يوم بحجة الفحوصات الدورية، ولكن الحقيقة كانت عكس ذلك تمامًا حيث إنها كانت تأتي لترى وتتأمل ملامح ذلك الشخص وتسمع صوته الذي كان يردد اسمها كأجمل الأناشيد.

كانت مشاعرها تفضحها ببطء، مثل الضباب الذي ينقشع عند الفجر ليكشف عن مدينة مليئة بالتباريح.

وفي كل ليلة... كانت تلك المرأة تنتظر بفارغ الصبر ذلك اللحن الذي يعلن عن قدوم ذلك الشخص في مكتبها الشخصي... حتى تشجعت في

إحدى الليالي الصافية وبدأت تعترف لمحبوبها بسيمفونية العشق تجاهه، فأطلقت العنان لكلماتها والخجل يكسو محياها بلون الورد، قائلة:

- ألدرن... لقد تملكني عشقك.

وبمجرد أن أفرغت ذات العيون الفستقية من بوحها الذي يعبر عن عواطفها نحو ذلك الرجل، إذ بدأت تحدق في عينيه البنيتين بكل شغف، في انتظار ذلك الإقرار الذي سيحلق بها في سماء العشق والغرام، ولكن فجأة وبلا أي إنذار مسبق، قُطع هدوء المكان بصدى خطًا ثقيلة.

صوت رجل يرتدي معطفًا طويلًا أسود اللون يدخل إليهما بخطوات محسوبة... يقف وراءها، يتأملهما لبرهة دون أن يصدر عنه حس.

فشعرت ذات العيون الفستقية بوجوده، وللحظة يختفي كل شيء من أمامها وكأنها غُمرت في دوامة مظلمة ملؤها الغموض، فتتوقف مشاعرها وهي ترنو إلى ظله، وترتفع عيناها لتصطدم بنظراته وهي تلتفت إليه، وإذا به يهمس لها قائلًا:

- «أنا هنا لأذكرك أن بعض الذكريات يجدر بها أن تبقى في طي النسيان»

وما أن أتم كلماته تلك حتى ارتفع صوت يصدح في الأرجاء، صوت يعيدها إلى واقعها القاسي، قائلًا:

- دكتورة عبير... دكتورة عبير؟!

تلك الكلمات ألقتها دوجانا مقتلعة بذلك خيالات وأحلام الدكتورة عبير التي كانت تحدق نحو المحقق ألدرن ونحوها للحظات حتى قامت الدكتورة عبير بشبك أنامل يديها أمام وجهها وتمددت شفتاها، متمتمة:

- أعتقد أنكما قد واجهتما ألغازًا كثيرة... ألغازًا أكثر بكثير.

بعد أن قالت ذلك، سألتها دوجانا بغضب، قائلة:

- وماذا عن الألغاز من الناحية النفسية يا دكتورة عبير؟!

أومأت الدكتورة عبير برأسها مؤكدة، قائلة:

- إنه بيدوفيلي ومتعطش للسيطرة إلى أبعد الحدود.

كتمت دوجانا غضبها وصّرت أسنانها، وهي تقول بنبرة حادة:

- أطلعينا على ما يخفى علينا، يا دكتورة عبير.

ألقت الدكتورة عبير نظرة جليدية نحوها، ونقلت بصرها نحو المحقق ألدرن الذي ظل صامتًا، منذ حضوره هنا مع مساعِدته دوجانا، ثم أشارت بيدها، قائلة:

- لن يقدم على إيذاء خالتك... يا ألدرن.

نظر المحقق ألدرن إلى عينيها الفستقيتين، قائلًا بارتياح وترقب:

- حقًا؟!

احمر وجه مساعِدته دوجانا من شدة كبت غضبها، وهي تقول:

- ومتى تظنين أنه سيقدم على ذلك؟!

أجابتها الدكتورة عبير بلا تردد قائلة:

- عندما تحاصرونه.

غامت ملامح دوجانا دون أن تضيف شيئًا، بينما سأل المحقق ألدرن بفضول شديد: - لماذا تعتقدين أنه لن يقدم على شيء الآن، وقد تمكن من الوصول إلى خالتي؟!

- لأن ذلك بالتحديد سيفقد اللعبة رونقها.

- لعبة؟!

أومأت الدكتورة عبير برأسها مؤكدة للمحقق ألدرن، قائلة:

- صحيح أنني أكرر هذه الكلمة ولكن هذا تحديدًا ما يود أن يخبرنا به... ربما قد ترونها أنتم أنها سلسلة من الجرائم البشعة يرتكبها سفاح بيدوفيلي سادي، ولكن بالنسبة له... هي لعبة، لعبة شطرنج... ينقل من خلالها البيادق[4] وفق إشباع غرائزه ويختبر ذكاءه ومهاراته من خلال تحدي أنظمة قسم البحث الجنائي بكل ما لديه من قوة، وبالنسبة له أيضًا، أنت... المحقق الذي لم يُهزم في قسم البحث الجنائي، بل في الوطن بأسره، الذي لم يخسر قضية واحدة في حياته المهنية، ولذلك تم تكليفك

بهذه القضية على الرغم من بُعد مسرح الجريمة عن مدينة جدة، وهزيمتك في هذه اللعبة تحديدًا تعني له الكثير، وستثبت له هذه القضية أنه الأقوى والأذكى من دون تفكير.

اشتعلت جمرة الغضب في محيا المحقق ألدرن وهو يستمع للدكتورة عبير، بينما دوجانا طرحت سؤالها بقلق متزايد:

- ما الصلة التي تربط الخالة نزرية بهذه الأحداث المبهمة إذًا؟!

استجمعت الدكتورة عبير أنفاسها بعمق، معلنة:

- إن إثارة أعصاب المحقق ألدرن ليست إلا فصلًا من فصول هذه اللعبة، والعبث بأوتار حسه يُعدُّ خطوة محورية، إذ يُشعل ذلك نيران الغضب والقلق في قلب الخصم، ويوهمه بأنه يمتلك معرفة دقيقة بأدق تفاصيل ماضيه، مما يُعمي بصيرته عن رؤية الواقع، حتى وإن كانت الحقائق تتلألأ أمام عينيه، وتتردد أنفاسه المتلاحقة كلحن العذاب.

وأضافت بثقة وهي تنظر نحو المحقق ألدرن:

- وأعتقد أنه قد أتقن ذلك بالفعل.

ظهرت على ملامح دوجانا علامات الانتباه الشديد لكلمات الدكتورة عبير، وهي تقول وعيناها تتأملان الأفق:

- أوليس القضاء على الخالة نزرية سيَرفع من مستوى هذه اللعبة؟!

هزت الدكتورة عبير رأسها معارضة، وأجابت:

- بل على العكس... سيُفسد ذلك لذة اللعبة، ويتحول الأمر إلى ثأر شخصي، ما يتعارض مع الهدف الأسمى الذي ينشده.

ثم التفتت نحو المحقق ألدرن مرة أخرى، مسترسلة في حديثها:

- إنه يرغب في أن تكون لعبة تتطلب الذكاء والخبرة والإمكانيات المتوازنة، إنه يسعى لجولة تعجز أنت عن الفوز فيها، وهو يعي في أعماقه أنك ترتجف خوفًا منه، و كأن كل نبضة في عروقك تروي حكاية لم تُخط بعد، فتتلقى بذلك أول خسارة في مسيرتك المهنية، وعلى يد من هو أعظم بكثير منك ومن كل منظومة البحث الجنائي.

كادت دوجانا أن تطرح سؤالًا آخر، لكن المحقق ألدرن أوقفها بإشارة يده الحازمة، قائلًا:

- هناك وعد واحد فقط يمكنني أن أقطعه لكِ يا عبير.

عند سماعها ذلك، تصاعدت الأفكار والتساؤلات في ذهن الدكتورة عبير، فتمتمت في سرها:

- وعد واحد فقط؟! وماذا عن الوعد الذي أبرمته معي؟!

ثم استرجعت تلك الأحرف التي كتمتها في صدرها سابقًا، وبكل لوعة وحسرة:

- «تلتهب أحشائي بنيران الفراق، وأنت على درايةٍ بذلك، تلظى روحي حتى خبت جذوتها واستكانت، أدركُ أنّ مصيري لن يتشابك بخيوط قدرك، ومع ذلك، عجزتُ عن طيّ ذكراك خلف ستائر النسيان»

أرادت الدكتورة عبير أن تبوح بتلك الكلمات التي تراودها مجددًا، لكن المحقق ألدرن قام من مقعده بكل جدية، قائلًا:

- الأيدي المرتعشة تكتب نهايات الأقدار المجهولة... لذلك فهو لن يربح أبدًا في هذه اللعبة.

بتلك الكلمات، غادر المحقق ألدرن المصحة النفسية برفقة مساعِدته دوجانا، تاركًا وراءه الدكتورة عبير تغرق في خيالاتها وآمالها مرة أخرى، بكل ضياع وأسًى...

***

في ظلام الليل الحالك... تتوارى النجوم خلف ستار الغيوم الكثيفة في مدينة (العلا)، حيث يتسلل الضوء الخافت من شمعة وحيدة تتراقص على مائدة خشبية في أحد أركان المنزل الجميل.

الهواء البارد يحمل معه رائحة العود والبخور، ممزوجة بعبق التاريخ الذي يسكن جدران هذا المكان.

تتموج الأصداء في الردهات الفسيحة، وكأنها تنقل أنفاس أرواح غابرة، تتجول بين الغرف، تتحسس الأثاث و تتأمل اللوحات الفنية المعلقة على

جدران هذا المنزل.

وفي الزاوية المعتمة... حيث الظلال تتراقص بخفة، ينتصب هناك تمثال من الرخام الأبيض لفتاة ذات خصلات قرمزية، ترمق الأفق بعينين ثاقبتين، وكأنها الحارس الأبدي لهذا المنزل الفاره.

وفجأة بدأ يشق الهدوء صدى أقدام ثقيلة، يتبعها ظلال شاحبة تنسل بين الأرضيات الرخامية كأشباح الليل.

هناك، يلوح في الأفق رجل ذو بنية شامخة، عضلاته تنبض كتلال متموجة تحت بشرته. ذراعاه كأعمدة من الرخام، مزخرفة بنقوش دقيقة تعكس قوته الجبارة.

كتفاه العريضان كأنهما منحوتان لتحمل أعباء الدنيا، وصدره البارز يتماوج مع كل شهيق وزفير، كأنه يستنشق الوجود نفسه.

يخطو بثقة مطلقة، وكل حركة تعزف سيمفونية القوة في جسده المتناغم.

إنه ليس مجرد رجل ذي قوة، بل هو تجسيد حي للعزم والإرادة. توقف الرجل ذو العضلات المفتولة لبرهة، يتأمل من نافذة منزله الواسعة المطلة على حديقة الألعاب الخاصة به.

هناك... حيث أبصر شخصًا ذا ظل شاحب يلهو ويمرح مع طفلته الصغيرة.

وفجأة، اكتسى وجهه بالغضب مما رآه، فانطلق كالسهم من خلال النافذة نحو الظل الشاحب، محذرًا بصوت جهوري:

- ابتعد عن ابنتي، يا هذا!

ردّ الرجل ذو الظل الشاحب بنظرة مستهزئة وابتسامة تحدٍّ، مما دفع الرجل ذا العضلات المفتولة للتقدم نحو ابنته مجددًا، مكررًا بغضب:

- أمرتك أن تبتعد عنها!

ومع سخرية مريرة، رد الظل الشاحب: جميع الحقوق محفوظة لقناة رَقْش

- وماذا إن أبيت الانصياع؟!

احمر وجه الرجل ذي العضلات المفتولة وهو يقيس الفارق بين بنيته الضخمة وعضلاته المفتولة وطوله الفارع، وبين الرجل ذي الظل الشاحب الذي يفتقر للطول وللقوة، مما زاده ثقة بالنفس، قائلًا بحنق:

- أتريد أن تعرف ماذا سأفعل بك؟!

هز الرجل ذو الظل الشاحب كتفيه بلا اكتراث، وبريق سخرية في عينيه، قائلًا:

- بالتأكيد، أرني ما لديك.

اشتعل غضب الرجل ذي العضلات المفتولة فشد عضلاته، مستعدًا لضربة قاضية، وهو يغمض عينيه متوعدًا:

- تستحق هذا.

وما أن أطلق قبضته في الهواء، حتى اصطدمت بوجه الرجل ذي الظل الشاحب بكل قوته، ولكن... بمجرد أن فتح الرجل ذو العضلات المفتولة عينيه، حتى تراجع مذهولًا وهو يتمتم:

- مستحيل، هذا لا يمكن أن يكون.

تلك القبضة لم تؤثر عليه فنظر إليه الرجل ذو الظل الشاحب بثقة، قائلًا:

- الغرور ستار يخفي العيوب عن الأعين، لكن.. يَكشفها المرء في مرآة الحقيقة، تمامًا... كطفل يغمض عينيه ويظن أن العالم اختفى من حوله.

وأضاف:

- هكذا أنت.

وفجأة، انقض الرجل ذو الظل الشاحب على الرجل ذي العضلات المفتولة، الذي وقف مذهولًا من المشهد... حيث رفعه بخفة وسلاسة كما لو كان يحمل طفلًا، ثم دار به في الهواء قبل أن يلقيه أرضًا بعنف.

ارتطم رأسه بقوة، فانفجرت الدماء منه، وقال الرجل ذو الظل الشاحب بحزم:

- أتمنى أن تكون هذه الضربة درساً لك، كي لا تحاول خطف طفلة من دار الأيتام مجددًا.

ثم التفت إلى الطفلة الصغيرة التي كانت تلعب بألعابها ببراءة و هي لا تدرك ما الذي حدث للتو... انحنى ليكون على مستوى نظرها، قائلًا بلطف:

- أتودين اللعب في حديقة أوسع... يا صَغيرتي الجميلة؟!

أومأت الطفلة برأسها موافقة، وهي تحدق بالرجل ذي الظل الشاحب، الذي قابلها بنظرات ثابتة قبل أن يقول بحزم:

- جيد... ولكن قبل ذلك، ما رأيك أن أغني لك بمناسبة هذا اليوم الجميل؟!

أشارت الطفلة بإبهامها موافقة، فبدأ الرجل ذو الظل الشاحب بتحريك شفتيه الداكنتين ويلوح بيديه في الهواء ويهز كتفيه، مرددًا بضحكةٍ مرعبة ويقفز قفزاتٍ غير متوقعة وكأنه ممثل في مسرحية عبثية... يتلاعب بمشاعر الطفلة ويستمتع بإثارة الرعب في قلبها.

كما لو أنه يعيش في عالمه الخاص إذ يضحك بصوت عالٍ في أوقات غير مناسبة، مما يثير الدهشة والخوف في نفس الطفلة ويتنقل في الأرجاء كأنه ظّل، يراقبها بعينيه الباردتين، يبحث عن نقاط ضعفها ليستغلها حيث اقترب من الطفلة وهو يداعبها ويتلاعب بها كما لو أنها دمية صغيرة بين يديه.

ويضحك كثيراً بصوت عالٍ مرارًا وتكرارًا كما لو أنه يستمتع بمشهد

خيالي في ذهنه ويبتسم ابتسامة باردة، تخفي وراءها نوايا شريرة، وكأن الشيطان نفسه يتجسد في هيئته.

وكان يشعر بنشوة غامرة عندما يرى الخوف في أعين الطفلة، وكأن هذا الخوف يغذي روحه المظلمة ويغني قائلًا:

جمل جمل جمل

يصبر على العطش

جمل جمل جمل

سفينة الصحراء

يمشي ولا يتعب

بالحر ما يشرب

جمل جمل جمل...

لم يتمكن صاحب الظل الشاحب من إتمام أغنيته، إذ اخترقت نغماته المتعثرة أسماع الطفلة وبدت تعابير وجهها تميل للبكاء والرعب وهي تستمع إلى ذاك اللحن المتداخل الذي كان يشبه إلى حد كبير صرير باب قديم يتأرجح ذهابًا وإيابًا تحت وطأة الرياح الهوجاء.

كان يرتل بصوت أجش، يتردد صداه في الفضاء وكأنه ينبعث من أعماق مغارة مجهولة... ألقت الطفلة عليه نظرة ملؤها الخوف والتوسل، لكنه

قابلها بثقة قائلًا:

- أدرك تمامًا أن صوتي لم يرق لكِ ولم ينل رضاكِ، ولكن هناك أمرًا سنقدم عليه معًا، وأجزم أنه سيحوز على إعجابكِ دون شك.

وما أن قال ذلك حتى تلون محياه بابتسامة ماكرة، وهو يترجل من حديقة المنزل الفاره مصطحبًا الطفلة، وفوق كتفيه يحمل ذاك الرجل ذا العضلات المفتولة، تاركًا وراءه حديقة المنزل وقد اكتنفتها الهيمنة الفوضوية الشاملة، نتيجة للأحداث المريبة التي وقعت...

***

- أستحلفكِ بالصمت، هل لكِ أن تكفي عن هذا العويل المدوي؟!

هكذا نطق المحقق ألدرن تلك العبارات، محاطًا بسحابة من الصبر الجم، وهو يرمق خالته نزرية التي كانت تتفجر غضبًا، فأضاف قائلًا:

- لنتناول الأمور بروية وسكينة يا خالتي العزيزة.

- وما الذي تريد التحدث فيه يا ألدرن؟!

قالتها وهي تشيح بوجهها عنه، ثم تابعت بنبرة متحشرجة:

- لقد صبرت على غيابك الطويل ولم أتفوه بكلمة واحدة... ولكن أن يمس حياتك خطر في عقر منزلي، فذاك ما لا أطيقه، إذ يتجاوز كل حدود التحمل.

غامت ملامح المحقق ألدرن وهو يرد بصوت متزن ولكنه حاسم:

- يا خالتي الغالية... أنتِ على دراية بمهنتي التي تحفها المخاطر من كل جانب... ولهذا ابتعدت عنكِ كل تلك الأعوام، لأضمن لكِ حياة هانئة.

ألقت نظرة عليه وهي تستمع إلى كلماته، ثم اقتربت منه بخطًا ثابتة وهي تقول بحنق يكاد يتطاير من عينيها:

- عمل؟...! ذلك العمل الذي اغتال أختي؟! ذلك العمل الذي انتزع والدك منك؟!... عن أي عمل تتحدث يا ألدرن؟!

- الآن ليس الوقت المناسب لنبش الذكريات الآسنة... يا خالتي.

وبمجرد أن أنهى المحقق ألدرن حديثه، انفجرت خالته بصرخة مدوية:

- زعيم الأوربوروس لن يدعك تنعم بالسلام يا ألدرن، سيلاحقك حتى يستأصلك كما فعل بوالديك.

- زعيم الأوربوروس ذاك، ليس بيننا هنا، يا خالتي... لقد تخليت عن رحلة الانتقام في مدريد منذ سنين، وجئت إلى هنا بحثًا عن راحة البال، فقد أنهكني الحزن... هذا المنزل لم يعد ملاذًا آمنًا لكِ.

وما أن انتهى المحقق ألدرن من قول ذلك حتى احتضنته خالته نزرية بذراعين مرتجفتين، وهي تهمس بصوت مبحوح:

- يا بني... أنت آخر ما تبقّى لي في هذه الحياة... أرجوك، اترك هذه

المهنة القاسية من أجلي، ولنعش ما تبقى من أيامي معًا، أنت وأنا وحدنا، بعيدًا عن كل ما يثقل كاهل روحك.

وبعد تلك الكلمات، خيم الصمت عليهما لبرهة، حتى قطعته دوجانا بكلماتها الرزينة، قائلة:

- ألا يمكن تأجيل هذا الجدال المحتدم، حتى تهدأ الأرواح المتأججة؟!

أدار المحقق ألدرن وجهه نحوها وهو يصرخ:

- التأجيل ليس خيارًا يا دوجانا، يجب أن أنقل خالتي إلى مكان آمن بأسرع ما يمكن.

شعرت خالته بالأسى وهي تسأل:

- ألم يعد هذا المنزل ملجأً؟!

أجابها المحقق ألدرن بانفعال:

- لا... لم يعد كذلك.

تراجعت خالته نزرية وهي تشعر بالصدمة من كلماته، فقالت بألم:

- هذا المنزل يحفظ ذكريات عديدة يا ألدرن، وأنا...

حاولت خالته أن تضيف شيئًا إلى حديثها، لكن المحقق ألدرن قاطعها قائلًا:

- إنه منزل متهالك ومتداعٍ يا خالتي، وذلك السفاح يشكل خطرًا داهماً عليكِ.

قال ذلك وهو يطبق فكيه، كأنه يرغب في سحق ذلك السفاح البيدوفيلي بأنيابه، بينما توجهت خالته نزرية نحو غرفتها، تاركةً وراءها المحقق ألدرن ومساعِدته دوجانا في صالة المنزل، حيث أضافت دوجانا قائلة:

- لا تقلق يا حضرة المحقق فلقد قمتُ بتوزيع مناوبتي لحراسة المنزل على نحو دائم.

رد المحقق ألدرن بجدية مصطنعة، محاولًا إخفاء نفاد صبره:

- هذه ليست معضلة يا دوجانا، المعضلة الحقيقية هي أنكِ تظنين نفسكِ نابغة زمانك، بينما تركتِ طفلتكِ مع المربية في المنزل، والآن تقدمين لنا أفكارًا أقرب إلى وصفة كعكة فاشلة!

أخذ نفسًا عميقًا كأنه يوازن بين الحكمة والغضب، ثم أضاف:

- لا داعي لفكرة المناوبات العظيمة، دعي هذا الأمر لي... فأنا من يدير السفينة هنا.

لكن دوجانا، وكعادتها عندما تشتعل، رمقته بنظرة تحدٍّ وقالت:

- وما شأنك أنت؟! كل ما أردته هو مساعدتك... لكن يبدو أنك لا تحتاج إلا لمساعدة طبيب نفسي!!

تجمد ألدرن في مكانه كتمثال شمعي على وشك الذوبان، وحاول الرد، لكن الكلمات خانته... فاكتفى بالقول:

- ومن أين أتيتِ بقلة الأدب هذه؟!

ابتسمت دوجانا ببرود قاتل، كأن وجهها منحوت من الجليد، وأجابت دون أن ترمش، بينما أخرجت من أسفل حمالة صدرها أحمر شفاه صغيراً بلون أحمر قانٍ، يعكس جرأة لا تهتز، ومرآة صغيرة مزينة بحواف ذهبية بدت كأنها خرجت من عصر آخر.

وبحركة بطيئة، أشبه بطقوس مسرحية، فتحت المرآة ونظرت إلى انعكاسها بثقة مبالغ فيها، ثم قالت بصوت ساخر ومشحون بتحدٍّ:

- اشتريتها من سوق الأدب.... كان عليها تخفيض مغرٍ، فقلت لنفسي، لَم لا أجرّبها عليك؟!

أنهت عبارتها بلمسة من أحمر الشفاه على شفتيها، كأنها تختم جملتها بتوقيع صارخ، قبل أن تغلق المرآة بنقرة حازمة وتعيدها مكانها بحركة مشحونة بلا مبالاة مستفزة.

لم يتجاسر المحقق ألدرن على مواجهة الكلمات الجارحة التي أطلقتها مساعِدته دوجانا، إذ أصابته الدهشة من جرأتها غير المعهودة... كانت تلك اللحظة هي المرة الأولى التي تخاطبه بهذا الأسلوب غير اللبق، فهمس لنفسه بصوت مكتوم، مستخدمًا العبارات العامية الدارجة في مدينة جدة،

قائلًا:

- «وي إشبها دي»!

ومع إفلات تلك الكلمات من شفتيه، استحوذ الصمت المروع على المكان، تاركًا أثرًا من السكون العميق...

***

وبعد فترة صمت طالت حتى ظن المحقق ألدرن أنها قد استقالت من الكلام نهائيًا، بدأت دوجانا تعيد ترتيب أفكارها، كمن يحاول إصلاح جهاز تحكم عن بُعد قديم دون كتيب تعليمات... كانت تسترجع ما قالته بلحظة تهور، محاولةً فهم كيف انتهت الأمور بهذا الشكل.

وكأنها أدركت فجأة أنها ربما تجاوزت الحدود، ليس فقط حدود اللباقة، بل وربما حدود المنطق نفسه... فقررت أن تبدأ حوارًا جديدًا في محاولة لترقيع ما أفسدته، فقالت بنبرة مترددة، وكأنها تسير على قشرة بيضة:

- لدي سؤال مهم يا حضرة المحقق.

نظر إليها المحقق بعينين نصف مغلقتين، كمن يراجع في رأسه كل القرارات السيئة التي أوصلته إلى هذه اللحظة، ثم قال بجفاف:

- تفضلي.

- هل تقول دُجاج أم دَجاج يا حضرة المحقق؟!

تجمد المحقق لثانية، وكأنه تلقى سؤالًا في مسابقة ثقافية تلفزيونية، ثم قالت بسرعة قبل أن يستوعب:

- نحن نقول (دُجاج) في جدة... وماذا عنك؟

المحقق ألدرن، الذي لم يكن يصدق ما يسمعه، أطلق زفرة طويلة...

لكن دوجانا لم تكن قد انتهت بعد... بل بالعكس، كانت قد بدأت للتو؛ فقالت بابتسامة مغلفة بالبراءة:

- حسنًا... لدي سؤال آخر.

رفع المحقق يده وكأنه يتوسل للسماء أن تنزل صاعقة تنهي هذا الحوار، لكنها استمرت:

- من يأتي أولًا، البيض أم الدُّجاج؟

نظر إليها المحقق بعينين تقدحان شررًا وقال، وكأنه يحاول أن يبتلع غضبه دون نجاح يُذكر:

- ما رأيك أن تسألي القراء؟

ابتسمت دوجانا وقالت بثقة:

- بالتأكيد، هذا سؤال مفتوح لهم... ولكن أريد إجابتك أنت أيضًا.

كان المحقق ينظر إليها الآن كما ينظر المرء إلى شخص يضع السكر فوق البيتزا، ثم قال بهدوء يمل نذير عاصفة:

- أعتقد أنكِ بحاجة إلى إجازة.

أما دوجانا... التي اعتقدت أنها أضفت بعض المرح على الأجواء، فجلست بفخر وكأنها صنعت السلام العالمي... وبفطنة، استشف المحقق ألدرن نواياها، فأجاب عليها بابتسامة مفتعلة، مشوبة بالتساؤل، دون أن ينطق ببنت شفة، مما أغرق مساعِدته دوجانا في متاهة من الريبة، تهمس في سرها:

- لقد انسلت ابتسامة منه... فهل هذا يعني قبولًا لاعتذاري، أم أنها مجرد سراب؟!

وفي أثناء طرحها لتلك التساؤلات ظل المحقق ألدرن يحاول الاحتفاظ بهذه الابتسامة المفتعلة حتى اخترق صوت رنين الهاتف الصمت المحيط، مانحًا إياه فرصة للتخلص منها.

وبسرعة، أجاب المحقق ألدرن على الهاتف قائلًا:

- حضرة الحكيم!! لم أكن أتوقع مكالمتك في هذا الوقت بالذات.

كان صوت الحكيم متقطعًا ومضطربًا كما هو معتاد... وهو يقول:

- يا حضرة المحقق... لقد أوصيتني بإخبارك فورًا عندما تعود الأستاذة حسناء من رحلتها من (الكويت).

وأضاف:

- ها هي الآن في مدينة (جدة)... ستقيم لأيام في حي (المظلوم) بضيافة إحدى صديقاتها، للمشاركة في فعاليات (الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي)، التي ستبدأ بعد يومين.

بدأ القلق يتسلل إلى ملامح المحقق ألدَرن، وهو يسأل الحكيم بدهشة:

- هذا يعني أنها تقيم تحت ضيافتي الآن!!

ثم تابع بتساؤل:

- متى وصلت بالضبط من رحلتها؟!

- لقد وصلت قبل ساعات قليلة يا حضرة المحقق.

وبمجرد أن أنهى الحكيم كلامه، أغلق المحقق ألدرن الهاتف؛ وتوجه هو ومساعِدته دوجانا إلى سيارته التابعة لقسم البحث الجنائي، المتوقفة خارج منزل خالته نزرية، لينطلقا بها نحو الحي الذي يجمع بين صدى الماضي ونبض الحاضر.

حيث يقبع حي (المظلوم)، شاهدًا على تاريخ عريق يمتد لأكثر من 400 عام.

وبين أزقة الحي الضيقة والمتلاصقة، تتناثر البسطات الشعبية التي تبيع المأكولات (الحجازية) وتتعالى الأهازيج التراثية التي تتغنى بها أحياء مدينة (جدة).

ويُعد حي (المظلوم) قلب مدينة (جدة) النابض بالحضارة والتراث، والمباني الأثرية التي تزينها المشربيات الحجازية والمحال التجارية.

وفي ظلالها، تتجسد قصص الأمس الغامضة... إذ يُروى أن دماء البريء قد شكّلت على الأرض الحجرية كلمة (مَظلوم)، ومن هنا انبثق اسم ذلك الحي.

تتمايل الرياح بين الأروقة، حاملةً معها روائح البخور والعود، وتتسلل الأنغام الحجازية من بين الجدران الصامتة، لتحكي قصة حي لا يزال ينبض بالحياة، محتفظًا بروح الحجاز الأصيلة.

ومع حلول الليل، يتحول الحي إلى لوحة فنية تعج بالألوان والأضواء، وتصبح مسرحًا للحكايات التي تتوارثها الأجيال.

وفي أثناء قيادته للسيارة... وهما لا يزالان في طريقهما نحو حي

(المظلوم)، وقد امتلأت نفسه بنشوة الاكتشاف، إذ أفصح المحقق ألدرن قائلا بصوت يملؤه الحماس:

- أخيراً... ستعود تلك الأستاذة، حاملةً معها مفاتيح الألغاز التي أثقلت فكري.

لم يكد يمر وقت يُذكر على قول المحقق ألدرن حتى وجد نفسه برفقة مساعِدته داخل منزل صديقة الأستاذة حسناء وقد بدت هذه الأخيرة أكثر شبابًا وجمالًا مما توقعا إذ تتلألأ عيناها ببريق غامض كألوان أحجار الكهرمان وكأنهما تخفيان وقائع لا يعرفها إلا القليل وشعرها البني المجعد يتدلى برقة فوق كتفيها، وكل خصلة تروي قصة من الأناقة والجمال الذي لا يقاوم حيث فستانها الأسود الذي ترتديه يعكس جمال رقتها ويبرز رشاقة جسمها من خلاله إذ لها نصيب من اسمها ويكسو ذلك الفستان فتحة واسعة شبيهة بالرقم «7» باللغة العربية، أسفل عنقها مباشرة... تَظهر من خلالها بعضُ مناطقها المغرية وكأن هيئتها تلك لا توحي بأنها معلمة دين بل العكس تمامًا حيث تحمل نظرة واثقة تجعل الجميع يتساءلون عن العالم الذي تعيش فيه... وكأن مسعودًا ليس بكاتبٍ، أمام سِحر جمالها الحكيمِ.

بدت كلغزٍ محير ينتظر من يفك رموزه، وجمالها ليس إلا مقدمة لحكاية مثيرة... إذ استقبلتهما بحذر وترقب، فامتلأت عيون المحقق ألدرن ومساعِدته دوجانا بالدهشة، وهو يقول بكل حزم:

- نحن من فريق البحث الجنائي... هل أنتِ الأستاذة حسناء... معلمة الدين؟!

قطبت جبينها من سماعها لتلك الكلمات التي أطلقها المحقق ألدرن، فقالت والحيرة تتصاعد من بين شفتيها:

- البحث الجنائي؟! معلمة دين؟!

ثم تابعت:

- أنا ناشطة ومهتمة بالأمور الدينية فقط ولستُ بمعلمة دين، الكثير يعتقدون أنني معلمة دين وأنا لستُ كذلك.

قالت ذلك وهي تنظر إليهما بكل استغراب، ثم أردفت:

- وما علاقتي بالبحث الجنائي؟! ألا تعلمان أنه من غير القانوني إجراء تفتيش أو حتى استجواب، دون الحصول على إذن قضائـ...

لم تتمكن الأستاذة حسناء من إكمال حديثها، إذ قاطعها المحقق ألدرن بكل صرامة، قائلًا:

- نحن لسنا هنا للتفتيش أو الاستجواب، كلُ ما نريده هو أن نطرح عليكِ بعض الاستفسارات، بشأن ما جرى في العيادة الطبية التابعة لأختكِ في قريتكِ، قرية (ذعبلوتن).

توسعت حدقتاها في دهشة، قائلة:

- عيادة أختي؟!... ما الذي وقع فيها؟!

تجهم وجه المحقق ألدرن في تغبير مليء بالجدية، بينما سألتها مساعِدته دوجانا:

- ألم تعلمي بما تم اكتشافه هناك؟!

تملكها القلق والحذر، وهي تجيب:

- لقد وصلت اليوم إلى مدينة (جدة)، (للمشاركة في فعاليات (الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي)، وأتابع ما تنشره الصحف يوميًّا عبر الإنترنت، ولم أطلع على أي خبر يخص عيادة أختي.

نظر إليها المحقق ألدرن، مجيبًا:

- لقد قررنا تأجيل نشر الخبر... حتى لا نثير الذعر والفزع بين الناس.

عادت عيناها تتسعان تدريجيًّا وهي تقول بانزعاج:

- ولماذا؟!

تبادل المحقق ألدرن نظرات مع مساعِدته دوجانا في صمت، ثم قال بتردد:

- سنطلعكِ على كل شيء في حينه، ولكن الآن أخبرينا بكل ما تعرفينه عن الدكتور سِنان، المستأجر الأخير للعيادة.

ظهرت على ملامح الأستاذة حسناء علامات الحيرة عند سماعها لذلك،

- الدكتور سِنان؟!... لم يستأجر أحد العيادة بهذا الاسم، وهي مهجورة منذ أشهر.

ظهرت علامات الاستفهام تحوم حول أفكار المحقق ألدرن ومساعِدته دوجانا، وكأن الأسئلة تتردد في الأرجاء بقوة...

الفصل السادس

6

قفص الفئران

داخل عيادة طبية بجوار حديقة ألعابِ قديمة، حيث يمكن رؤية ضوء شروق الشمس يتسرب من خلف الستارة البلاستيكية المتهالكة.

الجدران ملطخة ببقايا اللون الأبيض الذي تلاشى مع تبدّل الفصول، والأثاث قديم ومتهالك.

بدأ يرتفع صوت همسات في الأرجاء قائلًا:

- هذا لا يُعقل!!

هتف بهذه الكلمات ذلك الرجل ذو العضلات المفتولة، وهو يكافح لاستعادة وعيه، بفتح جفونه الثقيلة... ويسترجع في ذهنه الأحداث غير المنطقية التي دارت بينه وبين ذلك الشخص ذي الظل الشاحب الذي بدا وكأنه يسبقه في السن بعقدين من الزمان.

وبعد هنيهة قصيرة، بدأ يتقدم نحوه رجل نحيل الجسد... شاحب الظلال يرتديّ معطفًا ناصع البياض يشبه معاطف الأطباء، ولكن ذلك البياض تحول إلى لون رمادي، وخطواته خفية لكنها تحمل في طياتها أصداء القدر، تدنو رويدًا رويدًا من الرجل ذي العضلات المفتولة، الذي لم يدرك بعد أن الأقدار قد نسجت حوله بشباكها... وإذا بصوت الرجل ذي الظل الشاحب يملأ

المكان، متحدثًا بنبرة مشحونة بالسخرية:

- ألم تستعد وعيك بعد... يا هذا؟!

وبعد أن أطلق تلك العبارة، فتح الرجل ذو العضلات المفتولة عينيه بشكل مفاجئ، وبدأ يتطلع حوله بنظرات تحدٍّ، مما دفعه للرد بانفعال:

- هل هذه مزحة سخيفة... أم ماذا؟!

فهز الرجل ذو الظل الشاحب كتفيه بسخرية، قائلًا:

- اترك هذه الأسئلة جانبًا الآن وأجبني على ما أسألك عنه!!

وبينما كان يقترب منه أكثر فأكثر، أضاف قائلًا:

- لماذا اختطفت تلك الطفلة البريئة... تلك الزهرة في ريعان الشباب، من دار الأيتام؟!

وما أن أنهى سؤاله حتى انتفض الرجل ذو العضلات المفتولة، قائلًا:

- نحن بشر... لسنا ملائكة، لكل منا جانبه الخفي... لكننا نسعى دومًا للتغلب على هذا الجانب لأننا بشر، فلا تحاول التركيز على ظلمتي، فأنت أيضًا لديك ظلمتك، تذكر ذلك جيدًا و...

قاطعه الرجل ذو الظل الشاحب بتهكم:

- بشر؟!... أنا لستُ منكم... أنا لستُ ضعيفًا كما أنتم، أنا استثنائي... متفرد في كل شيء، حتى في انتقاء ضحاياي...

أنا الذي نظر الطفل إلى جشعي

وأبصرت أفعالي كل من به أَكَمُ

أنا أضغاثُ أحلامكم وسيد كوابيسكم

أنا يد الشيطان في الأرض أنا من يراقبكم ليلًا ويبث الرعب في نفوس أطفالكم، إن كان للبشر قرينهم الخاص فأنا قرين الشيطان... أنا الوجه الآخر للشر

أنا البيدوفيليا... أما أنتم فلا تعدون كونكم بيادق شطرنج أفرغ غرائزي مع أطفالكم.

اشتعلت نيران الغضب في قلب الرجل ذي العضلات المفتولة لدى سماعه تلك الكلمات المخلة، فصاح بغضب شديد:

- حررني من قيودي حتى أريك كيف تُفرغ غرائزك بالشكل الصحيح... أيها البيدوفيلي.

أشار الرجل ذو الظل الشاحب بإصبعه نحو زاوية معتمة، حيث الضوء يكاد ينفذ إليها، قائلًا باستخفاف:

- دعني أنا أرِك كيف أفرغ غرائزي مع تلك الفتاة التي اختطفتها، أو بالأحرى (ابنتك التي كنت ترغب في تبنيها).

وبينما كان يلقي عليه نظرات ساخرة ومتجاهلة، بدأ يتقدم نحو الزاوية

المعتمة حيث الطفلة، ذات الشعر الأسود الطويل، مستلقية على السرير الطبي المتهالك، وعيناها مغمضتان بإحكام بطريقة غامضة.

فبدأ يقترب منها ويجس جذعها ببطء شديد وبكل وحشية معلنًا بذلك دخوله في المحظور واستعداده لهتك عرضَ هذه الطفلة الصغيرة بكل الطرق التي لم يخلْها أشد الناس اختلالًا.

لقد كان يُتّم سيطرته على روحها... ينهب أرجاءها الساحرةَ... بتضمينٍ يمتدُّ إلى ما لا نهاية... دون وهنٍ أو زفيرٍ مُثقلٍ بالأسى... يسلبها حق النهوضِ... يحتكرها ما بين قَصَبة وغِمد... كلمحِ برق في ليلٍ حالك... كأنه زخّاتٌ من ذهبٍ أصفر.

رُقطة كئيبة بلون السماء تغزو جلدها... كأنها تعيش ليلةً من جحيمٍ مُستعر... ليلةٌ خاليةٌ من الستِر... يبتلعها كأنه شيطانٌ محتضر...

***

ألقت دوجانا نظراتها المتسائلة، وكأنها ترسل أسئلة صامتة إلى المحقق ألدرن، الذي كان يحدق بدوره في الأستاذة حسناء بعينين تملؤهما الحيرة، وبصوت يكاد يكون همسًا، تساءل:

- من يكون هذا الدكتور سِنان إذًا؟!

وما أن انتهى من سؤاله، حتى انتصبت الأستاذة حسناء واقفة نحو الطاولة الخشبية التي أمامها، وبدأت تتنقل بين صفحات جهازها اللوحي

بأناملها الرقيقة، وكأنها تعزف على أوتار البيانو، تبحث عن لحن مناسب، ثم قالت:

- لتكن أنت من يُطلعني على أمره.

ثم أمالت شاشة الجهاز نحو المحقق ألدرن ومساعِدته دوجانا، وأردفت قائلة:

- هنا... تجدان قائمة مفصلة بأسماء جميع الأطباء الذين استأجروا العيادة بعد أن توجهت أختي إلى (ألمانيا)، ولن تجدوا فيها ذكرًا لهذا الاسم.

وبصوت مشحون بالقلق، عقبت دوجانا:

- ذلك السفاح البيدوفيلي... لقد نجح في خداعنا جميعًا.

وبعد أن أفرغت دوجانا ما في صدرها، التفتت الأستاذة حسناء نحوهما وهي تقول بانفعال:

- إنه ذلك الرجل العجوز... حكيم القرية، لا أدري لماذا يُقدسه أهل القرية، من المؤكد أن الدكتور سِنان هذا، استغل غيابي عن العيادة لفترة طويلة، وأقنع الحكيم بأنه المستأجر الجديد.

تبادل المحقق ألدرن ومساعِدته دوجانا نظرة ملؤها التوتر للحظة، ثم سأل المحقق بنبرة حازمة:

- كيف يتم الاتفاق على تأجير العيادة مع أختكِ الدكتورة خنساء؟!

أجابت الأستاذة حسناء وهي ترتشف قليلًا من الماء:

- في الحقيقة... لم نتوصل إلى اتفاق بعد.

قالت ذلك وبدا الذهول يعلو وجهي المحقق ألدرن ومساعِدته، فسألت دوجانا بحيرة وهي تشير إلى شاشة الجهاز اللوحي:

- وكيف تم تسجيل أسماء هؤلاء الأطباء كمستأجرين في سجلاتكِ؟!

أجابت الأستاذة حسناء وهي تلوح بيدها في الهواء:

- بعد خمسة أشهر من سفر أختي إلى (ألمانيا)، اتصلت بي وأخبرتني أنها بحاجة إلى المال لتتمكن من العيش هناك، إذ إن النظام الوظيفي معقد بعض الشيء، فاقترحت عليّ فكرة تأجير العيادة الطبية التي تقع في قرية (ذعبلوتن)، وأنه لا يجدر بها أن تظل مهجورة طالما أنها لن تعود قريبًا، وأنه من الأفضل تأجيرها، وأضافت أن حكيم القرية يتولى حماية العيادة من المارة واللصوص حتى يتم العثور على مستأجرين.

توقفت للحظة وهي تغلق جهازها اللوحي، ثم تابعت:

- اتفقنا على أن أقوم أنا بالإعلان عن العيادة وتأجيرها بما أراه مناسبًا، وأن أحصل على عمولتي من الإيجار، ثم أودع الباقي في حساب أختي، لكننا اختلفنا حول نسبة العمولة، فموقع العيادة ليس مثاليًّا، إذ تقع في قرية

شبه مهجورة، وهذا كان عائقًا بالنسبة لي، حتى تواصلت مع (وزارة الصحة) وتركت الأمر لهم، وهو ما لم يرق لها لأنه خارج الاتفاق.

وبمجرد أن أنهت الأستاذة حسناء حديثها، سألها المحقق ألدرن وهو يدون ملاحظاته في دفتر صغير:

- أخبريني عن إجراءات الإيجار نفسها.

- ألتقي بالطبيب الذي يرشحه قسم (التسويق) في (وزارة الصحة) للإيجار، وأوقع معه العقد في مكتب المحاماة التابع للوزارة، ثم أرسل نسخة منه إليهم ليرسلوا لي عمولتي الضئيلة، وأقوم بتقسيمها بيني وبين أختي، وهو ما لم يعجبها، كما أنني أتحدث مع حكيم القرية لأبلغه بالمستأجر الجديد حتى لا يتعامل معه بتعالٍ.

استقامت دوجانا في جلستها وهي تستمع إلى آخر كلمة نطقتها الأستاذة حسناء، وسألت بدهشة:

- متى كانت آخر مرة زرتِ فيها العيادة؟!

- منذ حوالي ثلاثة أشهر تقريبًا.

توشح المحقق ألدرن بالحيرة، مُزمعًا طرح استفسار مُلحّ، غير أنه اضطر للتوقف عندما اخترق صوت رنين هاتفه صمت الأرجاء، فأجاب بخفة وهو يتمتم باسم المتصل، مُصغيًا بتركيز شديد.

وفي تلك اللحظة، جاهد المحقق ألدرن ليكتم أنفاسه ويحافظ على ثبات قسماته، إذ ما أُذيع في أذنه كانت أخبارًا تُرعد الفؤاد وتُثير الوجدان...

***

في غمرة الظلام الدامس، وقف الرجل ذو العضلات المفتولة، مكبوت الأنفاس، وهو يحاول كتمان دموعه التي تتساقط كأمطار الشتاء الغزيرة على وجنتيه، مستلقيًا بلا حول ولا قوة فوق ذلك السرير الطبي المهترئ.

وبعينين تكادان لا تريان من شدة الألم، ألقى نظرة يائسة أسفل ساقيه، تحديدًا نحو رأس تلك الطفلة التي اختطفها من دار الأيتام، محاطة ببركة دماء تلوح كبحيرة حمراء في الأفق.

وعلى الرغم من الرعب الذي اعتصر قلبه لرؤية تلك الفاجعة، إلا أنه صرخ بصوت مبحوح قائلًا:

- كيف لك أن تمتلك كل هذه القدرة الجبارة؟!

أجابه الرجل ذو الظل الشاحب، وهو يتفحص بنطاله المخضب بدماء الطفلة، بنبرة ملؤها الازدراء:

- من أمثالك... المتعجرفين والمتهورين والأنانيين، انظر إلى ما أوقعته بهذه الطفلة البريئة لو لم تقدم على فعلتك الشنيعة تلك، لما كانت هنا الآن، تغرق في بحر من الأسى.

وفي تلك اللحظة، جاهد المحقق ألدرن ليكتم أنفاسه ويحافظ على ثبات قسماته، إذ ما أُذيع في أذنه كانت أخبارًا تُرعد الفؤاد وتُثير الوجدان...

***

في غمرة الظلام الدامس، وقف الرجل ذو العضلات المفتولة، مكبوت الأنفاس، وهو يحاول كتمان دموعه التي تتساقط كأمطار الشتاء الغزيرة على وجنتيه، مستلقيًا بلا حول ولا قوة فوق ذلك السرير الطبي المهترئ.

وبعينين تكادان لا تريان من شدة الألم، ألقى نظرة يائسة أسفل ساقيه، تحديدًا نحو رأس تلك الطفلة التي اختطفها من دار الأيتام، محاطة ببركة دماء تلوح كبحيرة حمراء في الأفق.

وعلى الرغم من الرعب الذي اعتصر قلبه لرؤية تلك الفاجعة، إلا أنه صرخ بصوت مبحوح قائلًا:

- كيف لك أن تمتلك كل هذه القدرة الجبارة؟!

أجابه الرجل ذو الظل الشاحب، وهو يتفحص بنطاله المخضب بدماء الطفلة، بنبرة ملؤها الازدراء:

- من أمثالك... المتعجرفين والمتهورين والأنانيين، انظر إلى ما أوقعته بهذه الطفلة البريئة لو لم تقدم على فعلتك الشنيعة تلك، لما كانت هنا الآن، تغرق في بحر من الأسى.

جاهد الرجل ذو العضلات المفتولة لفك قيوده، لكن كل محاولاته ذهبت أدراج الرياح، فقد كانت القيود أقوى من أن تنكسر، بالرغم من كل ما بذله من قوة، إلا أن عضلاته المتورمة قد استسلمت لليأس، وهو يقول بغضب دفين:

- حسنًا... أعترف بخطيئتي في اختطاف هذه الطفلة، ولكني أقسم لك إنها كانت زلة من الشيطان وكل ما أردته هو أن أكون والدًا صالحاً أسمع صدى كلمة «بابا» يتردد في أرجاء البيت، لكن عقمي حال دون ذلك، فلم يبقَ أمامي سوى هذا الطريق المظلم.

اقترب منه الرجل ذو الظل الشاحب، وقال بسخرية مريرة:

- عقمك هذا ليس إلا انعكاسًا لأفكارك الجدباء، كزلة شيطانك الذي تتحجج به... ولكن، دعني أظهر لك خطيئتي، فأنا واثق من أنها ستلقى استحسانك.

ومع انسلال ضحكة ماكرة على شفتيه، رمقه الرجل ذو العضلات المفتولة، وهو يستمع إلى ضحكته الطويلة والمخيفة، قائلًا بصوت مخنوق:

- ماذا تنوي فعله بي؟!أرجوك... أطلق سراحي أرجوك...

واصل الرجل ذو الظل الشاحب ضحكته الساخرة، وهو يستمع إلى توسلاته، ثم توقف فجأة، قائلًا بكل جدية:

- الآن تبدأ اللعبة الحقيقية.

وما أن انتهى من قول ذلك حتى قام بوضع قفص حديدي متآكل، تكسوه فتحات صغيرة أسفل قاعه مباشرة فوق المنطقة الحوضية[5] للرجل ذي العضلات المفتولة حيث كان القفص مزينًا بأطراف حادة وصدئة، وكأنها تروي قصصًا من العذاب القديم.

وفور انتهائه من وضع القفص بإحكام، أدخل بعض الفئران الهزيلة التي بدت وكأنها لم تتغذَّ منذ أزمان بعيدة، وكانت عيونها تلمع ببريق جوع لا يُشبع.

وما أن انتهى من وضعها داخل القفص، حتى بدأ بتسخينه مستخدمًا مولد النار، الذي كان يصدر صوتًا خافتًا ولكنه مرعب، وكأنه يهمس بأسرار الجحيم إذ بدأ الرجل ذو العضلات المفتولة يردد بخوف وتوسل:

- أرجوك، فك قيدي... أرجوك... سأفعل كل ما تريد.

لم يحرك ذو الظل الشاحب ساكنًا وهو يستمع لتوسلاته تلك بل تراجع إلى الخلف وهو يراقب بعينيه الباردتين كيف بدأت الفئران تشعر بالحرارة المتزايدة نتيجة إشعال النار من المولد والرجل ذو العضلات المفتولة مستلقٍ فوق السرير الطبي، يحاول فك قيده وجسده يرتجف من الألم والرعب.

وسرعان ما بدأت الحرارة تتزايد مما جعل الفئران تمضغ الجلد وكل شيء أمامها بأسنانها الحادة من خلال تلك الفتحات الصغيرة مخترقة بذلك اللحم وقضيب الرجل ذي العضلات المفتولة بسهولة وكان الصوت الناتج عن

2575565132

المضغ مرعبًا، وكأنها همسات الموت تقترب ببطء والفئران تعمل بتناغم تبحث عن مخرج للهرب من جحيم هذا اللهيب الحارق.

ومع كل قضمة... كان الرجل ذو العضلات المفتولة يشعر بألم لا يوصف، وكأن النار تشتعل في جسده بدلًا من القفص الحديدي والدماء تتدفق بغزارة والفئران تزداد جشعًا، والرجل يزداد ضعفًا.

لقد كان المشهد يجسد الرعب في أبشع صورة، والفئران تلتهمه وكأنها جزء من طقوس قديمة، طقوس لا تعرف الرحمة ولا الشفقة.

وفي هذه اللحظات المرعبة أدرك ذو الظل الشاحب أن النهاية قريبة، ولكنه كان يستمتع بكل لحظة من العذاب والصراخ.

أخيراً... وبعد معركة ضارية من الصراخ والألم، انبثقت الفئران من أحشاء الرجل ذي العضلات المفتولة، تاركة خلفها جثة مشوهة وممزقة.

ومع كل هذا الصراع ومشاهد الرعب، لم تتمكن الفئران من القضاء عليه، مما أثار غضب ذي الظل الشاحب بشدة، إذ اقترب منه مرة أخرى وهتف بصوت صارخ:

- أسامة[6]!!

وبمجرد أن نطق الرجل ذو الظل الشاحب بهذا الاسم، حتى بدأت ملامح كائن ضخم تتشكل من بين الظلال، كائن يشبه وحشًا يلهث بشراهة

كالكلاب المتعطشة للفريسة.

لم يكن مجرد ظلٍ يتحرك في الظلام... بل كانت هيئته تشبه الأساطير القديمة، فقد كان ذلك بملامح كلب البيتبول[7] أسود اللون كالليل الحالك، وبريق عينيه كان يشع كنجمتين متوهجتين في سماء مظلمة وعضلاته المنتفخة كانت تبدو وكأنها تتمزق من شدة القوة تحت فروه البراق، وطوقه المصنوع من خيوط الذهب الخالص يكتنف عنقه كتاج ملكي، ومنه يتدلى قرص معدني يمل أرقامًا متماثلة «8,8,8»، وكأنها إشارة إلى لغز عميق.

أما أنفاسه فكانت تتصاعد كالدخان في الهواء القارس، ولسانه الأحمر الطويل يتراقص في الهواء مثل لسان الحرباء، واللعاب يتساقط من فمه كقطرات الندى على أوراق الصباح.

بدأ الرجل ذو العضلات المفتولة يرمقه بخوف والرعب يتسرب من نبرات

صوته قائلًا بصعوبة بالغة وبهمس شديد:

- ماذا تنوي بهذا الكلب أن يفعل بي؟!...أطلب الرحمة منك أرجوك.

- كلب؟! هذا ليس بكلب عادي... إنه أسامة، الهجين الذي يتغذى على الأرواح القذرة أمثالك... تبقت اللمسة الأخيرة فقط من هذه اللعبة.

وما أن انتهى من نطق ذلك حتى، انطلق ذلك الكلب الهجين العملاق نحو الرجل المقيد فوق ذلك السرير الطبي.

الهجوم كان سريعًا كالصاعقة، وهو ينقض بكل ما أوتي من قوة، وأنيابه البيضاء تبرق في العتمة.

الرجل يصرخ، يحاول جاهدًا دفع أسامة الغاضب بعيدًا عنه، لكنه لم يتزحزح، بل بدأ ينهش في لحمه بوحشية تشبه أسود الغابات الأفريقية الجائعة.

ومع بدء الكلب أسامة بالتهام فريسته، ارتفع صوت الرجل ذي الظل الشاحب، وكان صوته أشبه بنهيق الحمار، يهتف ويتلوى بيديه الهزيلتين في الهواء بنشوة محمومة، مرددًا بلهجة مصرية مستهزئة:

«أُس أس أسـامـــة ... زي البركان حمامة

يدخل في أي مكـان ... يترك وراه علامة!»

وبمجرد انتهائه من تلك العبارات، انقض عليه الكلب الهجين في صراع

محموم، وكأن تلك الكلمات كانت بمثابة ترنيمة «القضاء»، إذ ارتفعت أنفاسه فوق صمت الليل الرهيب.

وبعد ذلك الصراع العنيف، توقفت أنفاس ذلك الرجل ذي العضلات المفتولة مفارقًا الحياة فوقف الكلب الهجين أسامة فوقه، والدماء تنتشر في كل مكان، فاقترب الرجل ذو الظل الشاحب من أسامة وقدم له ثمرة الأنبج كجائزة لانتصاره في هذه المعركة الشرسة، حيث مزق الكلب الهجين أسامة، قشرة الأنبج بحذر بين أنيابه وكشف عن لحمها اللذيذ التي بدأت تذوب في فمه فشعر بالحلاوة والحموضة تتناغمان معًا في رقصة مثيرة على لسانه الطويل الشبيه بلسان الحرباء.

وفور انتهائه من تناوله، أطلق أسامة صوتًا انتصاريًّا أشبه بمزيج نباح الكلاب وعواء الذئاب... يتردد صداه في أرجاء المكان، معلنًا عن نهاية معركة لن تُنسى...

***

في (حي الحمراء) وعلى طريق (المدينة المنورة) في مدينة (جدة)... يقبع باب عريض من خشب الجوز الداكن، مزخرف بنقوش عربية تعكس تراث الوطن العريق على هذا الصرح المهيب.

وداخله يمكث مكتب ضخم من الخشب الأسود المصقول، يتوسط الغرفة كقطعة فنية تحكي قصص القرارات المصيرية التي اتخذت خلفه.

الجدران مغطاة بألواح خشبية دافئة اللون، وعليها تعلق لوحات فنية تجسد مشاهد من التاريخ الوطني، بينما يتدلى من السقف ثريا كريستالية ضخمة، تنشر ضوءها الخافت على كل زاوية، مضيفةً لمسة من الإبداع والأناقة.

تتناثر حول هذه الغرفة مقاعد جلدية فاخرة، وتقف خلف النوافذ الواسعة ستائر من الحرير الثقيل، تطل على منظر خلاب لمدينة (جدة)، حيث يمكنك رؤية الحياة تتدفق في شرايين الشوارع من علُ.

فقد بدا هذا الصرح الشامخ وكأنه ليس مجرد مكان للعمل فقط، بل هو رمز للقوة والتأثير... تُنسج الخطط وتُبنى الاستراتيجيات لمستقبل آمن شامخ.

كل قطعة فيه تحكي قصة، وكل زاوية تخفي سرًّا، في هذا الصرح الذي يعج بالبسالة والشيم.

وتتشابك خيوط السياسة والأمن لتنسج نسيج النزاهة والعدالة. وفي صمت المكان، انبعث صدى صوت عميق يخترق السكون، قائلًا بنبرة جليلة:

- لم تُشرع أبواب الفهم لدينا لربط تلك الوقائع بقضيتكم في البدء..

بهذه العبارات المحملة بوقار السلطة، أطلقها وكيل (وزارة الداخلية)، متجهًا بنظراته الثاقبة نحو مساعِدة المحقق ألدرن، التي بدت عليها ملامح

الانزعاج والاضطراب، وهي تصغي بانتباه مشدود، ليتابع وكيل الوزارة مواصلًا حديثه بجدية:

- لاعب كمال أجسام للمنتخب الوطني يدعى (طارق)، قد تلاشى من الأنظار منذ أسابيع، عقب هزيمته المدوية في مسابقة (مستر أولمبيا) التي أُقيمت في قلب العاصمة الفرنسية، (باريس)، وبالتحديد في يوم (الخميس الموافق للعاشر من أكتوبر)... وصلنا هذا الإخطار من مركز الشرطة بمدينة (العُلا)، تقدم به المنتخب الوطني، وباختصار... إنه لاعب لامع واختفاؤه قد يتحول إلى موضوع يشغل الرأي العام، وهو ما نسعى لتجنبه.

ألقت دوجانا نظرة متسائلة نحوه وهي تتمتم بتوتر:

- إذًا... متى بدأتم بربط الخيوط بين المحقق ألدرن وبين هذه القضية المبهمة يا سيادة اللواء؟!

أشاح وكيل الوزارة بإصبعه السبابة فوق مكتبه نحو كومة من المستندات، مجيبًا:

- عندما أجرينا مراجعة دقيقة للتسجيلات الآتية من كاميرات المراقبة التي تحرس مسكنه.

بعد قوله هذا، دفع وكيل الوزارة نحو مساعِدة المحقق ألدرن، مجموعة من المستندات، دون أن يزيد على ذلك حرفًا واحدًا، وبتردد ملحوظ، استلمت دوجانا تلك المستندات وبدأت تتفحص محتوياتها بعينين تضيقان

بالاستنكار مع كل كلمة تقرؤها، فالتفاصيل المدونة في تلك الأوراق كانت تبدو كما لو كانت مستلة من رواية خيالية، حيث تشير العبارات المكتوبة إلى أن كاميرات المراقبة قد أثبتت وجود اللاعب طارق، وهو يخوض صراعًا محتدمًا مع شخص ظله يوحي بالهزال، ولم تتمكن الكاميرات من التقاط ملامحه، كأنه يعي تمامًا مواقعها، إذ بدا طارق يتدفق دمًا وهو ممدد على أرضية حديقة منزله الفاره في مدينة (العُلا)، ولكنه اختفى بعد ذلك..

- هذا لا يمكن أن يحدث... ظل شاحب لرجل أدنى حجمًا يتفوق في الشجار على لاعب كمال أجسام يتمتع بقوة وطول فائقين!!

أطلقت دوجانا هذه الكلمات وهي مذهولة من قراءتها لتلك المستندات، فأومأ نائب الوزارة برأسه مؤكدًا:

- في هذه النقطة بالذات... أدركنا أن الأمر يرتبط بالمحقق ألدرن وبقضيتكم.

رفعت دوجانا بصرها نحوه، غير مبالية بحضور وكيل الوزارة الذي يبدو أكبر سنًّا ورتبة منها، متسائلة بحدة مفرطة:

- قمتم بالربط، فقط لأن الخصم يقل حجمًا؟!

أجاب وكيل الوزارة على سؤال مساعِدة المحقق ألدرن بسرعة مفاجئة، قائلًا:

- لا... بل لأن هذه الحادثة تعد غريبة الوقوع.

وبعد أن أتم وكيل الوزارة حديثه، خيم الصمت للحظات حتى قالت دوجانا وهي ترمق تلك المستندات:

- إذًا يا سيادة اللواء، أترى أن حادثة الاختفاء تلك مرتبطة بذلك السفاح البيدوفيلي، الذي نجري وراءه ونسعى خلفه؟!

أومأ وكيل الوزارة برأسه موافقًا وهو يقول:

- بالتحديد.

لدى انتهاء وكيل الوزارة من إلقاء تلك الكلمة، بدت دوجانا مساعِدة المحقق ألدرن غارقة في تأملاتها لبرهة وهي تنظر نحو نافذة مكتب الوكيل، تتمتم بينها وبين نفسها:

- ذلك البيدوفيلي... لقد سئم من العبث بضحاياه الصغار.

- عبث؟! ما هذه الألغاز التي تنسجينها؟!

أدارت دوجانا وجهها نحوه، وبنبرة متجاهلة لاستغرابه، واصلت بصوت يكاد يكون همسًا:

- من أجل ذلك قام بتغيير ضحيته... إنه يريد نقل اللعبة إلى رقعة[8] شطرنج أوسع.

انزوى وكيل الوزارة في كرسيه، وبلهجة ممزوجة بالغيظ والسأم، تمتم:

- لقد غمرتِني بالغموض يا دوجانا، ما هذا اللغز الذي تطرحينه؟!

ألقت نظرة خاطفة نحوه، وهي تنفض عن نفسها غبار التساؤلات، وبصرامة تخفي وراءها ألف سر، قالت وهي تنهض:

- الأهم أنني بدأت أستشف خيوط لعبته.

ومع انتصابها، رفع وكيل الوزارة بصره نحوها، وبصوت يحمل هيبة السطوة، أفصح:

- وزارة الرياضة ترقب هذه القضية بعين الجد، فقد اتصل بي الوزير شخصيًّا، مؤكدًا على ضرورة استعادة اللاعب طارق، فهو من أعمدة الرياضة في الوطن ولا يجوز التفريط به.

نظرت إليه دوجانا، وبثقة تنم عن يقين داخلي، أجابت:

- كن على يقين يا سيادة اللواء، إن كانت تحليلاتك دقيقة، فسيعود اللاعب.

همهم وكيل الوزارة بترقب:

- حقًّا؟!

أومأت دوجانا برأسها مؤكدة، وهي تحدق في عينيه:

- لكنه سيعود بلا جسده.

تجهمت ملامح وكيل الوزارة، وبينما تشدَّدت عضلات جبينه... سأل

بنبرة متوترة:

- ما الذي تلمحين إليه؟!

مالت دوجانا برأسها، وبنظرة محملة بالغموض، ردت:

- أقصد يا سيادة اللواء، أن رأسه سيعود، لكن جسده... سيظل مفقودًا في غياهب الزمان.

تبدلت ملامح وكيل الوزارة إلى الشحوب، وهو يهمس بصوت مختنق:

- دوجانا... هل تعنين...

لم يتمكن من إكمال جملته، فقد قاطعته مساعِدة المحقق ألدرن، قائلة بحزم:

- حتى الآن... لا أعني شيئًا محددًا يا سيادة اللواء.

ثم استقامت دوجانا في وقفتها، مضيفة بتوتر يكاد يكون ملموسًا:

- لكنني أنتظر ظهورها.

- ظهور ماذا؟!

شدت دوجانا من أزرها، وأخذت نفسًا عميقًا، وأجابت:

- الرأس...مع الأنياب المقتلعة، يا سيادة اللواء.

وبمجرد أن أنهت دوجانا كلماتها تلك تحولت ملامح وكيل الوزارة إلى

الشحوب الشديد، وكأن الليل نفسه قد تجسد في محياه..

***

انغمست الأستاذة حسناء في تأمل عميق، تتلمس بنظراتها الكهرمانية ذاك التصميم الذي أودعه المحقق ألدرن أمامها، ثم أطلقت رأسها في هزة من الإنكار، معلنة بصوت يقطر حيرة:

- لا... لم يسبق لي معرفته، ولا يحمل ذكرى في ذاكرتي، سواء أُطلق عليه اسم الدكتور سِنان أو غيره.

راقب المحقق ألدرن ملامحها للحظات، فاستشعرت الأستاذة حسناء نظراته المتفحصة فانفجرت قائلة بتوتر مكتوم:

- أتنقب عن أسرار أفكاري... أم ماذا؟!

تراجع المحقق ألدرن خطوة إلى الوراء، محيدًا بصره عنها، وأجاب بنبرة مطمئنة:

- بالتأكيد لا... أبدًا.

قال ذلك و هو يتجنب النظر إليها لبرهة، وكأنه يخشى أن تنفذ هي إلى خبايا ذهنه، ثم استقام في جلسته متأملًا إياها، سائلًا:

- هل تستطيعين ملاحظة أي تغييرات طرأت على العيادة إن نظرتِ إليها الآن؟!

ارتسمت على وجه الأستاذة حسناء لمحات من القلق وهي ترد بحذر:

- الآن؟! تعني في جنح الليل؟!

تهادت ابتسامة خفية على شفتي المحقق ألدرن وهو يقول:

- أتخشين العتمة... أم ماذا؟

- أنا حسناء... لا أرتعد من شيء... أبدًا.

اتسعت ابتسامة المحقق ألدرن قليلًا، وألقى نظرة على ساعته، قائلًا:

- الوقت الآن السابعة والنصف مساءً، ما رأيكِ في أن نتوجه الآن إلى العيادة؟!

ظهرت على محياها علامات التردد للحظة، ثم قالت:

- أظن أنـ...

كادت الأستاذة حسناء تتفوه بشيء، لكنها قطعت حديثها مباشرة وهي تنظر إلى المحقق ألدرن، وتقول بتساؤل محموم:

- حسنًا... لكن ألا تظن أن الأمر سيستغرق وقتًا طويلًا؟!... فقرية (ذعبلوتن) بعيدة عن مسالك السرعة، ويتوجب علينا الطيران إلى مطار (عردة)

أخذ المحقق ألدرن أغراضه واستعد للمغادرة قائلًا:

- صحيح... ولكن بين شقوق الجبال، حيث لا تطالها أعين الفضوليين، تمتد أنفاق سرية تشق طريقها بين مدن وأرجاء الوطن، هذه الأنفاق التابعة لوزارة الداخلية، ليست مجرد مسالك... بل هي شرايين الوطن التي تنبض في الخفاء إذ يحظر علينا استخدامها سوى في الحالات الطارئة والقصوى.

ثم أردف:

- أعتقد أنه حان الوقت لاستخدامها، ستغنينا عن الرحلة الجوية.

قال ذلك وهو يخرج برفقة الأستاذة حسناء من منزل صديقتها في حي (المظلوم) متجهًا نحو ذلك النفق الذي قام بإخبارها عنه للتو...

***

تتمثل الطرق المألوفة للوصول إلى قرية (ذعبلوتن) في الانطلاق جوّاً والهبوط في مطار (عردة الخاص) الذي يقبع على بُعد يناهز 400 كيلومتر

من القرية.

وبعد الوصول إلى المطار، يتعين على المسافر استقلال سيارة الدفع الرباعي المُعدّة للظروف المناخية لهذه المنطقة، والانطلاق بها عبر دروب صحراء (الربع الخالي) القاحلة، وهي رحلة تستغرق وقتًا طويلًا.

ولكن... إذا تم العبور عبر الأنفاق السرية، فإن المدة المستغرقة للوصول إلى قرية (ذعبلوتن) تتقلص إلى أجزاء من الوقت المعتاد.

***

وبعد انقضاء فترة من الزمن، بلغ المحقق ألدرن، برفقة الأستاذة حسناء، أعتاب العيادة الطبية، التي بدت وكأنها موؤودة في خرابها، والهلع يتناثر من شقوق نوافذها وأبوابها الآيلة للسقوط.

وهو يخطو في ساحة العيادة، أشاح المحقق ألدرن بيده نحو مسرح

الجريمة الذي يحيطه سياج من أشرطة الأمن مكتوب عليها «ممنوع الاقتراب»، قائلًا:

- هنا كشفنا عن ذاك الكيس القماشي الذي كان يخفي بين طياته أنيابًا مجتثة ورؤوس أطفال مبتورة.

لم تكد تلك الكلمات تفارق شفتي المحقق حتى انتابت الأستاذة حسناء قشعريرة مسكونة بالفزع، دفعتها إلى القول بتهكم:

- أكان لا بد من أن تثقل علّي بهذا الآن؟!

ثم أشارت بيدها نحو شجرة مُتنسِّرة قديمة على مقربة من العيادة الطبية قائلة بحيرة:

- أهذه شجرة العهد؟!

- دعكِ من هذا الهراء إنها شجرة الموز..

وما أن انتهى من قول ذلك حتى ألقى المحقق ألدرن نظرة خاطفة وهو يقهقه بسخرية لم تكن في الحسبان، فأثارت حفيظتها واكفهر وجهه، فسألته وهما يقفان أمام باب العيادة:

- أمعك مفتاح العيادة؟!

أجاب المحقق ألدرن بحركة من كتفيه، قائلًا بسؤال مضاد:

- لعله بحوزتكِ.

- لماذا لم تخبرني قبل أن نأتي؟!

تبسم بابتسامة مطمئنة، قائلًا:

- لأن المفتاح بيدي.

احمر وجه الأستاذة حسناء لدى سماعها ذلك وهتفت بلهجة حادة:

- إنك لشخصٌ مشاكس.

وبمجرد أن أطلقت تلك العبارة، حتى توقفت الأستاذة حسناء، وكأنها تعيد تقييم ما قالته للتو، وما لبثت حتى غمرها الأسى الذي رأته من عينيه البنيتين والألم الذي كان يعتصر ملامحه، فشعرت بالندم على كل حرف نطقت به، وهمست مرتبكة بكل هدوء:

جميع الحقوق محفوظة لقناة رَقش

- آسفة... لم أقصد...

وقبل أن تتمكن الدكتورة حسناء من إكمال جملتها، قاطعها المحقق ألدرن بجدية:

- لا بأس.

قال ذلك وهو يصعد درجات السلم الطيني، بينما كانت الأستاذة حسناء تتمسك به بسبب حذاء الكعب العالي الذي تنتعله، وقالت بنبرة متسائلة:

- كيف حصلت على هذا المفتاح؟!

- من حكيم القرية..

في هذه الأثناء كانت الأستاذة حسناء تسعى لتخفيف التوتر بينهما والبدء بالحوار معه، محاولة تلطيف الأجواء بعد حدتها السابقة، لكن المحقق ألدرن بدا وكأنه أغلق شفتيه بإحكام، مستعيدًا هيبته العسكرية، وهو يدخل المفتاح في فتحة قفل باب الساحة الداخلية للعيادة، وما أن فعل ذلك حتى ارتجفت الأستاذة حسناء بلا سابق إنذار، متملكًا إياها رعب عميق، وكأنها تلهث من هول ما رأته في ساحة العيادة... إذ لمحت عيناها الكهرمانيتان جسدًا ذا ظلالٍ شاحبة يتحرك نحوهما بخفة شديدة ويختفي فجأة، ومع كل التوتر الذي كانت تحاول كبته في أعماقها، وجدت نفسها تصرخ بكل قوتها، صرخة رعب مدوية... عمّت أصداؤها المكان...

الفصل السابع

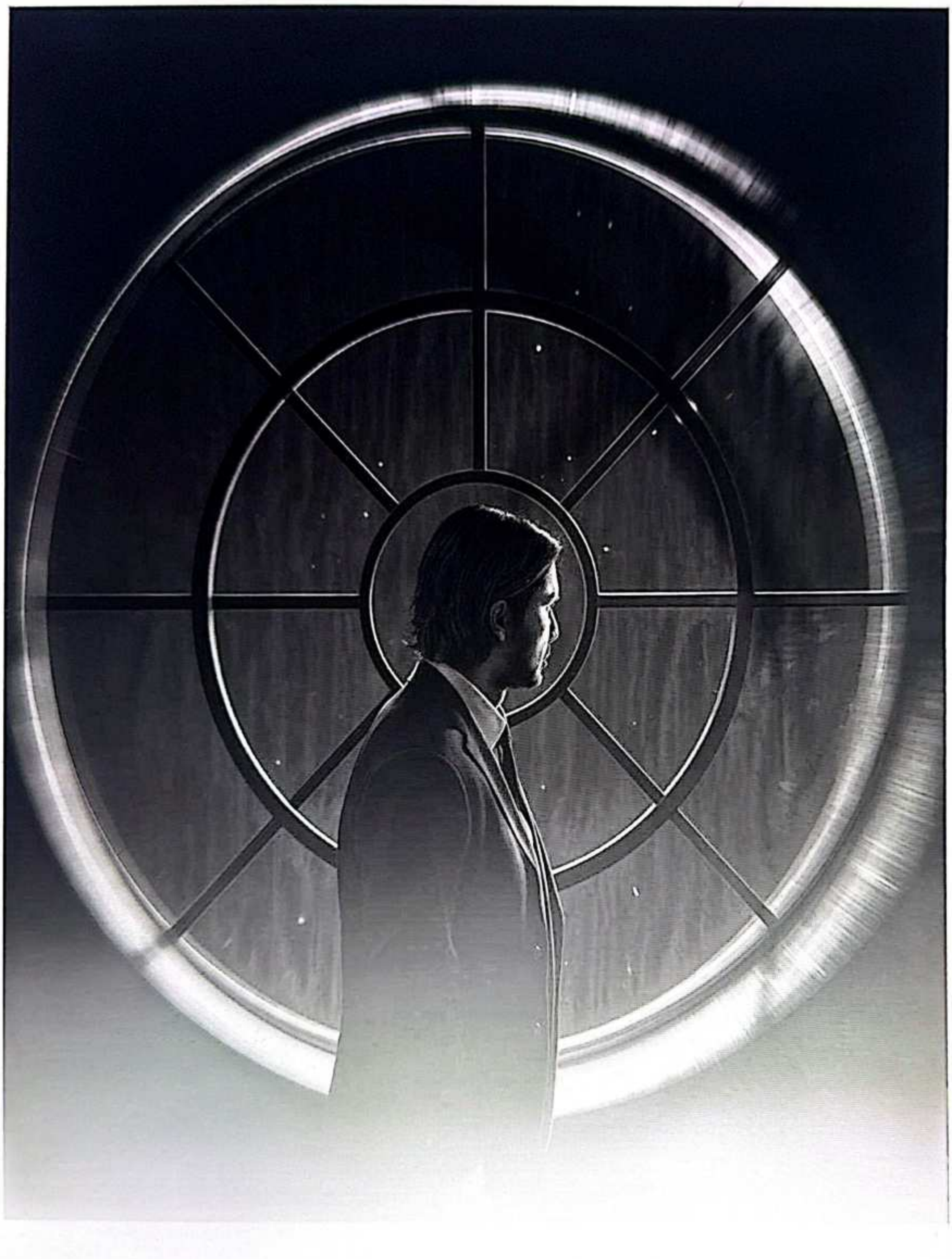

7

متاهة العقل تبتلع الحقائق

في زاوية المكتب حيث يوجد مكبُر للصوت يبث من خلاله موسيقى كلاسيكية هادئة، تُضفي جوًّا من التأمل والهدوء.

والأضواء الخافتة تُسلط الضوء على ملامح وجه مساعِدة المحقق ألدرن... إذ بدت تُحدق في الفراغ، تجلس بصمت فوق مقعدها وكأنها تشعر بأن المحقق ألدرن لا يسير على الطريق الصحيح، شعور غامض داخل امرأة قامت بالتضحية بكل شيء تجاه عملها.

حيث قامت بالغوص داخل تفكير عميق جدًّا داخل مكتبها في قسم البحث الجنائي وفي سرعة مهيبة شردت بعقلها تستعرض داخله كل ما مرت به مع المحقق ألدرن بخصوص هذه القضية وكأنها تقوم برؤية شريط فيلم أمامها، وهي تمسك بكوب القهوة، ذات اللون الأسمر كأسرار الليل، تحمل في طياتها حكايات الأمسيات الطويلة حيث كانت تنبعث منها رائحة النعناع المنعشة.

فبدأت ترتشف من مزيج القهوة والنعناع الذي برد منذ زمن، وكأن القهوة الباردة تذكرنا بأن لكل شيء زمنه الخاص، وإن ضاع الوقت، ضاعت الفرصة...

وعيناها تُحدقان في الأرجاء وكأنها تحاول إيجاد رسالة مُشفرة. تعيد

ترتيب الأحداث داخل عقلها، وتصنفها حسب الأولوية، وتعيد مراجعة الحدث الأكثر إثارة للشكوك.

ولكن من دون سابق إنذار انتفض جسدها، انتفاضة مرتعشة عندما ارتفع رنين طرقات منتظمة على باب مكتبها فسألت بتوتر مبالغ فيه:

- من؟!

قام الجندي بدفع الباب في حذر، وهو يقول:

- إنه بلاغ عاجل... من قسم الشرطة بمدينة (العُلا)!!

حدقت دوجانا نحوه لِلحظة، وكأنها لم تسمع ما قام الجندي بإخبارها به للتو، ثم تنحنحت في قوة، وهي تقوم بمد يدها تجاه الجندي، قائلة:

- من أين البلاغ؟!

قام الجندي بمناولة جهاز الإرسال اللاسلكي وهو يقول في توتر:

- إنه بلاغ من مقيم... بخصوص عثوره على... على....

لم يستطع الجندي إكمال حديثه وذلك لأن الارتباك استولى على لسانه لفترة معدودة، فتجاهلت دوجانا ذلك، وبدأت تسمع جهاز الإرسال اللاسلكي، مما جعل الجندي يكمل حديثه في صوت مختنق يهمس قائلًا:

- على أنياب مقلوعة ورأس مقطوع!!

وفور انتهائه من قول آخر حرف من جملته ارتفعت أعين مساعِدة المحقق

ألدرن نحوه في حركة حادة، ثم عادت ببصرها في بغتة نحو جهاز الإرسال اللاسلكي، إذ خرج صوت من ذلك الجهاز يقول:

- في تمام السابعة وسبع دقائق، وردنا بلاغ من المقيم السوري (سِنان) بعثوره على....

توقف الصوت لِلحظة، وعاد ذلك الصوت مرة أخرى ليكمل حديثه قائلًا:

- أنياب مقلوعة ورأس مقطوع بجوار (جبل الفيل) في مدينة (العُلا).

وما أن انتهى ذلك الصوت، حتى نبضت دوجانا كل عرق في جسدها، وهي تعود في ذهنها إلى الخلف تحديدًا عند سماعها «بالمقيم السوري سِنان»

وما أن قامت بنطق هذا الاسم بين شفتيها حتى انتفض جسدها هذه المرة في عنف شديد، ثم نهضت وهي تقوم بإغلاق جهاز الإرسال اللاسلكي قائلة للجندي في صرامة مريرة:

- قم بإخبار فريق البحث الجنائي باللحاق بي في مدينة (العُلا) فورًا.

وما أن فرغت من حديثها حتى همت بمغادرة مبنى قسم البحث الجنائي، وفي أعماقها تنطلق صرخة تحدٍّ غاضبة، قائلة:

- لن تربح في هذه اللعبة أيها السفاح البيدوفيلي... لن تربح أبدًا.

تردد صدى تلك الكلمات داخلها بكل قوة ومن دون انقطاع

شديدًا ومهيبًا...

وسط صمت المكان الذي خنقه الترقب، كان الهواء مشبعًا بثقلٍ غريب، وكأن الجدران نفسها تحبس أنفاسها.

وقبل أن تخرج الأستاذة حسناء أحرف صرخاتها تلك، طَفَرَ المحقق ألدرن بكل ما أوتي من قوة نحو ذلك الظل، الذي بدا قريبًا من عتبة السلم وما أن اصطدم فوقه حتى سمع صوتًا مألوفًا، يصرخ في ارتباك مرعب، ممزوج بالوصب، قائلًا:

- لم أفعل شيئًا... لم أفعل شيئًا!!

وما أن سمع المحقق تلك الكلمات حتى اعتدل في سرعة... نتش الرجل من ثوبه، وأجبره على النهوض، وهو يقوم بتغطية وجهه باستخدام كفيه لحماية نفسه، فهتف المحقق ألدرن في استشاطة:

- حكيم القرية؟!... ماذا تفعل هنا؟!

ألمعت الأستاذة حسناء نحو حكيم القرية، الذي بدا شديد الذعر، وهو يجيب قائلًا:

- إنني أقوم بواجبي.

رمقت الأستاذة حسناء تجاهه، قائلة:

- في هذه الساعة يا حضرة الحكيم؟!

حدق حكيم القرية نحوها لا مباليًا، فقال له المحقق ألدرن وقد تحولت استشاطته إلى صرامة ملأت شفتيه:

- لماذا لم تبلغنا بوجودك؟!

- لم أكن أعلم من أنتم في بداية الأمر.

قال ذلك حكيم القرية وهو يخفض عينيه مضيفًا:

- فخفت!!

وما أن انتهى من قول ذلك حتى غزت نظرات مشفقة من المحقق ألدرن والأستاذة حسناء نحوه، فربت المحقق على كتف الحكيم، قائلًا:

- لا عليك... نحن أيضًا ارتعبنا منك.

استدمع الحكيم للحظات على نحو شاحب من شعورهما بالشفقة تجاهه، فقالت الأستاذة حسناء محاولة تلطيف الموقف:

- أفتقدك كثيراً يا حضرة الحكيم.

وفور انتهاء الأستاذة حسناء من قول ذلك نظر الحكيم نحوها معلنًا بتلك النظرات نجاح كلماتها البسيطة في كسر توتره... فهتف قائلًا:

- أستاذة حسناء...!! حمدًا لآلهة السماء على سلامتك.

لم تجب الأستاذة حسناء على قوله وكأنها لم تسمعه فقامت برفع سبابتها مشيرة نحو القرية، قائلة:

- كيف أحوال القرية؟!

نظر الحكيم نحوها حاملًا بنظراته تلك كل الأسى، وهو يشير إلى العيادة الطبية، قائلًا:

- انظري إلى الإهمال الذي غزا العيادة الطبية فور غيابكِ عنها.

اقترب المحقق ألدرن من الحكيم، وربّت على كتفيه بلطف قائلًا:

- سنلقي نظرة داخل العيادة الطبية مرة أخرى ثم سنقوم بالواجب تجاه هذا الإهمال. - حسنًا يا حضرة المحقق... سأنتظركما هنا في ساحة العيادة حتى تنصرفا، ثم أنصرف بدوري.

أومأ المحقق ألدرن برأسه معلنًا موافقته على ذلك، ثم واصل طريقه برفقة الأستاذة حسناء، تجاه باب العيادة الطبية، وهو يغمغم، محاولًا بذلك تخفيف توتر الأستاذة حسناء:

- عيادة كبيرة كهذه وبابها من الخشب؟! ياللعجب!!

غمغمت الأستاذة حسناء وهي تعجز عن كتمان توترها:

- هل تعلم بأن عمر هذه العيادة الطبية يتجاوز المائة عام؟!

قالت ذلك وهي تنظر نحو المحقق ألدرن يقوم بدفع باب العيادة، فصدر منه صرير مزعج، غزت جسدها قشعريرة مرعبة جعلتها تغمغم:

- طبعًا... ذلك الصرير المزعج كان لا بد منه لاستكمال النغمة المفقودة

للمشهد المرعب.

لم يقم المحقق ألدرن بقول شيءٍ تجاه كلماتها تلك بل قام برفع سبابته فوق زر الإضاءة، لتشغيل الأضواء ولكن العيادة الطبية بقيت مظلمة، وفي حصافة غمغم المحقق ألدرن:

- هكذا بات المشهد مرعبًا بالفعل.

قال ذلك وهو يشعل مصباحه اليدوي الذي يكون دائمًا معه رفيق دربه... تمامًا كالذي يشبه مصابيح المحققين في (أفلام الكرتون)، لكنه هنا يبدو أكثر جدية وغموضًا.

حيث انبثق من ضوء المصباح خيوط من الظلال الطويلة التي ارتسمت على الجدران الباهتة، مسلطةً الضوء على الأدوات الطبية المتناثرة حوله... كانت الأدوات مغطاة بطبقة من الصدأ، وكأنها شاهدة صامتة على سنوات من الإهمال.

هذا التناقض بين الضوء والظلال، وبين المصباح البسيط والأدوات المتصدئة، أضفى على المشهد أجواءً تقشعر لها الأبدان، وكأنه جزء من قصة غامضة لم تُروَ بعد.

وفي حركة غير متعمدة قامت الأستاذة حسناء بخطف ذراع المحقق ألدرن وقلبها يخفق بقوة مرعبة، فشعرت حينها بتوتر المحقق ألدرن، فغمغمت، وهي تتقهقر في خجل وارتباك:

- المعذرة.

لم يعطِ المحقق ألدرن أية أهمية جدية على كلمتها، وهو يركز ضوء مصباحه على جدران الغرفة الطبية المجاورة أمام عينيه البُنيتين، وحاجباه ينعقدان في شدة ومرج بينما قامت الأستاذة حسناء برمق عينيها الكهرمانيتين نحو أنظاره ومن دون سابق إنذار انتفض جسدها كله في رعب مهيب.

هذه المرة كانت صرخة الرعب التي خرجت من خلال شفتيها بواسطة أحرفها أكثر قوة ورهبة من ذي قبل...

***

تتناغم الأصداء القديمة مع نسيم الحاضر، حيث يقبع مركز شرطة مدينة (العُلا) في (شارع عثمان بن عفان) في حي (الصخيرات).

إذ يحمل في طياته خفايا عتيقة، وجدرانه تروي حكايات العدالة والنظام.

ليس مجرد مركز شرطة، بل هو حارس الأمان في مدينة تفوح منها رائحة التاريخ... تتسلل إضاءة القمر خلسةً من خلال النوافذ العالية، بينما تتراقص الأتربة في نسيمها كأنها تخفي ألغازًا لم تُحل بعد.

***

الصمت يُخيم على المكان... مُتخللًا إياه صوت أقدام حذرة تتبعها الأصداء في الأروقة الطويلة حيث ارتفع صوت يقول:

- يا للهول، إنه هو!!

قام بإلقاء تلك الكلمات ضابط مباحث شرطة مدينة (العُلا) في سخط، وهو يشير إلى الأنياب المقلوعة والرأس المقطوع، التي تم العثور عليها بواسطة سائح من «الجالية السورية» داخل صندوق من الفولاذ بجوار (جبل الفيل) المكان كان شبه خالٍ من السياح والبشر.

وبكل توتر قامت مساعِدة المحقق ألدرن تلتقط نفسًا عميقًا وهي تغمغم في تجمجم:

- إنه طارق... لاعب المنتخب الوطني لكمال الأجسام.

أشار ضابط (شرطة العُلا) بيديه في الهواء، قائلًا:

- يا لها من كارثة... الآن الصحف وقنوات الأخبار سيقومون بالتحدث عما وجدناه بكل تأكيد... لا يمكن إخفاء أمر يتعلق بشخصية رياضية مثله.

انشد حاجبا دوجانا، وهي تقول:

- وهذا هو مبتغاه.

نظر إليها الضابط، بنظرة متسائلة، فقامت دوجانا بحزم تقول مضيفة على حديثها:

- نحن نحاول إخفاء الأمر على وسائل الإعلام... لكن هذا لا يتناسب مع

قواعد لعبته.

وما أن قامت دوجانا بقول ذلك حتى غمغم الضابط بكل استغراب:

- لعبة؟! ماذا تقصدين؟!

قامت دوجانا بإغلاق عينيها بضع لحظات، ثم عادت تفتحهما، قائلة:

- الأمر معقد بعض الشيء ولكن المحقق ألدرن سيقوم بشرحه لك.

قالت ذلك وهي تقوم برفع سبابتها نحو الصندوق الفولاذي، ثم أكملت حديثها قائلة:

- قم بتسليمها إلى الطب الشرعي، وحاول عدم الحديث عن أي أمر يخص هذا الشأن.

- بكل تأكيد... سنقوم بذلك حالًا.

همت دوجانا بقول شيء ما، ولكن ارتفع رنين هاتفها المحمول، الذي كسا شاشته اسم (وكيل وزارة الداخلية)، فقامت بالرد مجيبة:

- أنا في مسرح الجريمة يا سيادة اللواء.

- إنها كارثة يا دوجانا... كارثة.

بهذه الكلمات ارتفع صوت (وكيل الوزارة) من خلال هاتفها بينما عاد حاجباها ينعقدان في اضطراب، وهي تقول:

- ماذا هنالك يا سيادة وكيل الوزارة؟!

- صورة الأنياب المقلوعة والرأس المقطوع للاعب المنتخب الوطني لكمال الأجسام انتشرت كهشيم المحتظر، قام شخص مجهول الهوية بإرسالها إلى كل قنوات ووسائل الأخبار والصحف حيث الوطن بأكمله في حالة رعب وفزع الآن، والكل يريدون توضيحات منا بخصوص هذا الموضوع.

- تمامًا مثل ما قالت الدكتورة عبير، إنه يقوم بنقل اللعبة إلى مستوًى جديد.

وما أن قالت ذلك حتى ارتفع صوتٌ من هاتفها، يهتف قائلًا في حدة:

- لعبة؟!... عبير؟!... إنها مصيبة يا دوجانا، مصيبة بكل المقاييس، أريدكِ في مكتبي الآن.

- حسنًا يا سيادة اللواء، سوف أقطع تذكرة سفر، لأقرب رحلة طيران الآن.

ومع آخر حرف قامت بنطقه أنهت دوجانا محادثتها مع وكيل الوزارة وهي تشعر بغضب... الدكتورة عبير كانت محقة، ذلك البيدوفيلي يقوم بتغيير قواعد اللعبة وقتما يريد، وحسبما تسير الأحداث، إنه يقود اللعبة كلها... وهو من يقوم برسم الطريق لكل من يقوم باللحاق به وبهذه الطريقة لا يمنحهم أية أسبقية ولأنه يقوم بقيادة اللعبة، فسيكون دائمًا في المقدمة.

كل تلك الكلمات والتساؤلات اكتملت في ذهن مساعِدة المحقق ألدرن وهي تربط الأحداث بتحليل الدكتورة عبير... أرادت أن تمكث لفترة أطول في شرودها داخل أفكارها.

ولكن ارتفع رنين هاتفها المحمول مرة أخرى ليقوم بانتزاعها من أفكارها، وهي في الطائرة تتجه نحو(مطار الملك عبد العزيز الدولي) من أجل

الهبوط والرجوع إلى مدينة (جدة) في أسرع وقت ممكن فقامت تلتقط هاتفها في سرعة، قائلة بكل حشرجة:

- ماذا هنالك يا حضرة المحقق؟!

وما أن قامت بنطق تلك الأحرف حتى تبدلت ملامح وجهها وارتسمت بشيء من الرعب والذهول بسبب ما تقوم بسماعه من قبل المحقق ألدرن حيث تلك الكلمات أدت إلى تغيير مسار رحلتها إذ بدأ الأمر يزداد فظاعة وغرابة أكثر من ذي قبل...

***

بالرغم من ادعائها المستمر الجبروت والتمالك، إلا أن الأستاذة حسناء بدت تجهش بالبكاء في زاوية الركن داخل الغرفة الطبية تبكي في شجن، وجسدها كله يرتعش بلا توقف، وبنظرة مشفقة، تطلعت إليها دوجانا قبل أن تلتفت نحو المحقق ألدرن، قائلة:

- ماذا كنت تفعل هنا يا حضرة المحقق.. برفقة الأستاذة حسناء؟!

نظر إليها المحقق ألدرن وهو يجيب على سؤالها بكل ارتباك:

- أردنا أن نقوم بتفقد العيادة الطبية ولـ..

لم يستطع المحقق ألدرن إتمام جوابه، مع تلك النظرات المنزعجة، التي تحدق بها دوجانا تجاهه فقام ببلع ريقه وهو يكمل حديثه في صرامة مشيراً

نحو جدران الغرفة الطبية، قائلًا:

- وتفاجأنا بهذا.

وقفت دوجانا، وعيناها تحملان بريقًا متوهجًا، تنظر بهما إلى الأستاذة حسناء بنظرات حادة كالسكين، تخترق الصمت المعتم بينهما ثم، بحركة مفاجئة، انتقلت ببصرها نحو المحقق ألدرن، تلك العيون الجامدة تحمل رسالة لوم لا تُقال، ولكنها تُفهم.

وبينما كانت الأنفاس تتبادل بتوتر، انزلقت نظراتها الثاقبة عبر الغرفة، تتوقف عند السرير الطبي القديم، الذي تغطيه طبقات من الغبار والنسيان.

وجلد التمساح الذي يكسوه يبدو وكأنه يخفي أحداثًا خفية، حيث تقبع فوقه وسادة تحمل كلمات مكتوبة بخط يد مرتعش، كأنها نقشت بعجلة من أمر ما، أو ربما بخوف. بدت وكأن الكلمات تنبئ بأمر ما، رسالة مشفرة تنتظر من يفك طلاسمها.

كانت الغرفة تصدح بصمت مطبق، وكأن الجدران أنفسها تحبس أنفاسها، تنتظر اللحظة التي ستنكشف فيها المبهمات المدفونة تحت سطح الهدوء الخادع هذا.

وفي الخارج، كانت الرياح تعزف لحنًا موحشًا، تتراقص معه أوراق الشجر الجافة، وكأنها تشارك الغرفة قصتها الغامضة، فاقتربت دوجانا أكثر وهي تحاول قراءة المكتوب فوق تلك الوسادة فقامت بتحريك شفتيها وهي تقرأ

قائلة:

- «من دون أنياب... لا تنسج الأعصاب لوحة من الألم... فما خفاياها إذًا؟!»

كانت العبارة محاطة ببقع دماء غامقة، وكأن كل كلمة تحمل في طياتها ألمًا لا يوصف.

الدم المتجمد على حواف الوسادة كان يشكل أشكالًا متداخلة، تشبه الأشجار العارية في ليلة شتوية قارسة.

كانت هناك رسالة مخفاة في الكلمات المرعبة، رسالة تحمل في طياتها سِّرا مظلمًا، ينتظر من يجرؤ على تفكيك ألغازه. وطويلًا، راحت دوجانا تحدق تجاه هذه الكلمات، قبل أن تقول:

- هل يعلم أحد بوجودكما هنا؟... وكيل الوزارة مثلًا؟!

قام المحقق ألدرن بهز رأسه مجيبًا:

- لا أحد يعلم بذلك لقد برزت فكرة تفقد العيادة في وقتها.

التقطت دوجانا نفسًا عميقًا وهي تقول بتعجرف:

- ولكن أتوقع أن الأستاذة حسناء، قد قامت بإخبار أحدٍ ما.

بينما كانت دوجانا تقول تلك الكلمات كان حكيم القرية يقف ملتصقًا في إحدى زوايا الغرفة الطبية في رعب وذهول حتى سمع كلمات دوجانا

الأخيرَة، فقام يعتدل قائلًا: - المحامي جاسم. . .!! قام بإبلاغي بأن الأستاذة حسناء في طريقها للقرية مع أحد رجال الأمن، ولكنه لم يحدد لي الساعة بالضبط.

انعقد حاجبا المحقق ألدرن وهو يستمع لحكيم القرية فراح يسأله بفضول:

- من هذا المحامي جاسم؟!

نظرت الأستاذة حسناء نحو المحقق ألدرن وهي تجيب على سؤاله بصوت مختنق:

- إنه المحامي الذي أقوم بإبرام العقود في مكتبه.

تفاجأ المحقق ألدرن في ذهول وهو يستمع إلى الأستاذة، فقام يسألها:

- هل طلبتِ منه أن يبلغ حكيم القرية عن قدومنا؟!

قامت الأستاذة حسناء بهز رأسها نفيًا، فالتفت المحقق ألدرن نحو مساعِدته دوجانا، قائلًا:

- أريد رؤية المحامي جاسم هذا حالًا.

أومأت مساعِدته دوجانا برأسها إيجاباً، وهمت بالتحرك قبل أن يقوم المحقق ألدرن بمسك ذراعها في شيء من القوة فقال لها وهو يهمس بصوت خافت:

- لا تقومي بخلط العمل بالأمور الشخصية يا دوجانا.

امتقعت ملامحها وهي تومئ برأسها إيجابًا في حياء فقالت له وكأنها تتذكر أوامر وكيل الوزارة:

- كدت أنسى... وكيل الوزارة يريدنا أنا وأنت في مكتبه وكذلك لقد عثرنـ...

لم تسطع مساعِدته دوجانا إكمال حديثها وإبلاغ المحقق ألدرن بما عثروا عليه في مدينة (العُلا) تحديدًا في (جبل الفيل)، وذلك لأن الأستاذة حسناء التفت نحوهما وهي تقول مقاطعة حديث دوجانا، بتساؤل ملحوظ وكأنها قامت بسماع همسات المحقق ألدرن:

- ماذا تعني بذلك؟!

لم يجب عليها أحد، وكأنها لم تقم بإلقاء تلك الكلمات حتى، فقام المحقق ألدرن يقول في حزم وهو ينظر نحو مساعِدته دوجانا:

- حسنًا... سنتجه إليه حالًا

ثم أردف في تعجب واستغراب:

- كيف قام ذاك الشخص بالدخول إلى هنا؛ وكتابة هذه الكلمات؟!

أجابه حكيم القرية مرتبكًا:

- نوافذ العيادة الطبية مكسورة يا حضرة المحقق وكذلك فإن القرية لا يسودها الأمن كثيراً، ومن أجل ذلك أقوم أنا بقدر المستطاع بحماية هذه

القَرية.

تساءلت مساعِدته دوجانا بدورها، وهي تتجه نحو باب العيادة الطبية لإحضار المحامي جاسم، قائلة:

- وبدم من قام بكتابة هذه الكلمات؟!

انكمش حاجبا المحقق ألدرن أكثر، وهو يستمع إلى تساؤلات مساعِدته دوجانا فَهَم بقول شيء ما ولكن ارتفع رنين هاتفه فقام بالتقاطه في سرعة، قائلًا:

- نعم يا سيادة وكيل الوزارة... إننا في طريقنا إليك أنا ودوجانا، ولكنـ...

لم يستطع المحقق ألدرن إكمال حديثه وذلك لأن صرخة رئيسه الغاضبة قاطعته، قائلًا:

- لا أريد تبريرات يا ألدرن!!

ثم أردف:

- لقد طلبتُ من دوجانا أن تبلغك بما عثرنا عليه في مدينة (العُلا) وأتوقع أنها لم تبلغك بعد ولكن دعني أبلغك أنا... أو بالأصح دعني أقم بعملها، لقد عثرنا على أنياب ورأس لاعب كمال الأجسام طارق بالقرب من (جبل الفيل) وطلبت منها أيضًا أن تبلغك بالمجيء في مكتبي فورًا.

بدت ملامح الحيرة تغزو ملامح ألدرن عندما قام بسماع ذلك من وكيل الوزارة وأن دوجانا لم تبلغه بشيء سوى بوجوب الحضور في مكتب وكيل الوزارة ولكنه تظاهر بأنه قد قام بسماع ذلك من مساعِدته فقال بكل صرامة:

- لقد قامت بإخباري بكل شيء ولكن لو علمت سبب عدم مجيئنا إليك حتى الآن، لما غزاك الغضب يا سيادة اللواء.

قال ذلك وهو يقوم بشرح ما حدث معه بسرعة بالغة، فقام وكيل الوزارة بدوره يستمع إليه في انتباه صارم، ثم لاذ بالوجوم لِلحظات قبل أن يقول بكل حيرة:

- ما هذه القضية التي نقوم بمواجهتها يا ألدرن؟!

- إنها لعبة يا سيادة وكيل الوزارة!!

وفور انتهاء المحقق ألدرن من نطق آخر حرف من كلماته تلك، قام وكيل الوزارة يغمغم في غضب:

- ما هذا المصطلح الذي تقوم أنت ودوجانا بوصفه في كل مرة يا ألدرن؟!

قام المحقق ألدرن يتنهد وهو يستمع إلى وكيل الوزارة فقال بكل حسرة:

- مع الأسف يا سيادة اللواء... إنها لعبة قذرة بالرغم من بشاعتها وفظاعتها، لعبة يلعبها معنا سفاح بيدوفيلي مجنون، يخال نفسه أنه يتفوق

علينا بذكائه ويسعى لإثبات ذلك ليس لنا فحسب بل للمجتمع بأسره.

وما أن أتم المحقق ألدرن ترديد تلك الكلمات، حتى خيم السكون المهيب بينهما، مخلفًا وشاحًا من الهدوء يلفهما لبرهة، إلى أن خرق ذلك الصمت صوت وكيل الوزارة المنبعث من الهاتف، متسائلًا بنبرة تملؤها الريبة والفضول:

- وماذا عن الدماء... التي قام باستخدامها في كتابة رسالته تلك؟!

- سأقوم بإرسالها إلى قسم الأدلة الجنائية ولكن أعتقد أنـ ...

صمت المحقق ألدرن لوهلة ازدرد خلالها لعابه في صعوبة، قبل أن يضيف قائلًا:

- أعتقد أن هذه الدماء تعود للاعب كمال الأجسام.

قال ذلك وهو يغوص في تفكير عميق قبل أن يضيف بكل صرامة:

- إنه يتحدانا يا سيادة اللواء.

- بل يتحدى ذكاءنا يا ألدرن، انظر إلى تلك الرسالة التي تركها فوق الوسادة

«من دون أنياب، لا تنسج الأعصاب لوحة من الألم، فما خفاياها إذًا؟!»

- ربما يكمن فيها حل لغز هذه القضية يا سيادة اللواء.

قال ذلك وهو يقوم بإنهاء مكالمته مع وكيل وزارة الداخلية، متجهًا نحو

ذلك الصرح في (حي الحمراء) وعلى طريق (المدينة المنورة) في مدينة (جدة) حيث يقبع باب عريض من خشب الجوز الداكن، مزخرف بنقوش عربية تعكس تراث الوطن العريق على هذا الصرح المهيب والشامخ . . .

الفصل الثامن

8

أنا وأنتِ أميقوس

في ليلة ماطرة... الظلام يكتنف كل زاوية، كانت الطفلة ذات الشعر الأسود الطويل، التي لم تتجاوز الأعوام الثمانية، تغط في نوم عميق والدجى من سواد شعرها قد صُنع، وكل خصلةٍ فيها سُّر الليل يُستَخرَج حيث ينساب على وسادتها، ووجهها البريء يعكس صفاء روحها.

ولكن تلك السكينة لم تدم طويلًا، فقد مزق البرق الليل بضوئه الأبيض الساطع من دون سابق إنذار، ومعه جاء دوي الرعد المدوي، تتبعه صرخة (الطفلة) المفزوعة حيث قامت بفتح عينيها المتسعتين برعب، وهي تحاول استيعاب ما يحدث.

وبينما كانت تحاول النهوض، انفتح باب غرفتها بعنف، وأضاء البرق كل زاوية مرة أخرى، كاشفًا عن ظل غامض عند الباب... كان الجسد الواقف هناك يبدو كأنه قد خرج من قصة رعب مظلمة، ولم تستطع الطفلة في تلك اللحظة سوى أن تصرخ مرة أخرى، صرخة ملأت الفضاء، ترددت في أرجاء المنزل، وهي تبكي بشكل هستيري.

سرعان ما دخلت المربية الغرفة، وقامت بفتح الأنوار متسائلة بصوت مرتجف:

- ما الذي يحدث هنا؟!

ولكن الإجابة كانت مجرد صمت مخيف، سوى صوت الطفلة وهي تبكي، والبرق يتلألأ خارج النافذة، وكأنه يكشف كل مرة عن مزيد من الخفايا المظلمة التي تختبئ في زوايا الغرفة.

في تلك اللحظة قامت المربية تعيد سؤالها مرة أخرى، قائلة:

- ماذا يحدث يا عزيزتي؟!

حدقت الطفلة في وجه مربيتها، ثم بدأت تجهش بالبكاء في حرارة وهي ترتمي إلى أحضانها فراح جسدها الصغير ينتفض انتفاضة مرعبة، فقامت المربية تحتويها وهي تغمغم:

- هل تشعرين بالخوف يا صغيرتي؟!

نظرت الطفلة نحو مربيتها بعينين ملؤهما الحزن والشوق وهي تستمع إليها ودموعها تنساب بصمت على وجنتيها الشاحبتين، تترك أثرًا ملحًا على بشرتها الناعمة.

وفي لحظة صفاء، أومأت الطفلة برأسها إيجابًا، فهمست المربية بصوت يشوبه القلق:

- هل تريدين مني أن أقوم بالاتصال على والدتكِ يا صغيرتي؟!

أجابت الطفلة بإيماءة خفيفة من رأسها كأنما تخشى أن تتبدد آمالها مع حركة أكثر حدة فسارعت المربية إلى هاتفها، تنقل أصابعها بين الأسماء

بتوتر حتى وقعت عيناها على خانة الأسماء مكتوبًا فيها: (ماما دوجانا) وبضغطة من أناملها المرتجفة، انتظرت الرد، ولم تدم لحظات حتى جاء صوت من داخل الهاتف يقول:

- ماذا هنالك؟!

- «ماما دوجانا» إنها تريدكِ، لقد افتقدتكِ كثيراً.

من الطرف الآخر، جاء الصوت محملًا بالحنان والأسى:

- طفلتي صغيرتي، هل أنتِ بخير يا حبيبتي؟!

أومأت الطفلة برأسها مجددًا، وكأن الاشتياق يتناثر من عينيها كنجوم متساقطة في ليلة مظلمة.

نقلت المربية مشاعر الطفلة بصوت متحشرج:

- عيناها تقولان... بأنها بخير وإنها اشتاقت إليكِ كثيراً يا سيدتي.

- يا عزيزتي... وأنا كذلك أفتقدكِ كثيراً ولكن أنا في العمل الآن، سأعاود الاتصال بكِ لاحقًا يا حبيبتي.

وما أن قامت بنطق آخر حرف من كلماتها حتى ارتفع صوت إغلاق المكالمة من هاتف المربية، فنظرت الطفلة نحو مربيتها بعتب وكأن تلك الكلمات التي قامت والدتها بإلقائها للتو لم تكن كافية لتهدئة روحها المضطربة.

وفي محيط عينيها اللجينيتين، كان يتردد صدى الأسئلة الخرساء، تنطق بكل حرقة:

- «لطالما قلتِ بأنا أنا وأنتِ أميقوس[9]، ولكنكِ تركتِني في غياهب النسيان، وانغمستِ في أعمالك... ألم تدركي أن لكِ برعمًا يتلهف لعودتكِ كل يوم في هلع وقلق؟!»

وبنظراتها النافذة، تابعت:

- «على الرغم من صمتي الأبدي، إلا أن قلبي ينبض، ومشاعري تفيض، كأي فتاة في مثل سني، و كل ما أتمناه هو... حضن أمٍّ كحضن الأمهات».

ومع ختام همساتها الباهتة، تساقطت دموعها مجددًا، تصويرًا لألمٍ عجزت الكلمات عن وصفه.

حاولت المربية صرف ذهنها بألعاب الطفولة والمرح، لكن دون طائل، فقد كان قلبها يقطن في عالم آخر، عالم تظن فيها أن والدتها تنبذها وتخجل من صمتها الأزلي، لكن الواقع مغاير تمامًا، فهي لا تعلم أن والدتها تخوض غمار معركة عنيفة في سبيل الواجب الوطني، معركة تسعى فيها لفك ألغاز مبهمة بمعية المحقق ألدرن، ألغاز أشعلت الهياج والفوضى في أروقة البحث الجنائي وفي أوصال المجتمع، فتلك القضية المعقدة والملتهبة بتفاصيلها، تفوق في رعبها وغموضها وتشابكها أعتى روايات البيدوفيليا والانفصام...

***

- القضية اشتعلت مثل ضرم النار في الهشيم.

أورد وكيل الوزارة تلك العبارة وهو يحدق إلى المحقق ألدرن متشحًا بالانزعاج، ثم لوّح بخنصره، ملحقًا بصوت يملؤه الأسى:

- لقد تصاعدت شهرة الوسم المعنون بـ «#طارق_مقلوع_ الأنياب_و_مقطوع_الرأس_ على منصة X»، حيث انفجرت المشاهدات لتتخطى الأعداد الهائلة في غمضة عين إثر نشر تلك الصور والمقاطع المرئية التي تخص لاعب المنتخب عبر هذا الوسم... وبدورها أقدمت وزارة الرياضة على التغريد في المنصة تنعى من خلاله اللاعب، وأصدرت بيانًا تدين فيه بشاعة الحادثة، وكذلك طلب وزير الداخلية تقارير دورية بشأن الحادثة تُقدم كل ساعة ...

ثم أردف:

- وأيضًا أخبرني إذا لم تنجح في هذه المهمة فسنقوم بسحب الهوية الوطنية منك.

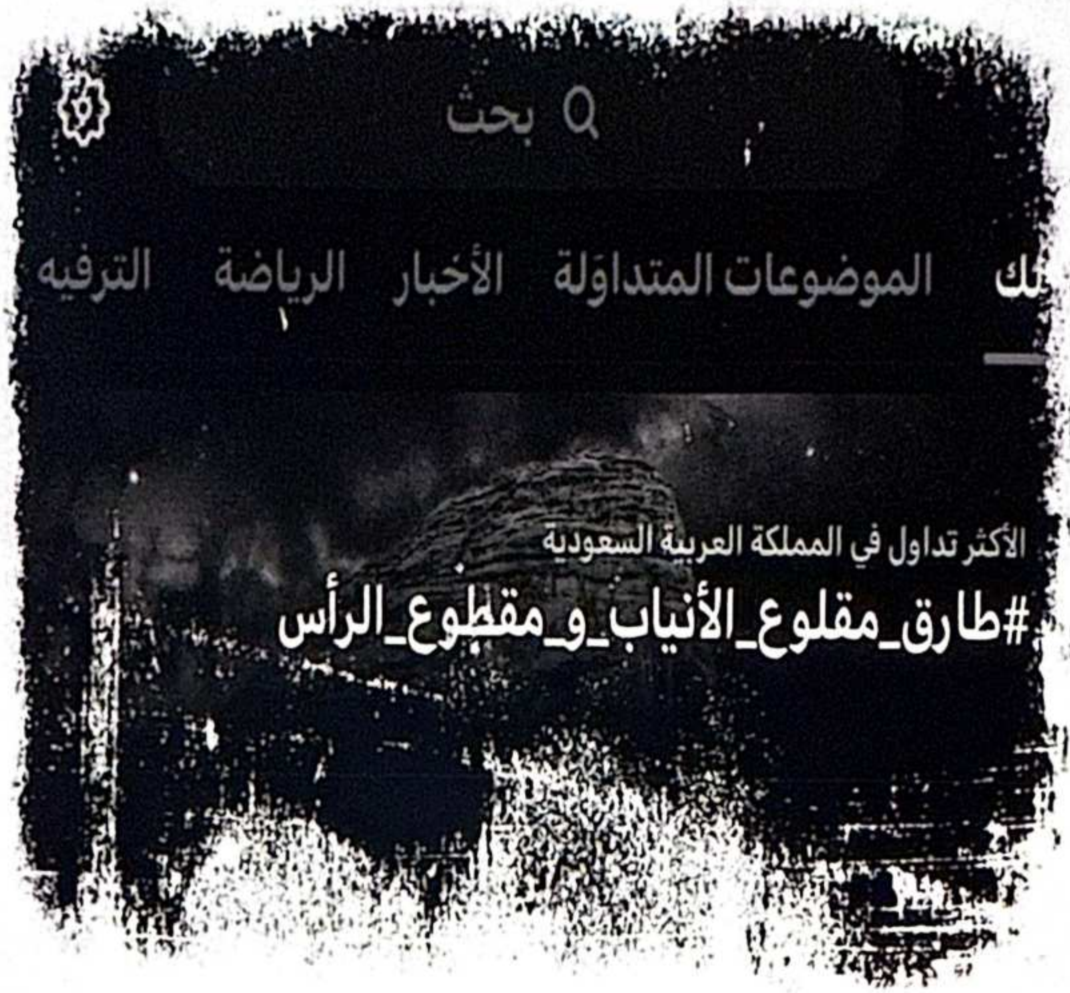

احتدم المحقق ألدرن غيظًا وهو يستمع إلى وكيل الوزارة فغمغم لا مباليًا:

- التلاعب بأعصاب الخصم...

التفت وكيل الوزارة نحوه، قائلًا في توتر:

- ماذا تقول؟!

- ذلك السفاح البيدوفيلي إنه يقوم بالتلاعب بأعصابنا ويستنزف صبرنا ويبعث بتوازننا الذهني حتى نصبح عاجزين عن الحفاظ على صفاء ذهننا والتفكير الراجح والتقدم بخطوة في رقعة الشطرنج.

- ...

- هكذا تنص أُسس وقواعد لعبته.

هتف وكيل الوزارة مستنكرًا:

- قواعد اللعبة؟!... ما الذي يجري معك يا ألدرن؟!

- إنني أحاول أن أقوم بفهم أُسسه وقواعده الجديدة يا سيادة وكيل الوزارة.

- يبدو جليًّا أن الإعياء قد نال من عزيمتك... متى كانت آخر مرة استسلمت فيها لأحضان النوم يا ألدرن؟!

لم يُجب المحقق ألدرن، على استفسار وكيل الوزارة الذي يتسم بالإلحاح والجدية. وبينما كان الصمت يخيم على الأرجاء، استمر ألدرن في محاورة نفسه بصوت خافت، يتمتم بكلمات مبهمة تحمل في طياتها مغيبات القضية الغامضة التي تشغل بال الجميع:

- لقد أقدم على ما تنبأت به الدكتورة عبير، فقد غيّر أُسس وقواعد اللعبة بمحض إرادته، وأزاح الستار عنها لتصبح في مرمى الأنظار؛ ليتلذذ ويفاخر بنصره المدوي، ولذا انتقى لنفسه شخصية بارزة.

تراجع وكيل الوزارة في مقعده، وهو يلقي نظرة حادة نحو المحقق، قائلًا بنبرة جازمة:

- توجه إلى فراشك، يا ألدرن... فمن البدَهي أن الراحة تنقصك.

لكن المحقق ألدرن استمر في محاورته، وكأنه لم يعر تحذيرات وكيل الوزارة أي اهتمام:

- إن ميدان التحقيق هذا واسع الأرجاء، بما يكفي لاستنزاف طاقة قسم الشرطة بأسره في مهمة حراسة وتأمين وحماية جميع الشخصيات الهامة في الوطن، من مشاهير الفن إلى الوجوه السياسية، ومن الإعلاميين وغيرهم... رجل واحد يستنفد جهود فريق البحث الجنائي برمته... هذا هو هدفه الآن.

صرخ وكيل الوزارة الذي لم يستسغ تجاهل المحقق لأوامره بهذا الشكل:

- انتبه لكلامي... يا ألدرن!!

التفت إليه المحقق ألدرن بحركة مفاجئة، قائلًا:

- أرسل تقريرك إلى معالي الوزير، يا سيادة اللواء، أخبره أننا قد حشدنا كل قوانا وأجهزتنا للتحقيق في قضية لاعب المنتخب الوطني لكمال الأجسام، وأن لدينا براهين جديدة، ستقودنا حتمًا إلى ذلك البيدوفيلي وأيضًا أخبره بأن هذه المهمة في متناول أيدينا.

اعتدل وكيل الوزارة في مقعده، وهو ينظر إلى المحقق ألدرن بقلق، وتمتم:

- هل ترغب فعلًا أن أبلغه بهذا الأمر؟!

- هذا ما يتوقعه، وما يأمل في إيصاله إلى الرأي العام، سواء كان ذلك

حقيقة أم لا . . . إنه يسعى فقط لتجنب الإحراج أمام الناس.

انحنى وكيل الوزارة إلى الأمام بحركة مفاجئة، وقال بصوت جازم:

- وماذا عن الحقيقة؟!

وقف المحقق شامخاً، وأجاب بثبات:

- سنواجه التحدي، وندخل في غمار المنافسة ونقوم بتحريك الرُّخِّ[10] نحو الأعمدة المفتوحة المتجهة نحو ملكه ونقول له: «كش ملك».

تجهَّم وجه وكيل الوزارة سائلًا:

- ماذا تقصد بذلك، يا ألدرن؟!

أشار المحقق بيده، مؤكدًا بثبات:

- للمرة الأولى... سنكون نحن من يضع القوانين، يا سيادة اللواء... سنتخذ الخطوة الأولى، ونجبر ذلك «الملك» البيدوفيلي على الخروج من ظلال بيادقه، في الزمان الذي نختاره نحن.

- وما الذي يليه بعد ذلك؟!

ضرب المحقق سطح مكتب وكيل الوزارة بقوة، وأجاب:

- سنطحنه ... بكل قسوة وألم ...

***

في أجواء الغموض التي تخيم على المكتب... وتحت وطأة الصمت الذي يكاد يُسمع، يجلس رجل ذو قامة متوسطة، وجهه يشبه حبة اللوز في استدارتها، ويزين شفته العليا شارب غزير يمتد ليلاقي لحيته، وتتخلل خصلات شعره الداكنة بعض خيوط الشيب، ويحجب بصره وراء نظارات طبية تعكس بريق الألمعية، يطرق بأنامله المتوترة على مسند المقعد الفاخر، في مكتب المحقق ألدرن بقسم البحث الجنائي.

وعيناه تتسللان خلسة، ترقبان الكتابة القانية على الوسادة، وكأنها تنزف طلاسم لا يُحتمل كشفها.

وفجأة، كالرعد في صفاء السماء، ينفجر صوته متسائلًا بعصبية متقدة:

- أمن الضروري أن يتم هذا هنا؟!

لم يكن مصدر قلقه مجرد دماء تلطخ الوسادة، ولا حتى زحف رجال المعمل الجنائي في الأرجاء، ينشرون أدواتهم بحثًا عن الأدلة الغائبة.

وحتى لم يكن الأمر مفاجئًا له... بل كانت تلك النظرات الجليدية، القاطعة كالسيف، التي يلقيها المحقق ألدرن نحوه في صمت مطبق.

نظرات تتفحصه، تنقب في أعماقه، تسعى لاستخراج أفكاره وكشف خفاياه، كأنها تغرز أنيابها في أعماق روحه.

ومع تتابع اللحظات، انهار صبره كجدار من الرمل تحت عاصفة عنيفة، واحتقن وجه المحامي جاسم بالغضب، وهو يصرخ:

- أهذه أدلة جريمة؟!

تبادلت دوجانا نظرة محملة بالأسئلة مع المحقق ألدرن قبل أن يقول المحقق بصوت يشبه زئير الأسد:

- لماذا أخبرت حكيم القرية، أنني في طريقي إلى العيادة الطبية برفقة الأستاذة حسناء؟!

تردد صدى السؤال في الفضاء، وارتبك المحامي جاسم وهو يجيب بصوت متهدج:

- إنه أمر طبيعي... أخبرته ليقوم بتهيئة المكان فحسب.

نظر المحقق ألدرن بعينيه الثاقبتين، يراقبه للحظات، ثم قام بسؤاله بكل صرامة:

- ومن أخبرت أيضًا؟!

ظهرت على وجه الأستاذ جاسم علامات التفكير، وبعد لحظات من الصمت، أجاب بحذر شديد:

- لم أخبر أحدًا.

ثم أضاف بسرعة، وبانفعال مختلف، كأنه يحاول التملص من شباك الاتهام:

- ولكنني كنت أتحدث بصوت مسموع... في غرفة المحامين

في شركتي.

كان المحقق ألدرن على وشك إلقاء سؤال آخر عليه، عندما ارتفع رنين هاتفه المحمول، فأجابه بسرعة، مغمغمًا بحدة:

- صرت أكره عصر الهواتف المحمولة.

ظهر عليه الانتباه وهو يستمع إلى المتصل، ثم تمتم بعصبية كاد يخفيها:

- إذًا.. ذلك المتصل السوري لم يجرِ اتصاله من مدينة (العُلا) كما ادعى.

توقف للحظات، يستمع إلى المتصل، وكل الأعين معلقة به، حتى قال بعصبية لم يحاول إخفاءها هذه المرة:

- هل يمكنك إعفائي من التفاصيل الفنية وإخباري مباشرة من أين تم الاتصال؟!

قطب حاجبيه بشدة وهو يسمع الجواب، ثم أنهى المكالمة مغمغمًا بسخط:

- يا للسخافة!.

قامت مساعِدته دوجانا تسأله بفضول:

- من أين تمت المكالمة؟!

رفع المحقق ألدرن عينيه إليها وظل صامتًا للحظات، وكأنه يفكر فيما إذا

كان سيجيب أم لا، ثم قال بصوت مختنق:

- من العيادة الطبية.

تبادل الجميع نظرات الدهشة، وتساءلت مساعِدته دوجانا بصوت خافت:

- من القرية؟!

أشار المحقق بيده إشارة غامضة، وابتلع ريقه بصعوبة، وأجاب:

- بل من العيادة نفسها.

تألقت أعين الجميع بدهشة، وصاحت الأستاذة حسناء بتوتر:

- من العيادة؟!!

ثم التفتت نحو دوجانا تسألها بكل حيرة:

- أية مكالمة هذه؟!

همست دوجانا بكلمات غير مسموعة، ثم رفعت عينيها إلى المحقق ألدرن بقلق واضح، فنهض المحقق قائلًا بغضب شديد:

- هذا جزء من اللعبة...

بدا للحظة وكأنه سيكتفي بهذا القول، لكنه استطرد بغضب:

- كان يعلم أننا سنقوم باتباع اتصاله عندما نسمع اسم «سِنان»، وأن ذلك سيقودنا حتمًا إلى داخل العيادة الطبية وحينها سنعثر على تلك الكلمات

المكتوبة بالدم..

مع نطق آخر كلماته، دخل أحد رجال المعمل الجنائي المكتب، وهو يشير بيده، قائلًا:

- النتيجة إيجابية.

تمتمت دوجانا بحنق:

- تمامًا كما توقعت.

نظرت إليها الأستاذة حسناء في حيرة متأججة، وتململ المحامي جاسم في جلسته، يكاد يختنق من الأمور المتكتمة عليه.

فالتفت إليهما المحقق ألدرن، مغمغمًا بصوتٍ يشبه همس الأرواح المضطربة:

- هذا يعني أن الدم الذي خُطَّت به الكلمات الغامضة على الوسادة، ليس إلا دماء لاعب المنتخب الوطني لكمال الأجسام.

انسابت قشعريرة باردة كالثلج عبر أوصال الأستاذة حسناء فارتعدت كورقةٍ في مهب الريح، بينما أدار الأستاذ جاسم وجهه بعيدًا، محاولًا إخفاء الدهشة المرتسمة على محياه.

وتساقطت دموع حكيم القرية في صمتٍ مطبق، كأنها شهادة على مأساةٍ لم تُروَ بعد، فيما شدّ المحقق ألدرن قامته، وهو يقول بصرامةٍ تخفي وراءها

رجفة القلق:

- إنه مزيجٌ من التحدي والسخرية، وكأنه يستهزئ بنا جميعًا...

غمغمت مساعِدته دوجانا بصوتٍ أجش:

- وكأنه يتلاعب بأعصاب الخصوم، ويستفزهم...

- أتدركين ما الذي يحتاجه هذا اللغز؟!

ألقت مساعِدته دوجانا نظرة محملة بالتساؤلات المحفوفة بالحذر تجاه المحقق، فتابع حديثه:

- الدكتورة عبير.

وهنا... اشتدّت قسمات وجه مساعِدته دوجانا وراحت تغوص في أعماق ذاكرتها، تستحضر كل التفاصيل، كل التفاصيل من دون استثناء..

***

في ظلمة مكتبها الغارق بالصمت... تجلس الدكتورة عبير، وقد أحاطت بها جدران المصحة العقلية كأنها تحتضن مستورات العقول المعذبة في المصحة، إذ لم تنبس ببنت شفة، بل ظلت غارقة في تأملاتها العميقة، تستشف من صمتها أصداء الحقائق التي أفصح عنها المحقق ألدرن ومساعِدته دوجانا بتردد.

وبعد أن امتلأت بكل ما رويا، رفعت عينيها الثاقبتين نحوهما، وأطلقت

351 /202 صفحة - 2575565132

كلماتها ببطء شديد، كأنها تنقشها على جدران الزمن:

- لقد عانى ذلك البيدوفيلي من جراح نفسية عميقة... جراح نخرت في طفولته على يد والده... كالتحرش، مثلًا.

تمتم المحقق ألدرن بصوت خافت، يكاد يكون همسًا:

- أتحاولين إيجاد مبررات لأفعاله الشنيعة؟!

ردت بصوت محمل بالثقة والهدوء:

- لستُ في مهمة للدفاع عنه، بل لأفهم ما يدور في أعماقه...

واستطردت، وقد امتلأت عيناها ببريق الاهتمام:

- إنه يعيش على إشباع نزواته بسطوة مرضية، يتلذذ بلفت الأنظار وجذب الاهتمام... كطفل مهمل يتوق لحنان والديه، فيلجأ للعنف الأعمى ليستدر أنظارهما.

توترت ملامح المحقق ألدرن، وبدا الغضب يتصاعد في نبرته:

- لقد تجاوز كل الحدود، حتى أصبح ما نسميه الآن بِـ «سفاح البيدوفيليا».

أشاحت الدكتورة عبير بيدها، وكأنها ترسم مصيره بكلماتها:

- أنتم من دفعتموه إلى هذا الطريق المظلم.

تقلصت ملامح المحقق ألدرن بتوتر شديد، وتردد صدى العصبية في صوت مساعِدته دوجانا قائلة:

- أتتهميننا نحن بذلك؟!

أجابت بنبرة محايدة، تخفي وراءها بحرًا من الفهم العميق:

- لا ألقي باللوم على أحد... أنا فقط أحلل الأمور كما هي.

ظهرت علامات العدوانية على دوجانا، وهي تقول:

- لكنكِ تلمحين إلى أننا نحن من أججنا نيران جرائمه.

أومأت الدكتورة عبير برأسها مؤكدة:

- هذا صحيح.

- وكيف ذلك، يا عبقرية؟!

شعرت دوجانا بالغيظ عندما جاءها الجواب من المحقق ألدرن، الذي كان يقف خلفها قائلًا:

- عندما تجاهلنا نشر أخبار جرائمه.

صاحت الدكتورة عبير بحماس:

- بالضبط.

استدارت دوجانا بغضب نحو المحقق ألدرن، قبل أن تعود إلى مقعدها،

وهي تقول بنبرة حادة:

- كان الإعلان عن جرائمه كفيلًا بإثارة الهلع في المجتمع.

أشارت الدكتورة عبير بإصبعها، وكأنها تشير إلى حقيقة لا يمكن إنكارها:

- وهذا ما كان يسعى إليه منذ البداية...

ثم تراجعت في مقعدها بحذر، وأضافت:

- وأنتم من حرمتموه من ذلك.

تجهم وجه المحقق ألدرن، ولم يعلق، مما شجع الدكتورة عبير على مواصلة تحليلها:

- ما دامت اللعبة بالنسبة إليه مصدر متعة، فكيف لها أن تكتمل بدون جمهور؟! إنه يبحث عن متابعين ومشجعين... وحتى المعارضين والمذعورين... المهم أن يكون هناك من يشهد على انتصاراته ويشهد على تفريغ غرائزه تلك.

قال المحقق ألدرن بصرامة:

- لقد أخبرتكِ أنه لن ينتصر.

قال ذلك وقد رُسمت ابتسامة خفية على شفتي الدكتورة عبير أثارت غضبه، وهي تقول بهدوء تستفزه:

- يبدو أن فكرة الهزيمة تزعجك... أليس كذلك، يا ألدرن؟!

لوح المحقق ألدرن بيده بصرامة لا تخفي غضبه:

- نحن هنا لنناقش أمره، وليس أمري.

اتسعت ابتسامة الدكتورة عبير، وهي تغمغم:

- بالتأكيد.

ثم اعتدلت بحركة مفاجئة، كادت تدفع بمساعِدة المحقق إلى الإمساك بمسدسها، مضيفة بحزم:

- المشكلة أنه قد نقل اللعبة، رغمًا عنكم، إلى رقعة شطرنج أوسع وأكثر إثارة... إلى رقعة الإعلام.

سألتها دوجانا بفضول:

- وهل تعتقدين أن هذا سيكفيه؟!

توقفت الدكتورة عبير للحظة، ثم مالت إلى الأمام، تسألها:

- ماذا يحدث لطالب متفوق ينجح في اختبارات «المركز الوطني للقياس في القدرات[11]» بنسبة 100% فيذاع اسمه في كافة وسائل التواصل الاجتماعي والقنوات الإخبارية؟!

ظلّ وجه المحقق ألدرن شاحبًا كأنه قناع من الرخام، وهو يجيب بصوتٍ

خافت يكاد لا يُسمع:

- سيبذل قصارى جهده؛ للنجاح في اختبار «التحصيلي[12]» ويُذاع اسمه مرة أخرى لأنه حصل على المركز الأول على مستوى الوطن من حيث التفوق العلمي. أومأت الدكتورة عبير مؤكدة بثقة:

- بالضبط... أحسنت القول.

وانتقل الشحوب إلى محيا دوجانا وهي تقول بصوتٍ متردد:

- إذًا أنتِ تعتقدين أن...

قبل أن تكمل جملتها قاطعتها الدكتورة عبير بصرامة:

- أرى أن كل ما خُضتموه حتى اللحظة لم يكن سوى المقدمة... وابتداءً من اليوم، ستُفتح صفحة الفصل الجديد للجولة الحاسمة.

واختلطت في صوتها نبرة غامضة، وهي تضيف:

- الفصل الذي يُنذر بالأهوال... كل الأهوال، حيث تحوّل ذلك البيدوفيلي من افتراس الأبرياء الصغار إلى فرائس أكثر نضجًا وجسارة وقد يغير من ميوله حسب غرائزه ومتعته.

حينها تعاظم شحوب وجهي المحقق ألدرن ومساعِدته دوجانا، وكأن الظلام نفسه قد تغلغل في أرواحهما...

***

لمدة ساعة كاملة متصلة، ظلَّ ذو الظل الشاحب، يحدق في تلك الآلات الموغلة في البشاعة، والمعدَّة لأفظع الجرائم التي يمكن أن ترتكب مثل... جرائم قتل الطفلات البريئات، عبر نزع أنيابهن وقطع رؤوسهن عن أجسادهن... دون أدنى ذرة من الشفقة أو الرأفة والرحمة.

كانت بعض تلك الآلات الدموية تحمل بقايا دماء ضحاياه الأطفال... ولا سيما ذلك الساطور الغادر ذو النصل المنحني، الذي تلوثت شفرته الحادة كالموسى بدماء لم تجف بعد، مُعلنةً عن جريمة لم تُمح من الذاكرة.

كان يستلذ برؤية تلك الدماء القانية، وكأن روحه قد خُلعت منها كل معاني الإنسانية...

وبخطوات موزونة، كأنها تنبعث من زمن القرون الوسطى، نهض من عرشه الخشبي، متجهًا نحو براد صغير، الذي بدا كغريب وسط هذا العالم المظلم، إذ فتح بابه ليتأمل المحاقن الطبية الصغيرة التي ترقد هناك...

كانت تلك المحاقن تحدق به في صمت، وهو ينظر إليها بوجه خالٍ من أي تعبير، قبل أن يمد يده ليختار محقنًا صغيراً يحتوي على سائل أصفر كلون الرمال، ألقى نظرة فاحصة عليه، ثم أخفاه في جيبه...

وأمام مرآة، ذات إطار خشبي مهترئ وكأنه يحكي قصصًا مرعبة... يقبع في أعلى المرآة رمز أشبه بأفعى تلتهم ذيلها... وقف يتفحص عضلاته الجديدة التي بدت تنفجر من معطفه الشبيه بمعاطف الأطباء والمتسخ

والمهترئ جدًا...

ثم ابتسم... ابتسامة تحمل في طياتها النصر... الثقة... القسوة...

الوحشية والنشوة... عاد إلى البراد الصغير مرة أخرى، وأمسك بأحد المحاقن، وامتص السائل الكهرماني داخل محقن فارغ، ثم كشف عن ذراعه، وحقن السائل في وريده الذي يزينه رمز الأفعى التي تلتهم ذيلها، وهو يغمض عينيه في نشوة غريبة...

وعندما فتحهما مجددًا، كانتا تشعان ببريق مرعب...

ومرة أخرى، ألقى نظرة على انعكاسه في المرآة، ثم انطلقت من بين شفتيه ضحكة مجلجلة، اهتزت لها الجدران، مخلفةً وراءها أصداء تصنع مشهدًا مرعبًا... بشكل لا يُحتمل...

وبملامح تحمل كل معاني الشر والمتعة، غادر ذلك «الملك» البيدوفيلي ظلال بيادقه، بحثًا عن ضحية جديدة...

ضحية ستقود اللعبة إلى مستوًى جديد...

مستوًى أكثر رعبًا... وأشد فظاعة...

الفصل التاسع

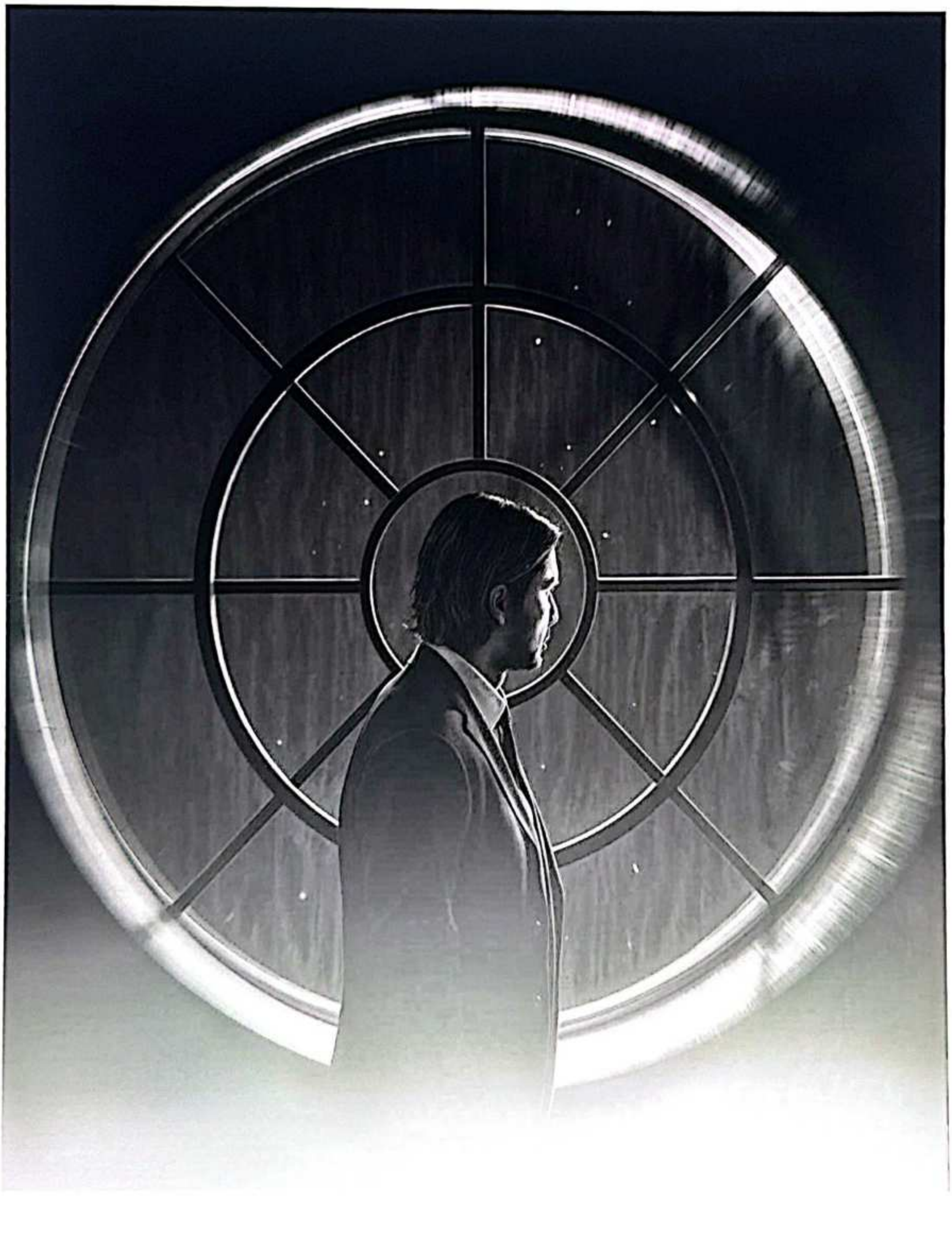

9

انفصام

انتابته رعشة متجمدة كقطع الجليد تخترق أوصاله... وبينما يحاول أن يفيق تدريجيًا، يجاهد ليقف على قدميه ليستوضح ما جرى بالضبط، ولكنه يلمح بثقل في رأسه كأنها زبرة من الحديد، وبغتة دون مقدمات، توسعت حدقتاه، وهو يحدق إلى تلك الفأس الضخمة التي تنزلق نحو عنقه...

- لا تستعجل...

همس بها ذلك ذو الظل الشاحب الذي يدير له ظهره، والذي ألقى نظرة ملؤها البغضاء، ثم توجه إلى الركن المعتم من القبو القذر والمتهالك حيث كانت ترقد امرأة ذات عيون فستقية فوق تلك المنضدة الخشبية المتسخة وهي تكاد تكون مجردة من ثيابها وشعرها يشع بلون اللهب، وعلى خدها الأيسر شامة تزيدها سحرًا وجمالًا، وما زادها فتنة إلا تانك الثمرتان النضرتان البارزتان أسفل عنقها..

حيث اقترب منها ذو الظل الشاحب، يتلمس جسدها بينما هي غائبة عن الوعي، فالتفت المحقق ألدرن يمينًا ويسارًا وهو يسعى للفكاك من قيده، فأبصر ذلك الظل الشاحب يدنو من زوجته المقيدة والمجردة من ثيابها، وفي يده عصًا خشبية تنتهي بشفرتين حادتين.

احمرت عينا المحقق ألدرن بالغضب الذي كاد يتفجر منهما، فهتف ذو الظل الشاحب بسخرية مريرة:

- انظر يا ألدرن... يخلق من الشبه أربعين، أليس كذلك؟!

- أيها القذر... دعها وشأنها وتعال اقتص مني ما شئت... دعها!!

وبمجرد أن انتهى المحقق ألدرن من نطق كلماته تلك حتى هوى ذلك الرجل ذو الظل الشاحب بيده وغرس تلك الفأس ذات الشفرتين في عنق زوجته من دون سابق إنذار فتطايرت الدماء في كل اتجاه، وتدحرج رأس زوجته على الأرض والذهول يملأ عينيه وهو يصرخ بأعلى صوته قائلًا:

- لا...!!

اهتز كيانه بشدة عندما اخترقت الصيحة أذنيه، فاندفع من كرسيه في لمحة برق، قائلًا بنبرة مضطربة:

- كلا..!!

تقهقرت مساعِدته دوجانا بخطوة متهورة، وهي ترمقه بعينين واسعتين ملؤهما الهلع، فلمحها المحقق ألدرن يراقبها بالمثل، فهمست مساعِدته دوجانا بقلق:

- ما الأمر يا حضرة المحقق؟!

استمر المحقق في التحديق بها دون كلمة، ثم أطلق زفيراً عميقًا ومسح

جبينه، هامسًا:

- إنها مجرد كوابيس... يظهر أنني قد غرقت في غفوةٍ بغتة.

جاهدت مساعِدته دوجانا لتظهر ابتسامة، وهي تقول:

- لقد كنت في سبات منذ مدة لا تزيد على نصف الساعة يا حضرة المحقق، أعتقد أن كوابيسك تلك نتيجة للوهن الذي يخلفه لك الانفصام.

تقبضت ملامح المحقق ألدرن في تجهم، بينما استرسلت مساعِدته دوجانا، قائلة:

- سيادة وكيل الوزارة كان هنا، وأبصرك غارقًا في نومك، وهو من أمر بألا يتم إزعاجك، قائلًا: إنك في أمس الحاجة إلى هذا.

تضاعف تجهم المحقق، وهو يهمس بقلق:

- ما الوقت الآن؟!

- لقد مضت الثالثة والنصف بعد منتصف الليل.

مسح المحقق ألدرن بأصابعه خلال شعره، وأطلق زفيراً محمومًا، وهو يقف قائلًا:

- لماذا أهملتموني في سباتي، حتى هذا الوقت؟!

- نحن مخلوقات بشرية يا حضرة المحقق، وكل المخلوقات تحتاج إلى قسط من الاستراحة، وأنت لم تعرف طعم الرقاد، منذ يومين مضيا.

أجابها المحقق ألدرن بحدة، وهو ينتزع حزام مسدسه، ويتقلده بخطوة جزلة:

- حتى هو... لم يعرف لذة النوم... وما دام بوسعه أن يقدم على ذلك، وأن يستمر في هجماته دون انقطاع، فإني كذلك لديّ القدرة.

قالت مساعِدته دوجانا وهي تلوح بسبابتها وكأنها اكتشفت حل ذلك اللغز:

- حضرة المحقق... لقد ألمحتَ لي، إلى فرضية، لم تخطر على بالنا...

وإذ بالمحقق ألدرن يرمقها بنظرات حائرة، فأردفت قائلة باندفاع:

- لماذا يكون قاتلًا متسلسلًا؟!

- وما الذي تظنّينه يكون؟!... لاعب شطرنج، يستمتع بتجميع الأنياب؟!

- أقصد، لماذا يكون قاتلًا متسلسِلًا وحيدًا؟!... لماذا لم نتوقع وجود...

انقبضت حواجب المحقق ألدرن بتعبير عنيف، وهو يتمتم:

- شريك؟!

نطق بها، واستقر ببطء على مقعد مجاور، بينما استمرت مساعِدته، تردف:

- ألا يبدو هذا أكثر ترجيحًا، من أن نظنه يستمر في تحركاته بكل همة،

دون أن يخلد للراحة طوال الليل والنهار، وأماكن الجرائم تقع في أرجاء متباعدة تفصل بينها المسالك والأميال؟!

أمعن المحقق ألدرن النظر إليها لبرهة في صمت، وهو يفكر بصوت منخفض:

- إنها بالفعل أكثر تماسكًا... لكن، ما مدى اتساع دائرة المنطق في هذه الفرضية؟!

ثم أردف:

- لم يسجل تاريخ القتلة المتسلسلين حادثة واحدة... عن قاتل متسلسل له شريك...

- وماذا عن حادثة مصرع لاعب المنتخب الوطني لكمال الأجسام، التي كانت الكاميرات شاهدة على النزاع الذي دار بينه وبين ذلك السفاح البيدوفيلي، ولكن لم تُرصد منه إلا ظلاله الشاحبة؟!

اختلطت الأفكار في ذهن المحقق ألدرن، بما جعله يتمتم:

- ولم لا؟!

ثم قفز من مكانه في حركة مفاجئة، وقال بحزم وهو ينتزع معطفه ويلبسه فوق حزام مسدسه:

- من هو أكثر الصحفيين ثرثرة وإثارة للجدل في الوطن؟!

لم تستطع مساعِدته دوجانا أن تجد رابطًا واضحًا بين ما قالته وسؤال المحقق ألدرن، ولكنها أجابت متمتمة:

- الصحفية (هاجر)... تثير الجدل بإطلالتها كثيراً وجرأتها في نشر الموضوعات الحساسة والشائكة في الصحف الإخبارية.

أومأ المحقق ألدرن نحو الهاتف، وأمر:

- اتصلي بها... وأخبريها بأن لديكِ خبراً تودين أن تمنحيها إياه.

- في هذا الوقت المتأخر؟!

- نعم... في هذا الوقت المتأخر.

أمسكت مساعِدته دوجانا بسماعة الهاتف، وهي تستفسر بتردد:

- وأي خبر هذا الذي سأبلغها إياه؟!

أخذ المحقق ألدرن نفسًا عميقًا وأجاب:

- سأعلمكِ بالأمر.

قال ذلك وكأن شيئًا ما أضاء في عينيه البُنيتين بقوة...

***

في أحد الأحياء المرموقة في مدينة (الرياض) حيث ألوان الشفق الهادئ تكسو الأرجاء.

تتوارى صبية في الربيع السادس عشر من عمرها، تداعبها أنفاس الليل الصقيعية وهي تتراقص بشعرها الداكن المنسدل كأستار الحرير المتموجة

بالأجواء، تخفي وتظهر تقاسيم وجهها بنغم متقلب وعيناها الفضفاضتان، لامعتان كتيجان الظلام، تخفيان في طياتهما جمالًا عصيًّا على البيان.

فتنتها لا تقتصر على الشكل الخارجي، بل هي أحجية تستدعي التفكير... معالمها الأنثوية بارزة وكأنها شابة يافعة تعبر الأزمان والأمكنة... كما لو أنها بطلة من حكاية أسطورية لم تُسطر بعد.

حيث ارتعشت الصبية بجوار والدها، رجل الأعمال الشهير في الوطن، وهي تتشبث به مذعورة، صائحة:

- يا للرعب!!... أزهقوا روح لاعب كمال الأجسام وفصلوا رأسه!!... وقاموا بقلع أنيابه!! ما الذي يدفعهم لهذا؟!

ومع أن والدها يشاطرها القلق والاضطراب، إلا أنه يسعى لإخفاء انفعالاته، وعانقها، متمتمًا بصوت خافت متعمد:

- لا بد أن وراء هذا انتقامًا ما.

انكمشت الصبية في أحضان والدها أكثر، وهي تهمس بصوت خفي:

- أي انتقام هذا الذي يمكن أن يبرر كل هذه الفظاعة؟!

- لا تعلمين ما يختلج في صدور المغضوب عليهم.

كانت الصبية على وشك البوح بكلمات أخرى، حينما انبعث صدى جرس باب قصرهم فجأة... الكائن في قلب مدينة (الرياض)، فانفلتت منها

صيحة، وهي تتمسك بوالدها مرتعبة، فربت على كتفها قائلًا:

- ما الذي أفزعكِ يا حلوتي؟!... إنه مجرد جرس الباب.

- في هذه الساعة المتأخرة؟!

- إنها الثالثة والنصف فقط... والجميع يعون أننا لا نستسلم للنوم حتى يبزغ الفجر.

ثم كتم ضحكة مصطنعة محاولًا تهدئتها، مضيفًا:

- ولا تنسي أن لدينا خدمًا والمنزل محروس بحراس الأمن.

لم تجادل والدها، ولكنها تقلصت في أحضانه أكثر، حتى أتت الخادمة قائلة:

- هناك ضابط شرطة يرغب في مقابلتك يا (بابا يزيد).

ظهرت على محيا رجل الأعمال دهشة متوترة وهو يتمتم:

- ضابط شرطة يريد مقابلتي؟!... وفي هذا الوقت المتأخر؟!

تمتمت الصبية بقلق:

- ربما يتعلق الأمر بالحفلة التي أقمتها في الحديقة ليلة البارحة... قالت الجارة إن الشرطة ستحضر بسبب الضوضاء التي أحدثناها أنا وصديقاتي.

- ربما!!

ثم أشار إلى ابنته، محاولًا أن يبتسم، مضيفًا:

- لا تقلقي يا عزيزتي... سأعود بعد دقائق معدودة...

***

تجهم حاجباه وهو ينظر إلى الضابط، الذي يبدو مريبًا بعض الشيء، والواقف بهدوء بجانب أحد حراس الأمن، فسأله بحذر:

- ما الأمر يا حضرة الضابط؟!

ابتسم الضابط بابتسامة مطمئنة ورزينة، قائلًا:

- الأستاذ (يزيد) أشهر رجل أعمال في الوطن... ما أسعدني بلقائك، لقد كنت من الحاضرين في الافتتاح الأخير لمعرض عطورك الفاخرة.

جميع الحقوق محفوظة لقناة رَقش

- كان حضورك تشريفًا لي يا حضرة الضابط، ولكن... ما الذي يجلبك في هذه الساعة المتأخرة من الليل؟!

أظهر الضابط جدية بالغة مجيبًا:

- الحقيقة يا أستاذ يزيد إن حياتك في خطر.

- حياتي أنا؟!

أكد الضابط برأسه، قائلًا:

- ليس أنت فحسب بل ابنتك أيضًا... وبالتأكيد أنت على دراية بما حدث

لبطل كمال الأجسام.

تمتم الأستاذ يزيد رجل الأعمال والخوف يتصاعد فيه:

- إنها مسألة انتقام... أليس كذلك؟!

- لا... في الواقع يا أستاذ ...

أشار الضابط إلى الحارس قائلًا:

- هل يمكننا الحديث جانبًا؟!

تردد الأستاذ يزيد في دعوته للداخل، خشية إثارة المزيد من الخوف في قلب ابنته، فأشار بيده، مجيبًا:

- وهل يمكن أن نتحدث في حديقة المنزل؟!

أرخى الضابط عاتقيه، متمتمًا:

- لا ضير... إن لم تكن ستتجمد هنالك.

أسند الأستاذ يزيد خطاه نحو مقعد الرواق، واستفسر مضطربًا:

- ما الذي يهدد بسلب الأمان من حياتي وحياة فلذة كبدي بالتحديد؟!

- الحقيقة أن فريق البحث الجنائي يصارع عقلًا إجراميًا ماكرًا، متخصصًا في الاعتداء على الأطفال، انطلق اليوم يتعقب المشاهير ورجال الأعمال ذوي النفوذ الأفذاذ أمثالك، يحاول أن يتربص بكم.

تسعرت حدقتا رجل الأعمال بالفزع، وتساءل:

- ولماذا يستهدف المشاهير ورجال الأعمال؟!

- لكي يشعلوا فتيل الإعلام.

- هل... هل يكون مرمى نباله أنا وصغيرتي؟!

ألقى الضابط نظرة تحقير، قائلًا:

- بلا شك... يبدأ بالفرائس اللينة والسهلة كابنتك مثلًا.

- لينة؟!..

ثم أردف غاضبًا:

- الوصول إلّي ليس بالأمر الهين... القصر محصن بأنظمة الحماية، كما أنك لا بد وأن تكون قد لمحت، أن المنزل محروس بحراس أشداء، و...

قاطعه الضابط بتهكم:

- وهل تظن أن هذا سيعيقه؟!

- بكل تأكيد.

هنا، قام الضابط ببطء وتشدق صوته، معلنًا:

- إذًا أنت مغتر بنفسك ومخدوع.

تذكر الأستاذ يزيد هذه الكلمات في أحد مقاطعه المرئية عندما كان يواجه

2575565132

عطارًا حاول تشويه سمعته والإساءة إليه، فرفع بصره بحركة جزلة إلى الضابط، وربط بين نبرته القاطعة وتلك الابتسامة الساخرة القاسية على شفتيه، فانتفض من مقعده، صارخًا بغضب:

- أنت لست بضابط شرطة!!

انهال الضابط المزيف بقبضته على وجهه كالصاعقة، وهو يقول:

- بالطبع لستُ كذلك.

فوجئ الحارس الذي يقف على مقربة بما حدث، فأمسك بمسدسه على عجل، لكن الضابط المزيف دار برشاقة مذهلة، سحب خلالها سكينًا أشبه بخنجر صغير من جعبته، ورماه بكل قوته نحو الحارس، فغرز السكين في عنق الأخير، وأطاح به أرضًا بعنف...

وبهدوء، انحنى الضابط المزيف ذو الظل الشاحب على جسد الأستاذ يزيد الذي يحمله، وفجأة، انطلقت صرخة الصبية، محملة بكل الهلع...

وبسرعة، رفع ذو الظل الشاحب رأسه نحو الرواق الصغير، الذي أطلت منه الصبية والرعب يعتصر كل ملامحها، ثم ابتسم بسخرية وحشية، وجذب إليه جسد الأستاذ يزيد الذي فقد الوعي. وانطلقت رصاصة في الأرجاء، ثم رصاصة ثانية، وأصابت الرصاصة الأولى كتف النحيل...

أما الثانية، فاخترقت صدره مباشرة بالقرب من قلبه...

ومن بعيد، رأى الحراس الآخرين يهرعون نحوه، وكل منهم يستعد لإطلاق رصاصة ثالثة، رابعة، خامسة، سادسة...

ومرة أخرى، رفع ذو الظل الشاحب عينيه نحو تلك الصبية التي اكتنفها الرعب، من قمة رأسها، وحتى أخمص قدميها.

وفي هذه المرة، لم تكن ملامحه ساخرة أو وحشية... بل كانت تعكس الإثارة والمتعة...

كل الإثارة... وكل النشوة مع خليط من الغضب...

ثم انطلقت رصاصات حراس الأمن مرة أخرى، وفي هذه المرة، ارتطمت رصاصة بذراع النحيل، ومرت الثانية بجوار كتفه الأيسر تمامًا.

وبكل رعبها، صرخت الصبية:

- أنقذوا أبي... أبي أنقذوه!

استعد الحارسان لإطلاق رصاصتين أخريين، وهما يقتربان. ولكن الرجل ذا الظل الشاحب تخلى عن فريسته حيث استدار، ثم قفز ولمعت أعين الجميع بكل الذهول والخوف.

فقفزته تلك لم تكن قفزة عادية أبدًا...

فعلى الرغم من إصاباته، إلا أن قفزته حملته لمسافة عشرة أمتار على الأقل، حتى وصل إلى جوار سور القصر.

في تلك الأثناء الحاسمة... انقطعت أنفاس الجميع بدهشة مباغتة، إذ قفز قفزة أخرى عبَر بها الأسوار الشاهقة للقصر، التي يناهز ارتفاعها زهاء الأمتار الثلاثة...

ثم اندفع يركض مبتعدًا بخفة فائقة...

وبقلب يعتصره الفزع الأقصى، تقهقرت الصبية وهي تلفظ بصوت مرتعش، كعود زنبق في نسيم الليل:

- إنه ليس بشريًّا... إنه لَعَمْرِي شيطان... بلا ريب هو شيطان.

ومن ثم انخرطت... على نحو كامل... في نحيب موجع ومفزع...

***

في الليل الدامس... كانت تقف هناك، امرأة ذات عيون سوداء عميقة كليل بلا قمر، تلمع كنجوم متناثرة في سماء صافية حيث شعرها الأسود القصير يتناغم مع النسيم اللطيف، كأوراق الخريف التي تتراقص بخفة.

شفتاها، منتفختان وناعمتان كبتلات الورد الطازجة بعد ندى الصباح، ترسم ابتسامة غامضة تخفي جمالًا لا يمكن للعقل البشري استيعابه... معالمها المحددة بدقة، تظهر من خلال قميص نومها الأحمر الشفاف والقصير جدًّا بينما ثمرتاها بدتا بارزتين من تلك الفتحة الواسعة... تقشعر أبدان من ينظرهما لوهلة... كأنها لوحة فنية تنبض بالحياة والإثارة حيث تحتفي بالجمال الذي لا يمكن للكلمات وصفه.

وتتراقص أضواء المدينة الخافتة على نوافذ الشقق المتراصة. وقفت مساعِدة المحقق ألدرن على عتبة الباب، تلفحها نسمات الليل الباردة.

بينما وقفت (هاجر).. الصحفية المثيرة للجدل، خلف باب منزلها، تتأمل الزائرة بنظرات تمزج بين الحذر والفضول.

كانت الأسئلة تتراكم في ذهنها، تتدافع كأمواج البحر في ليلة عاصفة، لكنها اختارت أن تبدأ بالأكثر إلحاحًا، قائلة:

- ما الذي يجلبكِ إلى هنا... في هذه الساعة المتأخرة؟!

كان صوت دوجانا مترددًا، محملًا بوقع الأسرار الثقيلة، وهي تجيب:

- ألم أخبركِ عبر الهاتف أنني أحمل معلومة قد تقلب الموازين؟!...

معلومة قد تكون مفتاحًا للغز المحير.

تأملتها هاجر بتدقيق، تحاول استقراء ما يخفيه وجهها الهادئ وبعد لحظة صمت، سألت بصوت يكاد يكون همسًا:

- ولكن لماذا أنا؟!... لم نكن قط صديقتين، بل كنتِ دائمًا تتهربين مني ببرود.

تنهدت دوجانا، وكأنها تستعيد شريطًا من الذكريات، ثم أجابت بثقة:

- لأنني أقدر عطاءكِ وإخلاصكِ لعملكِ يا هاجر.

تبادلتا النظرات للحظات، وكل منهما تحاول قراءة ما وراء عيني الأخرى، وبعد صمت مشحون بالتوتر، ابتسمت دوجانا بصعوبة، محاولة تخفيف الجو، فقالت:

- ألا تسمحين لي بالدخول؟!

ترددت هاجر، وكأنها تزن الأمر، ثم فسحت الطريق أمامها، قائلة بنبرة رسمية:

- تفضلي.

دخلت دوجانا إلى المنزل، وهي تبدو وكأنها تحمل أخبارًا تسبقها إلى الداخل، وبمجرد أن جلست، بدأت تتحدث بسرعة، قائلة:

- لا بد وأنكِ سمعتِ بقضية بطل كمال الأجسام، أليس كذلك؟!

أومأت هاجر برأسها بحذر، فواصلت دوجانا، وهي تشير بيدها:

- لدينا معلومات حاسمة، ستضع حدًّا لجنون القاتل المتسلسل خلال أقل من أربع وعشرين ساعة.

تراجعت هاجر، مصدومة، وهي تستمع إلى دوجانا التي تابعت بصوت متحشرج:

- معلومة خطيرة ومهمة...

صمتت هاجر، ثم اقتربت من دوجانا، وسألتها بنبرة تحمل شيئًا

من الشفقة:

- ألم تسمعي الأخبار الأخيرة، يا دوجانا؟!

بدت دوجانا مرتبكة، فسألت بحيرة:

- أي أخبار؟!

- ذلك القاتل حاول اغتيال الأستاذ يزيد منذ قليل، لكن حراسه تصدوا له... أطلقوا عليه النار.

- أطلقوا عليه النار؟!

أومأت هاجر برأسها مؤكدة، وأضافت:

- أصابوه برصاصتين، واحدة في صدره والأخرى في كتفه.

ثم اقتربت من دوجانا أكثر، حتى كادت تلمسها، وهي تقول:

- وقبل ربع ساعة فقط... عُثر على جثته.

تراجعت دوجانا، وكأن الصدمة قد أصابتها بالشلل، وهي تستمع إلى تلك الكلمات. إذ كانت المعلومة صادمة، إلى درجة لا يمكن تصورها ولا تخيلها أبدًا...

الفصل العاشر

10

قناع يخفي ضعف الروح

في بزوغ الفجر... ترتسم أنامل الضياء الأولى على جبين الأفق، يلفّ حي (الصحافة) بالرياض لثام من الأسرار والهدوء العميق.

تتهادى الظلال بخطوات راقصة متخفية على وجوه الأبنية الشامخة، وتنساب الأضواء اللامعة من خلال ثنايا نوافذ برج رافال، الباسق كصنوان الدهر.

تبرز القصور الوطنية العريقة في كل زاوية، ويتشابك نسيج العصرنة مع خيوط الأصالة وترتقي الأبراج الشمّاء لتقبّل السماء، مبشرةً بفجر عهد يتراصف مع الأسوار الأثيرة التي تروي حكايات الأزمان الغابرة.

برج هيتال وبرج النخلة، اللذان ينتظران بشغف اليوم الذي ينضمان فيه إلى أوركسترا الحي، المعمارية.

تتردد أصداء الأذان الهادئة من مآذن الحي، مثل جامع الصفيان وجامع السليم، معلنةً إشراقة الفجر، ومبعثرةً أجواء من الروحانية التي تخترق هدوء السكون.

الأزقة الرئيسة والفرعية تتلحف بالصمت، في انتظار الحياة التي ستنبض بها مع ارتقاء الشمس.

وفي هذا الهدوء، بدا المحقق ألدرن يمسح على عينيه، متخبطًا في القلق والإعياء قبل أن يعود ليحدق في تلك الجثة الهامدة بأحد أزقة الحي، المثقلة برصاصتين، إحداهما في الصدر والأخرى في الكتف، ويستدير حوله، مسائلًا أحد عناصر الشرطة بلهجة متوترة:

- ألم تأتوا بِـرجل الأعمال هذا، ليتعرف على الجثة؟!

- إنه في مساره إلينا يا حضرة المحقق.

وتردد الشرطي لبرهة، قبل أن يضيف بحذر:

- ولكن جميع الدلائل تشير إلى أنها جثة ذلك السفاح البيدوفيلي بالفعل... رصاصتان، إحداهما في الصدر والأخرى في الكتف، بالضبط كما وصف الحراس... ومكان الجثة ليس ببعيد عن قصر الأستاذ يزيد.

تجاهل المحقق ألدرن كل ذلك، وهو يقول بتوتر:

- وإذا كانت المسافة قريبة، فلماذا التأخير حتى الآن؟!

تردد ذلك الشرطي لحظة أخرى، ثم همس بصوت خافت متوتر:

- لأنه من رجال الأعمال.

- هل يمنحه ذلك الحق في الترفع على الشرطة؟!

همهم الشرطي، وتوتره يزداد:

- ليس ترفعًا يا حضرة المحقق.

- هل تبرر له أفعاله أيها الضابط؟!

تنهد الشرطي بتوتر، متخلصًا من حدته الزائدة، التي انتقلت إلى مساعدته دوجانا وهو يصيح بها:

- أين كنتِ؟!... ما سبب هذا التأخير؟!

- كنت حيث أمرتني يا حضرة المحقق.

ثم تقدمت ببضع خطوات لتلقي نظرة على الجثة، متسائلة:

- أهذا هو؟!

- إنه لا يشبهه حتى.

- وكيف علمت؟!

أدركت من تلك الكلمات التي تردد فيها المحقق ألدرن ومن توتره الشديد، أنه لا يملك أي تبرير لقوله هذا، قبل أن يقول:

- الجميع قالوا.. إنه شاحب الجسد، وجهه يشبه حبة اللوز في استدارتها.

- ما أراه أمامي هو جثة شخص نحيل، أما الوجه البيضوي فـ...

قاطعها المحقق ألدرن حدة:

- لم يصل الأستاذ يزيد بعد؟!... ليتعرف على الجثة؟!

تنحنحت مساعِدته دوجانا قبل أن تقول:

- رجال الأعمال لا يحضرون بهذه السرعة.

تلك الكلمات كانت فرصة المحقق ألدرن لينفجر صائحًا، بكل ما يعتمل في نفسه من مشاعر:

- لماذا يكرر الجميع هذا، وكأن رجال الأعمال من نسل يختلف عن سائر البشر؟! حينها انسحبت مساعِدته دوجانا متهربة من حدة غضبه المفرطة، وهي تلفظ بكلماتها قائلة:

- إنهم ليسوا بنوعٍ آخر يا حضرة المحقق، إنما يدركون أن في مثل هذه المواقف تكون الأعين مسلطة عليهم، بين مراسلين وعدسات الكاميرات، ولا تغفل عن أن نسبهم ينتمي لأثرى الأسر في الوطن... وهم يجتهدون كل الجهد للحفاظ على صورة محترمة.

أدار المحقق ألدرن ظهره، وهو ينطق بتبرم شديد:

- ما هذا الهراء؟!

وبمجرد أن ختم عبارته، برز رجل الأعمال الأستاذ يزيد في تلك الأثناء، مصحوبًا بابنته التي تحول جمالها إلى ملامح مشوبة بالفزع والصدمة، والتي التصقت بساعد والدها في خوف بالغ مما دفع المحقق ألدرن للتخفيف من حدة غضبه وهو يعتذر، قائلًا:

- عذرًا لاستدعائكما إلى هنا في هذا الوقت المتأخر يا سيدي... لكن الأمر يتطلب حضوركما، للتعرف على المعتدي في قصركم.

همست ابنة الأستاذ يزيد بصوت مرتعش:

- إنه شيطان رجيم.

ضغط المحقق ألدرن على شفتيه، وهو يردف:

- كل المجرمين شياطين، ولكن...

قاطعته بانفعال:

جميع الحقوق محفوظة لقناة رَقش

- إنه شيطان، بالفعل.

ثم تمسكت بساعد والدها، وهي تتابع بارتجاف:

- لا يمكن أن يكون بشريًّا.

كظم المحقق ألدرن غيظه بصعوبة، وهو يقول:

- نعم يا صغيرتي.. نعم... ولذا جئنا بكما، لتشهدا جسد ذلك الشيطان الذي...

قاطعته مجددًا وهي تنهار:

- الشياطين لا تموت.

شعر المحقق ألدرن بالغيظ يتملكه متجاوزًا أدبه هذه المرة، وكاد أن

يصرخ في وجهها، لكن والدها سبقه، وهو يربت على رأسها بعطف، قائلًا:

- اعذر ابنتي يا حضرة المحقق، فما تجرعته الليلة يتجاوز طاقة الإنسان، وبخاصة الأطفال.

التفتت إليه ابنته متوسلة:

- إنه ليس من البشر يا أبي.

ثم أعادت نظرها إلى المحقق ألدرن مضيفة:

- إنه ليس من البشر يا حضرة المحقق... صدقوني.

تحرك المحقق ألدرن جانبًا، ليكشف عن الجثة خلفه، وهو يقول بغضب لم يعد قادرًا على كبته:

- بغض النظر عن جوهره، هل هذا هو؟!

رمق رجل الأعمال وابنته الجثة لبرهة، قبل أن تصيح ابنته بتوتر:

- ليس هو بالتأكيد...

وبدت كأنها تنهار، وهي تتابع:

- قلت لكم إن الشياطين لا تموت.

ربت عليها والدها مرة أخرى، وقال محاولًا السيطرة على نفسه:

- ليس هو، إنها... جثة العم أحمد، حارس القصر المجاور لنا.

ألقى المحقق ألدرن نظرة بينهما، قبل أن يقول بحزم:

- ولكن لم يسمع أحد دوي أي طلقات، سوى تلك التي أطلقها حراسكم نحوه.

رد الأستاذ يزيد بحزم مماثل:

- إيجاد تفسير لهذا هو من مسؤوليتكم أنتم.

تمتمت دوجانا:

- أنت محق.

ألقى المحقق ألدرن نظرة حادة نحو الأستاذ يزيد وهو يقول بمزيج من الشدة والحزم:

- إذًا أنتما متيقنان من أن هذا ليس هو؟!

صاحت ابنة الأستاذ يزيد:

- لماذا لا تصدقون أنه... شيطان؟!

ثم اعتراها الرعب من الذكرى، وهي تتابع مرتجفة:

- الشياطين وحدها تقدر على الطيران.

تمتمت دوجانا بدهشة:

- الطيران؟!

ألقى المحقق ألدرن نظرة بين مساعِدته دوجانا ورجل الأعمال وابنته، قبل أن يقول بحزم:

- صغيرتي... لقد أثرتِ فضولي بالفعل، حتى أنني أصبحت أرغب في سماع كل ما حدث معكم... بأدق التفاصيل.

وبحالة شبه انهيار، بدأت ابنة رجل الأعمال تسرد...

في حين تلبَّدت ملامح المحقق ألدرن حتى بدت وكأنها تتلاصق تمامًا...

***

في ظلمة تلك العيادة الطبية المشبعة بالخفايا والأوهام، تمدد ذاك الظل الشاحب على السرير الطبي المتهالك والملطخ بآثار الرعب.

كان يتنفس بشكل متقطع، وكأن نبض الحياة يتسرب منه شيئًا فشيئًا... وبأنامل هزيلة ونحيلة، راح يمسك بمحقن صغير من تلك التي صنعها من أنياب ضحاياه السابقين، واستخلص بعض السائل الغامض في محقن فارغ، ثم زرع السائل العجيب في مجرى دمه.

ومن ثم، انغمس في سكون عميق على السرير... ولو كان هناك من يراقبه في تلك الأثناء، لتسمّرت عيناه من الدهشة، والرعب كذلك...

فتلك الجراح التي تمزقت في صدره وبالقرب من قلبه، وتلك التي شقت كتفه، بدأت تختفي ببطء، وبسرعة تجعل المشهد يبدو كلقطة سينمائية

10 ... صفحة 238/ 351
2575565132

معدلة بأحدث الأجهزة التقنية.

وبينما كانت عيناه مغلقتين، بدأت جراحه تزول في سرعة فائقة، وعندما اكتملت هذه العملية الغريبة، بدا جسده كأنه لم يمسسه أذًى قط.

إذ لم تترك جراحه أي أثر.. لا ندبة ولا حتى تغيرات لونية أو علامات فيزيائية.

وعلى الرغم من أن هذا يتعارض مع كل القوانين الطبيعية المعهودة، إلا أنه كان واضحًا أن ذلك ذا الظل الشاحب كان يترقب ذلك، بل وينتظره بفارغ الصبر.

وفي اللحظة التي اندمجت فيها آخر خلية من خلاياه، فتح ذاك ذو الظل الشاحب عينيه، وتألق منهما وميض أصفر خارق، وهو يقفز بنشاط فائق، ويمد عضلاته القوية بنشوة.

وبنبرة من المتعة، توجه نحو مرآته الخشبية التي يتوسطها رمز أفعى تلتهم ذيلها، وأخذ يتفحص جسده قبل أن ترتسم على محياه ابتسامة متوحشة ماكرة، واستنشق بعمق من هواء العيادة المشبع بالرطوبة، ثم أطلق صرخة انتصار.

كانت صرخة شيطانية، قادرة على تجميد الدم في عروق الأشداء، صرخة تشبه في طبقاتها عواء الذئاب أكثر من كونها صوت بشري.

وبثقة مطلقة، توجه نحو ذلك البراد الصغير، وألقى نظرة على ما تبقى

من محاقنه السحرية، قبل أن يعقد جبينه في تفكير.

فما بقي لديه لم يعد كافيًا...

لذا، كان لا بد من الخروج لصيد ضحية جديدة... وأنياب جديدة...

***

- هل يمكن للعقل أن يستوعب هذا؟!

بلهجة متوترة، وجّه المحقق ألدرن استفساره بكلماته تلك نحو مساعِدته دوجانا، التي أطلقت تنهيدة خفية وأجابت بصوت متردد:

- لقد توافقت شهادات الصبية وحراس الأمن على ذلك.

- على ماذا؟!... على أن بشراً مثخنًا بجراح الرصاص... برصاصتين إحداهما في صدره وأخرى تخترق كتفه، قادرٌ على القفز مسافة عشرة أمتار، ثم يتخطى جدارًا شاهقًا يزيد ارتفاعه على ثلاثة أمتار بقفزة واحدة؟!

استجمعت مساعِدته دوجانا أنفاسها بعمق، وبدا عليها التوتر وهي تقول:

- قد يصعب عليك الإيمان أو التصديق به، ولكن عندما تجمع أقوال الشهود على نقطة واحدة، يصبح علينا أن نجد لها معنًى.

أشاح المحقق ألدرن بذراعه بإشارة واسعة، وهو يصرخ بما يشبه العويل:

- لن أهدر وقتي بمتابعة هذه الخزعبلات.

أخذت مساعِدته دوجانا شهيقًا آخر، ثم باحت بالحديث بحزم لم تتوقعه حتى هي:

- يا حضرة المحقق... من الضروري أن تنال قسطًا كافيًا من الراحة.

استدار إليها المحقق ألدرن بنظرة ممتلئة بالغضب والاستنكار، لكنها واصلت بالحزم نفسه، وكأنها أدركت أنه لا مفر من المواجهة:

- أرجو المعذرة يا حضرة المحقق... لكنني أراك تتهاوى أمامي، تفقد سيطرتك وتماسكك وقدرتك على التقييم السليم للأمور، مع كل دقيقة تمر، ولو كنت قد أبقيتُ هذا الرأي لنفسي ولم أعلنه لك، لَكنت أخون الثقة والصداقة التي تربط بيننا.

تأملها المحقق ألدرن بنظرات ثاقبة، ولمحة من الغضب تلوح في عينيه، كأنه على وشك الانفجار بثورة عارمة، لكنه.. في تحول مفاجئ، انهار جسده على المقعد الأقرب إليه، وأخفى ملامحه بين راحتيه، متمتمًا بصوت يقطر أسًى، قائلًا:

- النوم غادر مضجعي.

اقتربت مساعِدته دوجانا، تربت على وجنتيه المنهكتين برقة تفوق نسمة الفجر، وكأن برودة الجليد قد استقرت على ملامحه، تسأله بصوت خافت كهمس الليل:

- ما الذي يقضُّ مضجعك يا عزيزي؟!

أجابها المحقق ألدرن دون أن يرفع رأسه من بين يديها، وكأنه يستشعر العطف من لمساتها:

- الفصام يا دوجانا، كلما أغمضت عيني، اعترتني كوابيس مزعجة، كوابيس تعيدني إلى ذلك اليوم المشؤوم قبل عقد ونصف العقد في ذلك القبو الموحش.

مسحت دوجانا على وجنتيه بحنان، مردفة بصوت مبحوح:

- عليك إذًا بحبة من المهدئات.

- لقد جربت حبتين ولم تجدِيا نفعًا، فالكوابيس المزعجة أصبحت رفيقة دربي، ولا بد لي من التأقلم معها.

- إذًا لنجرب حبات أشد فعالية.

أزاح المحقق ألدرن يدها بلطف، وقام من مقعده، متجهًا نحو الأريكة حيث استلقى مستسلمًا، وهو يقول:

- ربما هذا هو مبتغى ذلك السفاح البيدوفيلي... إنهاك الخصم حتى تخور قواه ويضل عن صوابه.

- لا تعطه هذه الفرصة إذًا.

أغمض المحقق ألدرن عينيه، متمتمًا بصوت يكاد يكون غير مسموع:

- بالتأكيد... لا يجدر بي أن أمنحه هذه الفرصة أبدًا.

أحست مساعِدته دوجانا بأن المحقق ألدرن قد استنفد كل ما لديه من قلق وتوتر مع تلك العبارات القليلة التي تبادلاها، فسرعان ما استرخى جسده، وتناغمت أنفاسه، وانغمس في نوم عميق...

وبخطوات هادئة، تسللت مساعِدته دوجانا خارج المكتب، وأومأت للحارس بإشارة خفية:

- مهما حدث... لا توقظ المحقق.

أدى الحارس تحية عسكرية قوية، قائلًا:

- تحت أمركِ.

ردت عليه دوجانا بصوت خفيض:

- قلت لك لا توقظه.

خفض الحارس صوته، مكررًا بنبرة أشبه بالوشوشة:

- حسنًا.

وفي اللحظة التي ابتعدت فيها دوجانا، متنقلة في ممرات قسم البحث الجنائي، كان هناك شخص ذو ظلال شاحبة يتحرك بخفة قدم القط، على حافة المبنى من الخارج، ثم توقف عند نافذة مكتب المحقق ألدرن... وبمهارة فائقة، كسر زجاج النافذة من الخارج، محدثًا صوتًا خافتًا جدًّا، ثم قفز بالخفة نفسها إلى داخل الغرفة، وهو يحمل كيسًا قماشيًّا صغيراً.

ومع بزوغ أولى خيوط الشمس على الأفق، ألقى نظرة على المحقق ألدرن الغارق في النوم، ثم ابتسم ابتسامة ساخرة، وبرقت عيناه بلمعان يشبه عيني ذئب.

لم يقضِ الرجل ذو الظل الشاحب سوى دقيقتين فحسب في مكتب المحقق ألدرن قبل أن يغادر كما جاء، تاركًا وراءه أنيابًا حديثة القلع، ورأسًا مقطوعًا لا تزال تقطر منه الدماء...

وضع الأنياب البارزة على سطح مكتبه بجانب إطار مهترئ يحوي صورة غامضة. تلك الصورة التي تظهر فيها امرأة بملامح لا تُنسى، عيناها الفستقيتان تشعان كالزمرد الأخضر، وخصلات شعرها الحمراء تتدلى كستائر حريرية، وشامة صغيرة تتراقص على خدها الأيسر كنقطة حبر في صفحة بيضاء..

***

صيحة مدوية، اخترقت صمت المكان من حنجرة الصبية، ابنة رجل الأعمال، وهي تقفز من مضجعها باهتة اللون، فأحاطها والدها بحنانه الأبوي، مسرعًا، وهو يهمس لها بصوتٍ ينبض بالطمأنينة:

- كل شيء بخير يا عزيزتي... كل شيء بخير، لا تقلقي.

أجهشت ابنته بالبكاء وهي تخفي ملامحها ودمعاتها في عناقه، قائلة:

- كوابيس مزعجة يا أبي... كوابيس تقشعر لها الأبدان.

- الكوابيس ليست إلا خيالات... ولكننا نصارعها معًا.

نطق بتلك الكلمات وهو يداعب شعرها، محاولًا كتمان قلقه، كي لا يزيد من رجفتها، وتركها تنهمر دموعها على صدره، قبل أن تواصل:

- ذلك المحقق... لقد شهدته يقتتل مع الشيطان.

- إنه ليستحق ذلك.

ذرفت المزيد من الدموع، قبل أن تقول:

- شهدته يلاحق ذلك الشيطان، ويجري خلفه في ممر معتم... ويطلق الرصاص نحوه.

ثم أبعدت وجهها عن صدر والدها ورفعت بصرها إلى عينيه، صارخة بفزع:

- لكن الشيطان لم يسقط يا أبي... لم يسقط.

لم يرد والدها على كلماتها تلك، فعادت تخبئ وجهها في حضنه، وتنتحب بمرارة، قبل أن تنفصل عنه فجأة، قائلة:

- هو الذي أزهقت روحه.

سألها، وهو يدرك الإجابة مسبقًا:

- من؟!

صرخت:

- ذلك المحقق.

ثم شحب وجهها بشدة، وهي تتابع:

- الشيطان... قلع أنيابه وقطع رأسه.

اجتاحت رعشة جسده، مع سماعه لهذه الكلمات، وشعر برهبتها تتسرب إليه فاعتنقها إلى صدره وهو يتمتم:

- إنها مجرد كوابيس يا حبيبتي... مجرد كوابيس.

لم يجرؤ والدها على إخبارها أنه رأى كابوسًا مشابهاً، ولكن... ما أن أفصحت عنه، حتى وجد نفسه يتساءل:

- هل هي حقًّا مجرد كوابيس؟!

كانت الكوابيس مجرد أوهام، لكن الخوف الذي شعر به كان حقيقيًّا، ملموسًا كالجدران التي تحيطه...

***

ألقت الدكتورة عبير نظرة فاحصة على معصمها، حيث دلت عقارب ساعتها الفاخرة على أن الوقت قد ناهز السادسة مع اقتراب الدقائق الخمس الأخيرة صباحًا، وأطلقت تنهيدة عميقة ممزوجة بالضيق وهي تقول بنبرة مستاءة:

- أرجو أن يكون الأمر يستحق الإزعاج، ذاك الذي أجبركِ على قطع سكوني في هذه الساعة المبكرة يا دوجانا، فقد كان نومي مضطربًا.

همهمت دوجانا بصوت خافت ملؤه الإحراج:

- بالفعل... هو كذلك.

وأسرعت تصحح قائلة بلهفة:

- على الأقل بالنسبة لي.

تساءلت عيناها بصمت، دون أن تنطق شفتاها، فأردفت بعجالة ومن دون مقدمات:

- ما العلاقة التي تربطكِ بالمحقق ألدرن؟!

استطاعت هذه العبارة أن تسترعي الانتباه الكامل للدكتورة عبير، التي أجابت بتردد:

- ماذا يمكن أن يكون؟!

- يحق لكِ أن تخدعيني أو تتظاهري بذلك... لكن الأعين لا تعرف الكذب أبدًا.

- ما المقصود؟!

- أخبريني أنتِ... فأنتِ من اختارها المحقق ألدرن من بين جميع الأطباء في تخصصكِ.

ثم اقتربت نحوها قائلة بإلحاح:

- أطلب منكِ إجابة واضحة على سؤالي... إنه مجرد استفسار بسيط لكنه يحمل لي أهمية بالغة.

تحدثت الدكتورة عبير بلوعة والدموع تترقرق في عينيها:

- الحب الصادق هو ذاك الذي تشعر به تجاه شخص دون أن تدرك سبب حبك له.

ثم أردفت:

- وفي النهاية أدركت أن نبضات قلبي كانت كأجراس الكنيسة وقلبه مسلم لا يلتفت.

- ... علمتني الحياة أن السكوت هو أبلغ عتاب لمن خذلوا آمالي فيهم.

- أتمنى أن أظل إلى جانبه... إلى ما لا نهاية.

- في زاوية ما من صفحات الوجود، تتشكل مكتبتي الروحية من المشاعر، ليست مجرد رفوف للكتب، بل رفوف للأحاسيس.

وأضافت:

- لقد سقط قلبي في هوى حبه... يا عبير.

صاحت الدكتورة عبير بغضب شديد:

- هل من أجل هذا قاطعتِ سكوني؟!... لأستمع إلى تطويحاتكِ العاطفية تجاه من أكن له كل المودة؟!

- إنها العواطف يا عبير... لا سيطرة لي عليها، فهي التي تتحكم بنا، وأنتِ أدرى بذلك.

- هل تعلمين لماذا وافقت على مساعَدة ألدرن؟!

ابتلعت ريقها بصعوبة، قبل أن تتابع الدكتورة عبير:

- قضيت أوقاتًا لا تُنسى معه في تلك المصحة العقلية، بصحبة ألدرن، لم تكن مجرد أيام عابرة، بل سنوات مليئة بالعواطف ولكنها أصبحت غابرة.

ثم أردفت:

- العشق يلتهم الأرواح كما يلتهم اللهب الأقمشة، يتسلل بصمتٍ في الظلام، يُضيء وجدان العاشقين بنورٍ يفوق لمعان النجوم، ويرق قلوبهم بلهيبٍ أشد حرارةً من جمر الغضى.

أثارت هذه الكلمات فضول دوجانا، فقالت متخذة موقف المستمع الحيادي:

- كلي آذان مصغية لكِ.

وبدأت الدكتورة عبير تستعيد تلك المشاعر... تلك المشاعر... التي

هي لغز يتراقص بين طيات الوجود، كهمسات خفية تتغلغل في أعماقنا دون استئذان.

إنها كالنسيم الذي لا تراه العيون ولكن تحسه الأرواح، يأتي خفيفًا كرقصة ورقة في مهب الريح، ثم يتحول فجأة إلى عاصفة تعصف بكل ما هو ثابت ومألوف.

في لحظة، يمكن أن تكون المشاعر كالماء الصافي الذي ينساب بسلاسة عبر أنهار القلب، يروي العطش ويهدئ الروح.

وفي لحظة أخرى، تتحول إلى سيل جارف يقتلع الأشجار ويدمر الأرض، يترك وراءه الفوضى والغموض.

هي كالنار، تمنح الدفء والنور، تشعل شرارة الحماس والشغف. ولكن، إذا ما تُركت دون رقيب، تستطيع أن تحرق كل شيء حتى تترك الرماد وحده يشهد على ما كان.

تلك المشاعر التي هي الألوان التي ترسم بها لوحة الحياة، تمنحها العمق والبعد، بدونها... تصبح الحياة كاللوحة البيضاء، خالية من الألوان، بلا معنًى ولا روح.

إنها المشاعر التي تختبئ في الأعماق، تنتظر اللحظة المناسبة لتظهر إلى النور، لتُعلن عن نفسها بكل جرأة، أو تظل مختبئة خلف ستار الغموض، تُراقب العالم من بعيد، وتبتسم في صمت عجيب ...

***

- وبعد سنوات عديدة... علمتني الدكتورة عبير أن الحب أفتك من النار..

نطقت دوجانا تلك الكلمات وهي تبلغ عتبة مكتب المحقق ألدرن في قسم البحث الجنائي، فاستفسرت من الحارس بصوت خافت:

- أطلع المحقق من مضجعه؟!

رد الحارس، بنبرة موازية لهدوئها:

- بعدُ لا.

فأزاحت دوجانا طرف الباب بتؤدة، وتسربت إلى الداخل بلطف و...، واهتز كيانها اهتزازًا عنيفًا. وبِبَالغ الفزع... إذ ما انكشف لها كان قمة في القبح... إلى أبعد حد يُتصور...

الفصل الحادي عشر

11

سُم يقتل الروح قبل أن يصيب العدو

في قلب مدينة (جدة)... حيث يقبع حي (الشاطئ) كجوهرة مخفاة تتلألأ على ساحل (البحر الأحمر)، إذ يُروى أن هذا الحي... بإطلالته البانورامية الساحرة، يحكي قصصًا من الفخامة والرقي.

وتتناثر الأضواء الخافتة على ممراته، مُعلنةً عن وجود عالم آخر، عالم يعيش بين ثنايا الزمن، حيث الخصوصية والهدوء يعانقان نسيم البحر، يُحكى أيضًا أن من يسكن هناك، يعيش بين أحضان الرفاهية، وتحت سماء تُزينها نجوم الليل اللامعة.

ويُشاع أن حي (الشاطئ) يخفي بين جنباته متاجر تبيع ليس فقط البضائع، بل الأحلام... تَسرد الأساطير أن المطاعم هناك تقدم أطباقًا لا تُشبع الجوع فحسب، بل تُغذي الروح.

وفي الأمسيات، حين يُسدل الليل ستائره، يُصبح الحي كمسرح ضخم، يُقام عليه عرض لا يُنسى من الأناقة والجمال، والأنوار تتراقص على إيقاع أمواج البحر الهادئة.

وفي أحد منازل الحي... تنحنحت نزرية خالة المحقق ألدرن في حياء لتسترعي انتباه صديقتها التي أدارت وجهها نحوها وهي تتلذذ

(بالمعصوب[13]) ، قائلة:

- نزرية، ما بكِ؟!... أنتِ رفيقة دربي منذ نعومة أظفارنا، اختصري الحديث وابدئي بلا مقدمات... تفضلي.

همهمت في توتر، لم تقو على إخفائه:

- سأعاود إلى منزلي.

ارتسمت الدهشة على محياها، وهي تقول:

- هكذا بغتة؟!

ردت عليها، مُطلقة لجام غضبها:

- لقد جانبت الصواب بمفارقة منزلي... وسأعاود إليه.

أمعنت فيها صديقتها النظر لبرهة في صمت، ثم قالت:

- بذلك تكونين قد أخطأتِ مرتين.

أربكها رد صديقتها فهمهمت في قلق:

- مرتين؟!

أفصحت لها بجزم:

- حينما فارقتِ منزلكِ، فارقتِه بإرادتكِ الحرة ومن دون ترخيص من ابن أختكِ... واليوم، تقررين بمعزل عن الآخرين الرجوع، وكذلك دون مشورة

ابن أختكِ. ظهرت الحيرة جلية على وجهها، وشعرت بأوصالها تتخاذل فاستقرت على أريكة فخمة، وهي تهمهم:

- فما العمل إذًا؟!

ومن دون سابق إنذار ترقرقت الدموع في عينيها، وهي تضيف:

- إنني أسعى لاسترجاع منزلي وذكرياتي.

- ولكنكِ تسلكِين الطريق الخطأ.

قبل أن تبلغها رفيقتها، علا صوت الهاتف في الأرجاء، فأمسكت نزرية بالسماعة واستمعت لبرهة إلى محدثتها، ثم قالت:

- أعرفكِ بالطبع... يا ابنتي، أنتِ مساعِدة ابن أختي..

سكتت لحظات، تصغي إلى دوجانا بانتباه، وتسارع نبض رفيقتها بشدة مع ذلك البهتان الذي غطى ملامحها، وهي تهمهم مرتعشة:

- إنه لأمر مفزع... مفزع حقًّا.

أغلقت الخط، والتفتت إلى صديقتها، وقد بلغ بهتان وجهها ذروته...

وفي هذه المرة، لم يتسارع نبض رفيقتها فحسب بل تهاوى.. تهاوى إلى الأرض، وبكل قوة...

***

حراك غامر، غطى ممرات قسم البحث الجنائي... جحافل من خبراء البحث الجنائي، تفرقوا في كل زاوية... وفي كل دور... وفي كل معتقل...

جموع من رجال الأمن انكبوا على تمحيص الموقع ومراجعة أشرطة التسجيل، واستنطاق جمهور العاملين... وفي خضم هذا الزخم، هرع (النائب العام لوزارة الداخلية) إلى دوجانا، التي أدت التحية العسكرية بقوة، ونفضت عن قامتها الخمول في استعداد عسكري، والنائب العام يستفسر منها بقلق:

- أأنتِ من أطلقت صيحة الإنذار بالجريمة... أليس كذا؟!

أيدت دوجانا برأسها متمتمة:

- بلى، يا سيادة النائب.

- ذلك السفاح البيدوفيلي خرق كل القيود... قتل أحد منسوبي قسم البحث الجنائي، لا يجوز أن يمضي دون عقاب.

ترددت دوجانا لبرهة، ثم أفصحت:

- المعضلة يا سيادة النائب... كيف تسلل إلى هنا؟!

- كل من تبصرينهم ها هنا، يجتهدون في استخلاص الجواب.

ثم استفهم، وهو يرمق بصره نحو مكتب المحقق ألدرن:

- وأين تلك الأنياب والرأس؟!

- الدكتور يامن في قسم الطب الشرعي يباشر بتقصيها الآن.

وقبل أن تختم دوجانا حديثها، بزغ الدكتور يامن، عند مدخل مكتب المحقق، وعلامات وجهه تفضح الاضطراب الذي يجتاح روحه.

وبانفعال متوتر، استوضحه النائب العام:

- ما تقييمك يا دكتور يامن؟!

استنشق الدكتور يامن شهيقًا عميقًا، كأنه يسعى لتهدئة ثورانه الداخلي، قبل أن يجيب:

- إنه السفاح عينه بلا ريب... الأنياب المقتلعة والهلع البادي على محياه، تشهد بذلك.

تلاقى حاجبا النائب العام لوزارة الداخلية، وهو يستفسر منه:

- هل هذا يماثل ما تقصيته سابقًا؟!

أقر الدكتور يامن برأسه مؤكدًا، فأردف النائب العام بحزم:

- فلماذا كل هذا القلق إذًا؟!

برزت الدموع جلية في عيني الدكتور يامن، وهو يجيب:

- ليس في كل حين يمتحن الإنسان نابًا ورأس صديق قديم.

أطرقت دوجانا ببصرها، وأخذت تتمتم بمرارة:

- أنت محق.

- ليس هناك مجال للعبرات الآن..

من بوابة المكتب البعيدة، انطلق ذلك النداء محملًا بوقار عظيم، فالتفت الجميع نحوه، مما دفع صاحب الصوت للخطو قُدمًا نحوهم، مستطردًا:

- ذلك السفاح استهان بكامل فريق البحث الجنائي... وهو تحدٍّ لا يمكن أن يُتجاوز بسهولة.

رمقه الثلاثة بنظرات صامتة لبرهة، ثم أفصح النائب العام بثبات:

- هل لديك مخطط مضمون، يا حضرة المحقق ألدرن؟!

نفض المحقق ألدرن ساكنته، رادًّا بانفعال:

- لم أتوصل إلى شيء بعد.

ظهر الذهول على محيا الثلاثة، فأردف بجزم:

- إلا أن جريمته في حق وكيل وزارة الداخلية وتنكيله بجسده بهذه الصورة ما هي إلا تحقير لكل فرد من أفراد الأمن؛ وعليه، يجب استنفار جميع موارد الوزارة للإطاحة به.

خيم الصمت على الأربعة للحظات قبل أن يكسره النائب العام، قائلًا:

- سأنال من معالي الوزير توكيلًا خاصّاً يعطيك كافة الصلاحيات الضرورية، يا ألدرن لتتبع ذلك المجرم... كم من الوقت تحتاج؟!

ألقى المحقق ألدرن نظرة إلى الدكتور يامن لثوانٍ، ثم استوى واستقام قائمًا وهو يجيب بثبات:

- اثنتين وأربعين ساعة.

انفجرت الدهشة على وجوه الحاضرين وهم يراقبونه، وهمست مساعِدته

دوجانا بتردد:

- حضرة المحقق...

أعاد المحقق ألدرن بثبات وجدية، كأنه يسد الطريق أمام أي تشكيك أو معارضة أو رفض:

- اثنتين وأربعين ساعة لا غير.

نظر إليه النائب العام لبرهة، قبل أن يستفسر:

- هل تظن أنها كافية يا ألدرن؟!

رمق المحقق ألدرن ساعته، ثم أجاب بثبات:

- إنها الثانية عشرة وخمس دقائق، يا سيادة النائب.

وبدون سبب مفهوم، عدّل قامته أكثر، وارتفع صوته حتى صار مسموعًا لكل من في الطابق، وأضاف بكل ثبات:

- فبحلول السادسة صباحًا بالضبط بعد يوم واحد وثماني ساعات وعشرٍ تلوح في الأفق، سيرقد رأس ذلك المختل البيدوفيلي على مكتبي.

ومجددًا... عم الصمت، وتفجرت الدهشة في كل الوجوه... ففي ذهن كل واحد منهم، دار سؤال واحد... هل يدرك المحقق ألدرن حقًّا ما يقول؟!.. ولكن لم يجب أحد أو حتى حاول الإجابة على السؤال، أبدًا...

***

قفزة غريبة، تلك التي انطلق بها ذو الظل الشاحب من قمة مبنًى شبه مهجور في زاوية أحد الأحياء إلى شرفة مكتب الأستاذ جاسم، إذ كان المكتب يسوده الصمت، في تلك اللحظات الأولى من الفجر، سوى من وجود أمينة المكتب وعامل تنظيف مسن.

وبدا واضحًا أنه كان على دراية تامة بهذا، فبسكينة، أزاح باب الشرفة، وتسلل إلى مكتب الأستاذ جاسم.

ترك عامل التنظيف النافذة مواربة... ليتمم تنظيف المكتب، مستفيدًا من الساعات الباكرة، التي يغيب خلالها المحامون عن المكتب، منهمكين في متابعة الدعاوى القائمة أمام القضاء.

وبخفة بالغة، توجه ذو الظل الشاحب نحو خزانة الملفات الملاصقة لمكتب الأستاذ جاسم وألقى نظرة عابرة على القفل الضخم الذي يحميها، ثم استل القفل بين يديه، وشدّه بقوة خارقة، فانفصل القفل عن مكانه، وفتح أدراج الخزانة برفق، ثم انتقى ملفًّا معينًا، من بين الأوراق المكدسة التي تملأ الأدراج و..

- من تكون؟!... وماذا تريد من هنا؟!

انفجر عامل النظافة بالأسئلة، وهو يتقهقر مرتعدًا، ثم سرعان ما تحولت رجفته إلى هلع شديد، عندما استدار إليه ذو الظل الشاحب بعينين تتوهجان كجمرتين، مما دفعه لإطلاق صيحة هلع، جعلت أمينة المكتب ترتجف

وتنكمش في مقعدها، وعيناها تتسعان بالذهول والخوف.

بينما حاول عامل النظافة الابتعاد، لكن ذا الظل الشاحب انقض عليه، وأمسكه من عنقه بقوة، فناشد العامل المسكين قائلًا:

- لن أبوح بسرك... أقسم إنني لن أفعل.

لكن أصابع الرجل ذي الظل الشاحب غطت على عنقه، بقوة تفوق الطاقة البشرية فبرقت عينا العامل حتى بدتا كأنهما ستنفجران من الرعب والألم، لبرهة واحدة، ثم صدر من عنقه صوت قرقعة مروع، صوت تلاه ميلان رأس الرجل على كتفه، وخمدت شرارة الحياة في عينيه، و... صرخة هلع أخرى انطلقت من حيث وقفت أمينة المكتب كأنها تحفة فنية تتنفس.

حيث بدلتها الضيقة تعانق جسدها كظلها، مع كل خط ومنحنًى يبرزان جمالها ومفاتنها وشعرها الذهبي القصير يتألق كالذهب المصهور، مع كل خصلة تسرد حكاية جمال وإثارة، وعيناها الفسيحتان تلمعان بلمعان غامض، وشفتاها الممتلئتان تبدوان كزهرتين قرمزيتين مفعمتين بالوعود والإغواء.

عند باب مكتب الأستاذ جاسم، التفت إليها ذو الظل الشاحب بتلك النظرة الجمرية المرعبة، مما جعلها تتراجع بكل خوف العالم، وهي تحمي وجهها بذراعيها، صارخة:

- أهذا أنت حقًّا؟!.. لا، لا يمكن أن يكون... إنه أمرٌ لا يُصدَّق!

ثم لم تجد بعدها الفرصة أو النفس، لتنطق بكلمة إضافية، أو حتى

بحرف واحد...

***

دون أن تدرك، انخرطت الأستاذة حسناء في أحضان المحقق ألدرن، وأودعت محياها بين ثنايا صدره، وهي تنتفض مذعورة، تذرف الدموع، وتصرخ:

- ولكن لماذا؟!... كل ما أردته هو رغيف الحياة... مجرد رغيف الحياة.

تهاطلت دموعها كشلالات متدفقة على صدر المحقق ألدرن، الذي اعتراه الإحراج بفعل النظرات الثاقبة التي أطلقتها مساعِدته دوجانا، فدفعها برفق عنه، وهو يهمس:

- نحن من يجب أن نجتهد لاستيعاب هذا يا أستاذة.

رفعت الأستاذة حسناء جفونها المثقلة بالدموع نحوه، قائلة بتردد:

- أختي.. في (ألمانيا)، أفصحت لي عن تردي أوضاعها المالية بشكل جلي... لهذا السبب، سعيت للانخراط في العمل هنا منذ زمن بعيد، بجانب الأستاذ جاسم في قسم وحدة المستشارين.

- ولماذا أخفيتِ علينا هذا منذ البدء؟!

كاد المحقق ألدرن أن يطرح استفسارًا آخر، لكن مساعِدته دوجانا قاطعته

بتوتر، مشيرة إلى جثة الأمينة:

- لماذا هذه الجثة لا تشبه الجثث الأخرى؟!... انظر، لا أثر لقلع الأنياب ولا قطع الرأس ولا حتى علامات الهلع تشوه ملامحها.. لغز محير.

تفوه المحقق ألدرن بنبرة مضطربة:

- ربما كان الهجوم مباغتًا، و...

عادت مساعِدته دوجانا لقطع حديثه بحزم غير مقصود:

- سنتحقق من ذلك.

ثم استدار المحقق ألدرن نحو المحامين العائدين إلى المكتب، بعد إخطارهم بالواقعة، وسألهم بجدية:

- من كان أول من اكتشف الجريمة؟!

ظهرت علامات القلق على الأستاذ جاسم... مدير المكتب، وهو يجيب:

- أنا!!

التفت إليه المحقق ألدرن ببطء، وتحدث بسكينة عميقة، وبنبرة متسائلة لم تخفَ على الحاضرين:

- أنت؟!

ردّ الأستاذ جاسم بنبرة متوترة وعينين تشتعلان غضبًا:

- إنني سبّاق إلى هذا المعقل كل فجر... فأنا القائد المطلق هنا.

أطرق المحقق ألدرن صامتًا، متجاهلًا إياه بإصرار، وتمتم في سره:

- أنت؟!

ثم التفت بعيدًا عنه، بحركة جافة أثارت حفيظة الأستاذ جاسم أكثر فأكثر، ولوّح بذراعه تلويحة تحمل ألف معنًى، قائلًا:

- سيحلّ خبير الأدلة الجنائية عندنا بعد هنيهة؛ ليكشف لنا خبايا الجريمة البشعة و...

قاطعته الأستاذة حسناء بانفعال متأجج:

- لا حاجة لذلك.

التفت الجميع نحوها بعيون متسائلة، فأردفت بلهجة متحفزة، وهي تتفادى الأنظار المتلهفة:

- هنالك طريقة أمضى وأنقى.

ثَقُلت ملامح دوجانا وهي ترمقها، ثم رفعت بصرها إلى المحقق ألدرن، الذي كانت الأستاذة حسناء متعلقة بساعده، فأومأ المحقق ألدرن برأسه إيماءة دقيقة تنم عن إدراك عميق، ومال برأسه نحو الأستاذة حسناء، يستفسر بهمسة رزينة لا تخلو من الجدية:

- أين هي؟!

رفعت الأستاذة حسناء عينيها إليه، والقلق يعصف بها، فاستأنف المحقق ألدرن استجوابه:

- أين جهاز المراقبة؟!

تسعرت العيون حولها بدهشة مشوبة بالريبة، بينما أدارت هي وجهها للجهة الأخرى، وأشارت بيدها بتردد، متمتمة بصوت خافت:

- هناك... فوق مصراع الباب.

تمتم الأستاذ جاسم بتذمر:

- جهاز مراقبة؟!... كنت أظن أنكِ تهبينني ثقتكِ يا أستاذة حسناء، وكيف تجرئين على نصب جهاز مراقبة دون إذني؟!

ردّ المحقق ألدرن وهو يرفع بصره إلى جهاز المراقبة المتخفي بمكر:

- ومن ينال الثقة في هذا العصر الرديء يا أستاذ جاسم؟... عندما يحيط الخطر بالمرء، يصبح الحذر واجبًا.

وأما الأستاذة حسناء، فظلت صامتة ولم تزد على السطور حرفًا زائدًا، وهي تحس بأن نظرات زملائها تنفذ إليها كأسهم لهبٍ ملتهبة... أو كأنها شظايا من عتمة الجحيم البهيم...

***

- أهذا أنت حقًّا؟!.. لا، لا يمكن أن يكون... إنه أمرٌ لا يُصدَّق!

أعاد المحقق ألدرن تشغيل تلك الصيحة المدوية، التي انفجرت من حنجرة الأمينة عشية وفاتها، مرارًا تلو المرار، قبل أن يحول وجهه شاحبًا نحو الأستاذة حسناء ومساعِدته دوجانا، متسائلًا بنبرة جليدية:

- ما تعليقكما الآن؟!

همست مساعِدته دوجانا بصوت خافت:

- إنه ليس بغريب عنا.

انبرت الأستاذة حسناء بقوة متفجرة:

- لكنه قطعًا ليس الأستاذ جاسم.

ظهرت على محيا المحقق ألدرن علامات الغضب الشديد، وهو يستفسر:

- ولماذا هذا الدفاع المستميت؟! هل لأنه رئيسكِ... أم أن هناك أمرًا آخر؟!

ردت بعناد لا يلين:

- لأنني أخدم تحت إمرته... ولأنه كان السند الذي أنقذني من وحل العوز، وحكيم القرية يشهد له بالمعرفة.

أطلق المحقق ألدرن العنان للعرض مجددًا، وهو يقول بثبات:

- تأملي هذا ثانيةً إذًا.

بدأ جهاز العرض ينبض بالحياة مجددًا، ويعيد الشريط الرقمي الذي خطفته عدسات المراقبة، منذ أن داهم ذلك ذو الظل الشاحب المكان، وحتى اختفائه، متخللًا بحادثة الاغتيال المروعة لعامل التنظيف والأمينة...

وفي هذه اللحظة، أضاف المحقق ألدرن تعقيبه، قائلًا:

- ركزا جيدًا... إنه يخطو بثقة مريبة، كأن المكان مألوف لديه... ويبدو أنه على دراية بمكان جهاز المراقبة الخفي أيضًا.

صرخت الأستاذة حسناء في قلق متزايد:

- محال!!... لم يكن أحد يعلم بوجوده سواي.

استدار المحقق ألدرن نحوها وأوقف العرض بضغطة زر، وهو يستجوبها بحزم:

- فسري لي إذًا... لماذا لم تلتقط عدسة جهاز المراقبة ملامحه ولو لمرة واحدة، منذ أن دلف إلى المكتب، وحتى انسحابه منه؟!

- مجرد مصادفة عابرة.

ألقى المحقق ألدرن نظرة استفهام إلى مساعِدته دوجانا متسائلًا:

- هل هذا ما ترينه؟!

أومأت مساعِدته دوجانا برأسها نافية ببطء، قبل أن تعترف:

- لا... إنه يتهرب من جهاز المراقبة بمكر.

صاحت الأستاذة حسناء بتوتر ملحوظ:

- إذًا هو ليس الأستاذ جاسم فهو لم يكن يعلم بجهاز المراقبة أصلًا.

سألها المحقق ألدرن بسرعة:

- وكيف لكِ بذلك؟!

- لقد شهدت دهشته الواضحة، حين اكتشفه.

انحنى المحقق ألدرن نحوهما، قائلًا بتحدٍّ مماثل:

- أي ممثل ماهر، يستطيع تقمص هذه الدهشة.

- إذًا اعتقل رجل الأعمال الأستاذ يزيد أيضًا.

تراجع المحقق ألدرن وهو يرمقها بتحدٍّ، ثم أومأ إلى مساعِدته آمرًا بصرامة:

- اعتقلِي الأستاذ جاسم فورًا.

تقاطعت حواجب الأستاذة حسناء بغضب شديد، وهي تعلن:

- أنا أحول دون ذلك.

رد المحقق ألدرن ببرود متجمد:

- ليس بوسعكِ فعل ذلك.

صاحت بغضب متفجر:

- أنا المستشارة هنا.

أجاب المحقق ألدرن بالبرود نفسه:

- استشيري محامِيًا ليدافع عنه إذًا.

ثم صاح بِـمساعِدته دوجانا بحدة:

- ماذا تنتظرين؟!

ترددت مساعِدته دوجانا لبرهة، وهي تتنقل بنظراتها بين المحقق ألدرن والأستاذة حسناء، ثم أقرت:

- سأقبض عليه الآن.

قالت ذلك وهي تخرج من مكتب الأستاذة حسناء، التي صرخت بحدة:

- ستُحاسب على تصرفاتك هذه يا ألدرن.

ابتسم المحقق ألدرن ابتسامة تمزج بين السخرية والتوتر، وهو يعلق:

- سأتطلع إلى ذلك بكل شغف.

لم يكمل كلماته حتى اندفعت مساعِدته دوجانا إلى المكتب، وبدا أنها تكاد تختنق وهي تصيح:

- الأستاذ جاسم!!

استدارت إليها الأستاذة حسناء بحركة مفاجئة، بينما سألها المحقق ألدرن بكل قلق:

- ما الأمر به؟!

لهثت مساعِدته دوجانا للحظة، ثم أطلقت في انفعال عارم:

- لقد فرّ هاربًا.

في تلك الأثناء المصيرية، حينما صدحت دوجانا بإجابتها الصادمة، كانت صديقة نزرية خالة المحقق ألدرن ترمق بعين الريبة والحيطة، ذلك الملازم الواقف ببزته الرسمية أمامها، وهي تستفسر بنبرة محمومة:

- هل أنت متيقن أن المحقق ألدرن هو من بعث بك إلينا؟!

ظهر الملازم بمظهر اللباقة الفائقة، وأجاب بكل وقار:

- حتمًا يا عمتي... ولديكِ الحرية في الاتصال به للتحقق من صحة قولي.

تفوهت صديقة نزرية بتأفف وهي تضم شفتيها بتزمت:

- نزرية منزعجة منه قليلًا... وأنا جربت الاتصال به، لكن دون جدوى، لا يستجيب للهاتف.

- المحقق ألدرن مشغول للغاية... جراء ما أخبرت به الخالة نزرية عما نقلتها لها مساعِدته صباح اليوم، ولذا أوفدني لاصطحابكما إلى مكان

يكتنفه الأمان؛ خشية أن يتعقب ذلك السفاح مكان إقامتكما الحالي.

تساءلت بإلحاح، وهي تحاول الاتصال مجددًا:

- ألا يمكنك أن تمهلنا برهة؟!

أومأ الملازم برأسه، معلنًا بصرامة:

- الوقت يداهمنا يا عمتي.

تناقل القلق إلى نزرية خالة المحقق ألدرن، التي أمالت رأسها بعمق أكبر لتصغي بتركيز أشد إلى ما تدور به محادثة صديقتها مع الملازم.

وبغتة، اعتراها القلق من نبرته، إنها نبرة مألوفة، أو على الأقل تشابه ما سمعته من قبل، وبينما تتصارع الظنون في ذهنها، أمالت رأسها أكثر فأكثر؛ لتلقي نظرة فاحصة على الملازم، وفجأة، انبعثت من صدرها زفرة مدوية، وهي تتراجع بكل هلع الأرض صارخة:

- إنه ذاك الرجل!!

وبكل رعب، تراجعت صديقتها... ومع ابتسامة ماكرة مريبة، انقض الملازم المزيف بقبضته عليها وبكل ما أوتي من قوة...

الفصل الثاني عشر

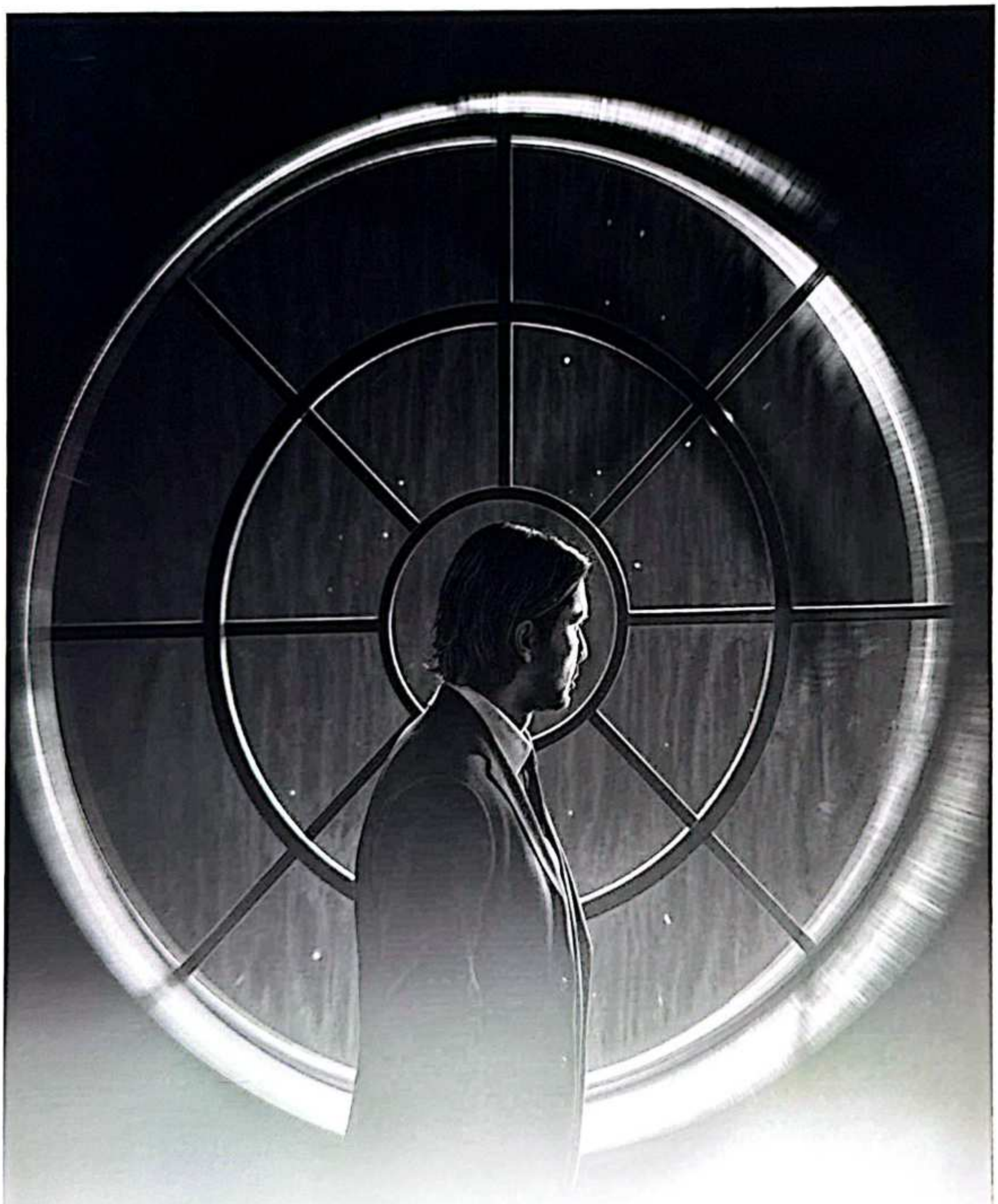

12

شرارة التغيير في مسار اللعبة

- إنه هو... ليس هناك مجال للشك!

همس المحقق ألدرن تلك الكلمات بصوت مبحوح، وهو يتوسط منزل صديقة خالته نزرية، التي كانت تنهار كقصر من رمال، وهي تجهش بالبكاء المرير، قائلةً:

- تنكر في زي شرطي و...

جميع الحقوق محفوظة لقناة رَقش

قاطعها المحقق ألدرن بانفعال متقد:

- لقد ترددت على مسامعي هذه الحكاية مرارًا وتكرارًا.

حاول المحقق ألدرن بذلك أن يكبح جماح غضبه، ليتسنى له التأمل بصفاء، لكن كل خلية في جسده كانت ترتعش بالغيظ والاشمئزاز والتوتر، فأضاف بلهجة قاطعة:

- صفي لي الواقعة بالضبط.

انخرطت صديقة خالته في البكاء، وهي تلهج:

- لا أعلم إلا ما سبق وأطلعتك عليه... لقد وجه لي لكمة، فخارت قواي ولما أفقت لم أجد نزرية.

وتهاوت مغشيًا عليها، وهي تتابع:

- لن أطيق رؤية صديقتي مقلوعة الأنياب ومقطوعة الرأس.

- كفى.

لم يكن المحقق ألدرن يستسيغ حتى التفكير في الأمر... ذلك لأنه كان يدرك أن ذلك السفاح لن يغفل عن هذا الفعل لبرهة، وفي تلك الأثناء، ظهرت مساعِدته دوجانا عند مدخل المنزل الذي اكتظ بفريق الأدلة الجنائية والمحققين والطب الشرعي، ونطقت حال بروزها:

- لم يعبر أحد من حراس الأمن يا حضرة المحقق.

تشنَّج جبين المحقق ألدرن بشدة، وهو يقول متوترًا:

- بأي شيء نحن محاطون بالضبط؟!

تمتمت مساعِدته دوجانا بذهول:

- شيء؟

- بالطبع... ما أفادت به ابنة الأستاذ يزيد لم يكن مجرد تهويل أو هذيان... إنه ينفذ أفعالًا تفوق بمراحل قدرات الإنسان... فهي وحراس القصر شاهدوه يقفز بخفة، عبر ارتفاع يناهز عشرة أمتار، وحينما وضع أنياب ورأس وكيل وزارة الداخلية فوق مكتبي، لم يعثر فريق الأدلة الجنائية على أي أثر للدخول، سوى عبر النافذة، التي تعلو خمسة طوابق فوق

الأرض، وها هو ذا يصل إلى باب منزل صديقة خالتي، دون أن يمر بأي من حراس الأمن، الذين أحاطوا بالمكان، ولن أنسى ذلك الشريط الذي التقطته عدسة جهاز مراقبة الأستاذة حسناء الخفية، والتي رصدته يدخل عبر النافذة، في الطابق السادس...

ثم أردف:

- ما زال هذا يثير حيرتي..

صرخت فيه مساعِدته دوجانا بانفعال غير مألوف:

- يثير حيرتك؟!... ألم تكن بجانبي، عندما تابعنا ذلك الشريط معًا؟!... أم أنك كنت منهمكًا بمغازلة تلك المستشارة؟!

ظهر الغضب على محيا المحقق ألدرن وهو يقول:

- كنت متيقظًا بالكامل، ولذا أنا مشوش وفي حيرة من أمري.

ثم تقدم خطوتين نحو مساعِدته دوجانا، قبل أن يستطرد:

- إذا كان يعي بوجود جهاز المراقبة الخفي، ويتحاشى أن يكشف وجهه له، فلماذا أبقاه في مكانه، بعد أن صرخت أمينة مكتب الأستاذ جاسم، مدعيةً أنها تعرفه؟!

- ملاحظة ذكية بالفعل.

- لكن الأمر يتجاوز حدود الفائدة في استرداد خالتي... نحن بالكاد

نستطيع تخمين مصيرها على يد ذلك السفاح، أهي على قيد الحياة أم أن الموت قد سبقنه...

قطع تأملاته صدى صوت حازم يتردد في الأرجاء:

- ما زالت أنفاسها تتراقص بين الحياة والموت.

دار المحقق ألدرن بحركة مفاجئة نحو مصدر الصوت، وتقلصت ملامحه في دهشة، وهو يهتف:

- كيف لكِ أن تكوني هنا؟!

ظهرت علامات الاستياء على وجه الدكتورة عبير، وهي ترد:

- لم آتِ هنا بمحض إرادتي.

أزاحت دوجانا الصمت بعجالة، قائلة:

- أنا من طلبت منها القدوم.

استدار المحقق ألدرن نحوها بتوتر، قائلًا:

- أنتِ؟!

بادرت مساعِدته دوجانا بالقول:

- نحن نتحدث عن خالتك نزرية، وعن سفاح بيدوفيلي... وهذا يتطلب كل يد ممدودة للمساعدة، ولا تنسَ أن الدكتورة عبير من أصدقاء العائلة،

كما أعتقد..

تجهمت ملامح المحقق ألدرن، وهو يعود بنظره إلى الدكتورة عبير بتحدٍّ، ويسألها بتوتر:

- هل تظنين أن بإمكانكِ المساعدة حقًّا؟!

- بلا شك... كما أنقذتك من براثن الانفصام.

تشابكت ذراعا المحقق ألدرن أمام صدره، وهو يقول في حيرة متزايدة:

- أصغي إليكِ بكل جوارحي.

- ما اقترفه ذلك السفاح يدل على أنك قد اقتربت من كشفه أكثر مما تتصور.

- لقد كشفنا ذلك بالفعل.

- لن يجرؤ على قتل خالتك نزرية، بل سيستغلها كوسيلة لجذبك إليه، ولذا يجب عليك اتخاذ قرار حاسم إن أردت استعادتها.

- أي قرار؟!

- الانسحاب من القضية.

تسعرت عينا المحقق ألدرن بالدهشة، واحمر وجهه بالغضب، وبدت كلماته كالشرار الذي أشعل مشاعر الخذلان المكتومة في قلبه تجاهها، وكأنها على وشك الانفجار في وجه الدكتورة عبير، بينما قفزت صديقة

نزرية من مقعدها، صارخة في استهجان:

- إذًا؟!... في مثل هذه الظروف؟!... من سيعيد صديقتي؟!

بدت الدكتورة عبير متوحشة كما لم تكن من قبل، وهي تقول بحزم:

- ما أقوله هو الطريق الوحيد لاسترجاعها.

وتضاعفت صرامتها وامتزجت بغضب عارم، وهي تتابع موجهة حديثها إلى المحقق ألدرن مباشرة، ونظراتها تخفي أسرار الخيبة والخذلان:

- وقد مللت من معارضة أقوالي من قبل أشخاص لا يملكون أدنى خبرة أو معرفة بعلم النفس الجنائي... وإن كنتم تفضلون الاعتماد على أنفسكم، بدلًا من تفريغ انفعالاتكم على من حولكم، فلتفعلوا، وسأعود إلى عيادتي لأمارس مهنتي بالكرامة التي تليق بدكتورة في مقامي..

ثم أضافت بكل صرامة وهي تنظر إلى المحقق ألدرن:

- ولا تنسَ أنك أنت من طلب مساعدتي في البداية، وتذكر أنني لم أوافق إلا من باب الشفقة بك والرأفة بخالتك نزرية، فالمودة التي عشناها لا يمكن أن تمحوها الأيام أو مشاعر الغدر.

تراجعت صديقة نزرية مصدومة من تلك الكلمات بينما بدا وكأن المحقق ألدرن يحاول ترتيب الأمور في ذهنه، مكافحًا للسيطرة على انفعالاته المتأججة، وهو يتمتم بصعوبة:

- ولكنكِ تطالبينني بالتخلي عن القضية، في أهم مراحلها!!

- ليس هذا فقط، بل عليك أن تعلن ذلك رسميًا وأمام الإعلام، وأن تقر بفشلك في حل لغز هذه القضية.

- مستحيل... هذا بالضبط ما يريده.

انحنت الدكتورة عبير نحوه، مُرسلة همسًا غامضًا:

- وهذا ما يتوقع منك أن تفعله.

وقبل أن يُطلق المحقق ألدرن صرخة اعتراض، استقامت الدكتورة عبير بانقلاب مفاجئ، مُصححةً:

- على الظاهر فحسب.

تراجعت صديقة نزرية في حيرة، وانكسرت ملامح المحقق ألدرن بتجهّم واضح، بينما تفوّهت دوجانا بفضول مُحتدم:

- إذًا سنُموّه عليه.

أومأت الدكتورة عبير بإصبعها السبّابة، مُعلنةً:

- الجوهر أن يتم كل شيء بخاطف البصر.

تلعثم المحقق ألدرن بحذر وهو ينظر إلى الدكتورة عبير، قائلًا:

- هل ترمين إلى أن أُطارده فورًا؟!

- إنك لن تُطلق العنان لمطاردته الآن.

صاحت صديقة نزربة بتهور:

- ما هذه الحماقة؟!

استدارت الدكتورة عبير نحوها، مُعلنة بصرامة:

- الحماقة هي أن يندفع المحقق ألدرن، مُحمّلًا بكل هذا القلق والغضب، اللذين يُعيقانه عن صنع قرار حكيم، أو خُطًا موزونة، في مواجهة سفاح مُتعطش للدماء، بلا شفقة ولا رأفة، ذي ذكاء مُحكم، ويُتقن قواعد اللعبة.

قالت ذلك وهي تنقض بحركة مُباغتة نحو صديقة نزرية، بما جعلها تتراجع في قلق، مُضيفةً:

- في هذه الحال، لن تستردي صديقتكِ بيقين، بل ستفقدين ابن أختها أيضًا.

بهت وجه صديقة نزرية وتعثّرت الكلمات في حلقها، بينما احمرّ وجه المحقق ألدرن وهو يقول:

- هل تدركين ما تطلبين مني بالضبط يا عبير؟!...أن تُختطف خالتي التي هي بمثابة أمي، على يد سفاح مُهووس بقلع الأنياب وحصد الرؤوس، فأظل أنا هنا صامتًا، وأترك للآخرين مهمة البحث عنها!!

أشارت الدكتورة عبير بإصبعها السبّابة، قائلةً:

- علم النفس الجنائي يُشير...

قاطعها المحقق ألدرن بحزم:

- ترّهات.

انفجرت على وجه الدكتورة عبير دهشة مُستهجنة، بينما واصل المحقق ألدرن بكل غضبه، وهو يُطرق صدره بقبضته:

- لقد تعدى ذلك السفاح كل الحدود، ولن أدعه يلهو بي، أو يمس خالتي... إنني سأفعل...

قاطعه رنين هاتفه المحمول المُفاجئ، فأجابه بسرعة مُتابعًا:

- سأُعلّمه درسًا لن ينساه، و...

قالها وهو يضغط زر الرد، ثم قُطع حديثه فجأة، عندما سمع صوتًا جافًا مُستهزئًا، يقول:

- والآن ماذا أيها المحقق كونان؟!

انتفض جسد المحقق ألدرن بعنف وبكل القوة.

فقد تجاوز ذلك السفاح كل الحدود بالفعل، وبشكل مُستفز، جدًّا...

***

بظلال القلق... ذهبت الأستاذة حسناء تنقب في أغوار الملفات بمكتبها،

تبحث عن خيوط اللغز.

- أي وثيقة كان ذلك الجاني يبتغي سرقتها؟!... وما السر وراء ذلك؟! لم تكشف عدسات المراقبة الخفية عن مجيئه للإجهاز على عامل النظافة وأمينة المكتب، بل جاء طامعًا في وثيقة ما، وتلك الوثيقة لا بد أن تحمل مفاتيح الأمر إليه، لكن، ما هي؟!

تلك الألغاز المحيرة، كان يتردد صداها في أعماق الأستاذة حسناء، تتخلل أروقة عقلها وتتسلل إلى كل زاوية من زوايا فكرها، وبينما هي غارقة في بحر التساؤلات، جاء صوت خافت يخترق سكون الأفكار، ينادي بهمسة مبهمة:

- أستاذة حسناء!!

اهتز كيانها بالفزع حينما داعب الصدى اسمها، وانبعثت من صدرها زفرة الهلع، فتقهقر حكيم القرية برعب مماثل، وهو ينادي بوهن:

- ماذا جرى؟!

- حكيم القرية؟! ما بالك هنا؟!

تقلص الرجل كظل يرثى له، وهو يتمتم مضطربًا:

- .... إنها بداية الشهر يا أستاذة.

- صحيح... مكافأتك من إتمام الإيجار... كادت تغيب عن بالي.

ثم أومأت نحو مقعد قريب، قائلة:

- استرح يا حضرة الحكيم.

تمتم بارتباك:

- عذرًا يا أستاذة.

- استرح... أرغب في مناقشة أمر معك.

- معي؟!

أظهرت حزمًا هذه المرة، وهي تكرر:

- استرح.

أسرع حكيم القرية إلى الجلوس متلعثمًا، فبدأت ترتب بعض الأوراق على مكتبها، قبل أن تسأله بغتة:

- لماذا أذنت للدكتور سِنان المزيف هذا بدخول العيادة الطبية؟!

بدا مبهوتًا بالسؤال، وهو يتمتم:

- أنتِ من أعطى الإذن يا أستاذة.

- أنا؟!

ثم انحنت نحوه في حركة مفاجئة، مردفة:

- لماذا تزور الحقائق يا حضرة الحكيم؟!

- أزور؟!... ولماذا أفعل ذلك يا أستاذة؟!

- لأنني لم أتواصل معك قط منذ رحيلي... لا بشأن سِنان المزيف هذا ولا بأي أمر آخر، وأنت تعلم رقمي عن ظهر قلب.

ظهرت على محيا حكيم القرية ملامح الانكسار... وبصوت تخنقه العبرات، تساءل:

- ومن أين لي بمعرفته، يا أستاذة حسناء؟!... إنني عاجز عن ترتيب الحروف فضلًا عن الكتابة والقراءة!

توسعت حدقتاها، وهي تتأرجح للخلف، تستند على مسند كرسيها بتثاقل..

كيف غاب عن بالها ذلك؟!... كيف لم تدرك أن حكيم القرية لا يجيد الأبجدية؟! وأنه أُمي، كيف؟!

- لكنك تميز صوتي...

قاطعت تلك التساؤلات مجددًا بانفعال مفاجئ، بلهجة أوقعته في هلع، فقفز من مقعده، واقفًا بترنح، وهو يلهج بالقول مرتعشًا:

- وذاك الصوت هو الذي أذن لي بتأجير العيادة للدكتور سِنان!!

انفجرت في وجهه بكل ما تكتنفه من غضب:

- مُدَّعٍ أنت!!

رمقها بنظرة متسائلة، ثم انهمر دموعًا بغتة، بما أثار في نفسها خليطًا من الرأفة والأسف، حتى إنها قامت نحوه، تربت على كتفه بحنان، وهي تتمتم بقلق:

- اعذرني يا حضرة الحكيم... لقد ابتليت بوطأة الهموم منذ طلوع الفجر... مصرع أمينة المكتب والعامل...، ومداهمة البحث الجنائي لمقر عملي وتقصي الأدلة الجنائية لكل زاوية من مكتبي، ثم اختفاء ذلك الملف الهام...

قطع عليها كلامها صوت جلف، يقول:

- هذا هو محور الشأن الذي يجدر بنا التدقيق فيه.

قفزت الأستاذة حسناء مذعورة وهي تلتفت إلى مساعِدة المحقق ألدرن التي ظهرت عند مدخل المكتب وصاحت بحدة:

- ألم يبقَ من يعرف قرع الأبواب في هذه الأيام؟!

أهملت تعقيبها اللاذع، وأردفت بالحزم نفسه:

- هنالك فريق تقني متكامل، يجهد في تحليل اللقطات التي اقتنصتها عدسة جهاز المراقبة الخفي في مكتبكِ، رجاء أن يهتدوا إلى خيط يسوقنا إلى ذلك السفاح البيدوفيلي.

همهم حكيم القرية من دون أن يدرك، لا شعوريًا:

- ليت ذلك يكون.

أدارت دوجانا وجهها نحوه وكأنها تراه لأول مرة... تشدّدت عضلات وجهها بتجهّم، وأشارت إليه قائلة:

- تفضل بالانتظار خارجًا... يا حضرة الحكيم.

تلكأ الحكيم لبرهة، استشفت الأستاذة حسناء خلالها سر تردده، فأمسكت بورقة من على مكتبها، وخطت عليها بعض الكلمات بعجالة، وقالت:

- لا حاجة للانتظار، يا حضرة الحكيم... خذ هذه الورقة إلى الإدارة المالية، وسيقومون بصرف مكافأتك.

انتظرت دوجانا حتى غادر الحكيم لاستلام مكافأته، ثم أغلقت الباب وراءه، وقالت بحزم:

- لم يخطر ببال زملائك وجود أجهزة المراقبة.

- ليست أجهزة، بل جهاز واحد، هنا في مكتبي.

وأضافت بتأكيد:

- إنه مكتبي الخاص، وهذا من حقي.

- كلا... ليس من حقك.

تراجعت مذهولة من حدة صراخها وغضبها، وذلك الانفعال الذي ظهر

- عدسة الجهاز لا تقتصر على تصويرك وحدك، بل تلتقط أيضًا صور وأحاديث موكلي المكتب، وهذا خارج نطاق حقوقك.

- الأطباء النفسيون يسجلون جلسات مرضاهم أيضًا.

- بعلمهم وموافقتهم.

نظرت إليها للحظات في صمت، وعيناها تعبران عن حزن عميق ولوم شديد، ثم سرعان ما أدارت وجهها بعيدًا عنها، وهي تتمتم:

- أوصي الفنيين بفحص عدسة المراقبة بدقة، وسيخبرونكِ بأنها مصممة لتعمل بالتزامن مع إطفاء الأضواء في المكتب، فما أن تُطفأ الأضواء حتى تبدأ بالتسجيل فورًا.

وعندما رفعت بصرها إليها مجددًا، كانت عيناها تمتلئان بالدموع، وهي تضيف بمرارة:

- ولا أظنكِ تتهمينني بأنني أستقبل الموكلين في ظلمة الليل.

تمزقت أوصال قلبها ببحر دموعها، وبينما تتساقط القطرات كاللآلئ المنثورة، كانت تبتلع ريقها بمشقة، وصوتها يتهدج، محافظة على وقارها بالكاد:

- وما خبر جهاز التنصت الخفي... المستتر تحت زوايا طاولة مكتبكِ؟!

توسعت مقلتاها حتى كادتا تقفزان من محجريهما، وهي تصرخ برعب

مختلطا بالدهشة:

- جهاز تنصت؟!... أقسم لك برب النور الذي لا يُطفأ...، أن لا خبر لي بوجود أي جهاز تنصت هنا.

واكفهر وجه مساعِدة المحقق ألدرن، وبدأت عروق جبهتها تنبض بتوتر واضح... إذ ما أفصحت به يعصف بكل المعطيات، ويقلبها عاليها سافلها، بلا ريب...

***

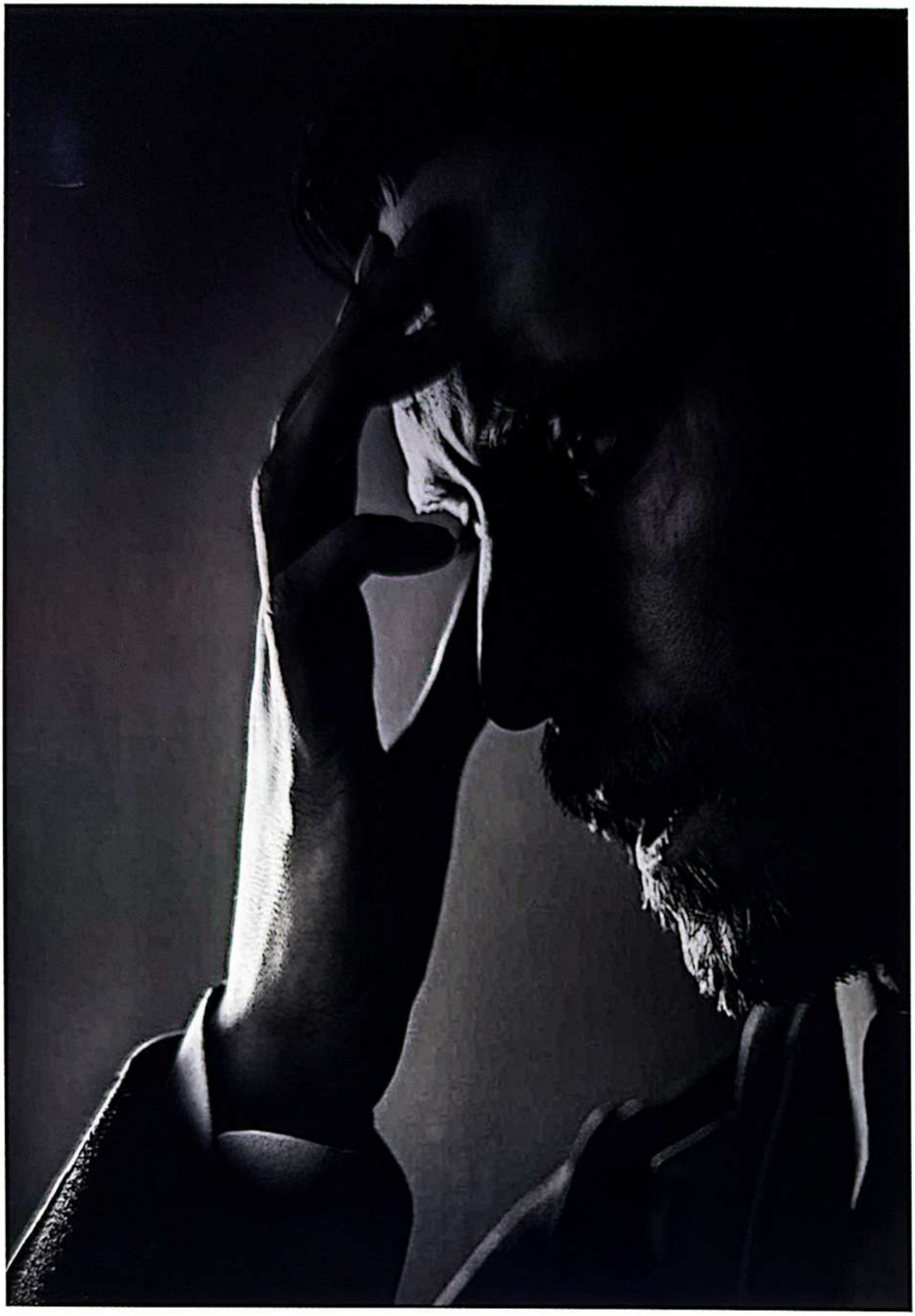

- لن أستطيع يا عبير..

صرخ بها المحقق ألدرن بنبرة متوترة، موجهًا كلماته نحو الدكتورة عبير،

وهما يندفعان في سيارته، متجهين صوب قسم البحث الجنائي.

وفي لحظة اختناق... استجمعت الدكتورة عبير أنفاسها العميقة، وأفصحت:

- ذلك الاتصال الماكر الذي أجراه السفاح معك... ما هو إلا فصل من جولته الملتوية... يهدف إلى استثارتك، وتفتيت ما تبقى من صلابة أعصابك، ليجرك إلى مصيدته.

ثم أردفت:

- «في لوحة الشطرنج الكبيرة للحياة، قد تجد النفس مثل الملك المحاصر، تتحرك خطوة واحدة في كل مرة، محاولةً تجنب الخطر، لكن الانتصار يكمن في الصبر والتحليل الدقيق لكل حركة».

انفجر المحقق ألدرن قائلًا:

- ذلك السفاح يفاخر بأن خالتي بين يديه، ويتوعد بإرسال أنيابها ورأسها إلّي في أي لحظة... أطلق هذا الإعلان دون انتظار رد، مصحوبًا بضحكته الساخرة الدنيئة، قبل أن يغلق الخط.

- وبذلك... فقدت أنت رباطة جأشك، وأقدمت على مواصلة المطاردة، رغم كل التحذيرات التي أسديتها إليك.

- ما تطرحينه ليس سوى تكهنات نظرية يا عبير... قد تكونين متمرسة

حقًا، وساعدتِني في مواقف عدة، وأنتِ فعلًا متخصصة في علم نفس الجريمة والانفصام، لكنني أدرك خبايا الإجرام بحد ذاتها، وبيننا فجوة عميقة.

- ألم تقل بأنك لم تصادف قط سفاحًا متسلسلًا كهذا ولا شك بأنه ليس بيدوفيليًا.

عقد المحقق ألدرن حاجبيه، وهو يقول بغضب مكتوم:

- خالتي... شقيقة والدتي... الآن تحت رحمته.

قالت الدكتورة عبير محاولةً تهدئة الأمور:

- ثق بي يا ألدرن... ولو لمرة واحدة، كما في الأيام الخوالي، أقسم لك إنه لن يجرؤ على المساس بها و...

قطع حديثها صوت إشعار من هاتف المحقق ألدرن يعلن عن وصول رسالة متعددة الوسائط.

فانتزع المحقق ألدرن الهاتف بتلهف، وضغط على زر العرض، وما أن ألقى نظرة على الصورة الرقمية التي وصلته عبر هاتف خالته حتى تسعرت عيناه بالذهول، وداس على الفرامل بكل قوته، مما كاد يفقد السيارة توازنها، فالصورة كانت مروعة جدًا، بشكل لا يمكن تخيله أبدًا...

الفصل الثالث عشر

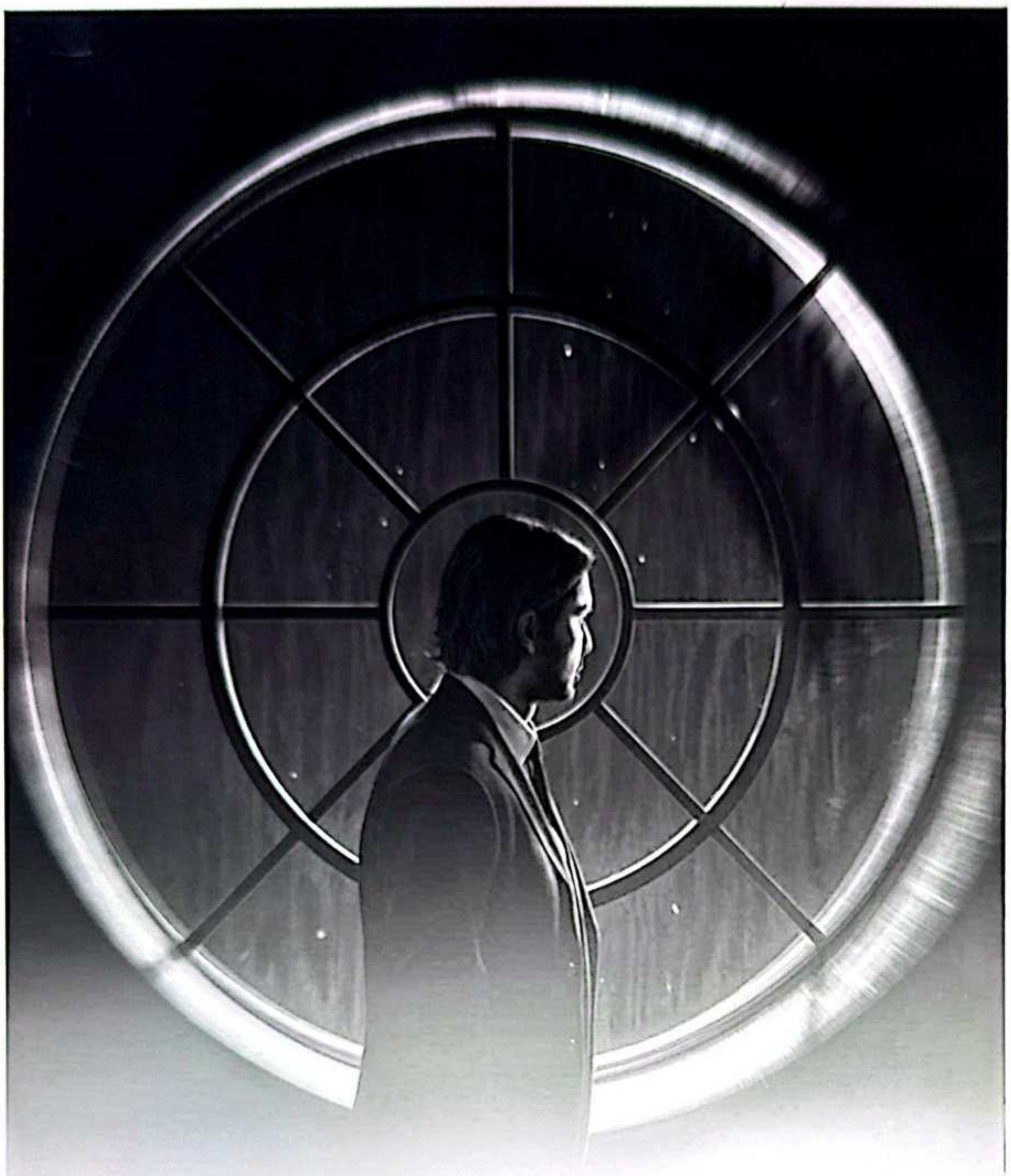

13

خطوة واحدة في كل مرة

- أين أنا؟!

هتفت نزرية خالة المحقق ألدرن بتلك الكلمات وهي تنتشل وعيها من غياهب النسيان، لترمق بنظراتها المرتعدة طيفًا يتراقص أمامها.

عيناها المتسعتان برعب، تحدقان مجددًا نحو ذاك السفاح ذي الظل الشاحب، الذي يتمايل بين أرجاء العيادة الطبية، متجاهلًا وجودها كأنها ظلٌ لا يُرى.

كانت الأرجاء تنضح بالهلع، وتنبعث منها نفحات المنون، والأرضية تتلطخ بلطائف دماء قد جفت وهناك، عند محيط ذلك السرير الطبي، تتربع أدوات جراحية مهجورة، يتخللها مقلع طبي وأدوات أخرى تنضح بالغرابة بينما نزرية، ترتجف في رعب وهي تتأملها، تحاول أن تستجمع شتات إرادتها المتبقية لتنطق بصوت يرتجف كأوراق الخريف:

- ألدرن لن يدعك تفلت من بين يديه... إن لحق بي سوء.

ابتسم السفاح ابتسامة ماكرة، وهو يلوي عنقه نحوها ببطء، بحركة تجعلها تنكمش في زاوية تلك الزنزانة الحديدية التي حبسها فيها، ويميل برأسه نحوها حتى يكاد أنفه يلامس قضبان القفص، ويهمس:

- لو أقدم ابن أختكِ على القدوم إلى هنا، فإنه سيصطدم بما لا طاقة له به.

وبسكينة، أمسك بقضيبين من قضبان الزنزانة، ودفعهما جانبًا، فانثنيا تحت قوة دفعه كأنهما من الشمع، ثم عاد يضغطهما، فيعودان إلى مكانهما كما كانا.

وأطلقت نزرية شهقة، وهي ترتجف بقوة من هول المشهد الذي تراه، قائلة:

- يا لك من شيطان رجيم!

انفجر السفاح بضحكة هستيرية، وكأن الوصف قد أمتعه، وتراجع مبتعدًا عن الزنزانة، واستند إلى معمله بأنابيبه الملونة ومحاقنه الزجاجية، فصرخت نزرية:

- ماذا تريد منا بالضبط؟!

اعتدل السفاح فجأة، وقال بنبرة وحشية:

- ابن أختكِ.

ثم مال نحوها مجددًا، وعيناه تبرقان كجمرتين من نار جهنم:

- المحقق ألدرن، أو بالأحرى... المحقق كونان.

ترقرق اللعاب في فمها، ثم قالت بنبرة حاولت أن تجعلها قوية وحازمة،

لكنها خرجت متزعزعة ومرتجفة:

- ما دام المحقق كونان، فإنه سيجدك لا محالة.

أطلق السفاح ضحكة مستهزئة أخرى، قبل أن يقول بوحشية:

- لا تعولي على هذا اللقب، كما فعل الآخرون... لقد خلفت له ألف أثر، يمكن أن يقوده إلَي، ولكنه لم يستطع.

ومال نحوها في حركة مفاجئة جعلتها تتراجع مطلقة صرخة رعب، وهو يضيف بوحشية أشد:

- لأنه ليس إلا سرابًا محظوظًا لم يعتد مواجهة من هم أعظم منه.

- ألدرن أعظم رجل في العالم.

- ربما لأنكِ لم تعرفي سواه في هذا الكون الصغير.

ثم أشار إلى معمله، قائلًا:

- ألم تتساءلي، لماذا هذا المعمل، ولماذا هذه الأجهزة المعقدة؟!

استسلمت نزرية للهدوء الرهيب، وعيناها تتسعان في فزع، ترنو إليه من وراء قضبان الزنزانة، بينما لم يكترث لصمتها المتجمد، مواصلًا بنبرة هستيرية:

- ها هي ذي اختراعاتي الفذة... الأدوات السرية التي ستشهد ولادة أروع إكسير شهدته الإنسانية على مر العصور.

تقلصت نزرية في زاويتها، تتلوى في قلق، وهي تدرك أنها وقعت في فخ عالم مجنون، بينما استرسل هو بفخر متوحش:

- الإكسير الذي طال انتظاره منذ أن خطا الإنسان أولى خطواته على هذه الأرض... إكسير النشوة والمتعة، والبقاء الأبدي.

برقت عيناه بلمعان مرعب، يتراقص فيهما الجنون، وهو يتجول في أرجاء المعمل بحيوية مفرطة، مضيفًا:

- جرعة واحدة فحسب، تُحقن في شرايينك، تغمرك بلذة لا تنقضي وتحيل خلاياك إلى صخور صلدة، لا يمكن لشيء أن يذيبها.

وتمايل بقامته، واقفًا في قلب العيادة، وهو يعلو صوته:

- حتى الموت لن يقوى عليها.

همسَت بصوت مختنق بالهلع:

- لا أحد يغلب الموت... الموت يطالنا وإن اختبأنا خلف أسوار عالية.

فانفجر صائحًا بجنون:

- يطال البشر فقط!!

ثم انحنى نحوها مجددًا، مستطردًا:

- وأنا لستُ منهم.

تلألأت عيناه بوميض متوحش يبعث الرعب، مما دفعها للتراجع، فصرخت:

- أنت شيطان رجيم.

- هذا ما يردده الأغبياء مثلكِ.

ثم قفز نحو جدار مبلل، علق عليه ساطور قديم، ذو نصل محدب، وأمسكه بسرعة، ملوحًا به في الهواء، مضاعفًا رعبها أضعافًا مضاعفة، قبل أن يعلن مشيراً إلى نفسه:

- هذا الجسم لا يمكن أن يُهلك... إنه يَقلع الأنياب ويقطع الرؤوس، ولا يوجد من يستطيع أن يُضاهيني.

بينما الهلع يلف الأرجاء بستاره المرعب، انقلبت حالته من هياج عارم يعصف بالأرواح، إلى نشوة متوحشة تعتصر القلوب، وبصوت يملؤه الغموض، وجه إليها السؤال:

- أوَلم تتعجبي كسائر الخلق... أنه من دون أنياب، لا تنسج الأعصاب لوحة من الألم، فما خفاياها إذًا؟!

همست بصوت مبحوح بالفزع:

- أنياب؟!...أعصاب؟!

انفجر بضحكة هستيرية تخترق صمت الظلام، ثم مد يده إلى ذراع

حديدية، كان ذلك الساطور يسترها، فتحركت أجزاء من الجدار كأنها خدعة بصرية، وأغلقت نزرية عينيها بكل ما أوتيت من قوة، محاولة إخفاء محيطها، وهي تصدر صرخة مدوية تعلو بها أصداء الرعب، فما وقعت عليه عيناها، كان أشد المناظر هولًا التي لا يمكن أن تصادفها البشرية عبر العصور والأزمان..

***

في أعماق مختبر الأدلة الجنائية، حيث، ينهمك الخبراء في عملهم، والجدية تطغى على ملامحهم والزمن ينساب بثقل، وكل دقة من عقارب الساعة تحمل وقع الإلحاح والقلق.

اندفع المحقق ألدرن في غضب عارم داخل مختبر الأدلة الجنائية، وهو يصرخ متوترًا:

- أطلب فحص كل بكسل في هذه اللقطة... أرغب في فك رموز هذه العبارات، وماذا عن سجل التتبع للمكالمة التي أرسلت هذه الصورة إلّي؟!

همس أحد خبراء الأدلة الجنائية بصوت خافت:

- سيصل التقرير خلال لحظات يا حضرة المحقق... أرجوك، تمالك أعصابك، ففقدك للسيطرة لا يساعدنا في أداء مهامنا على الوجه الأكمل.

رددت الدكتورة عبير وهي جالسة في زاوية المختبر:

- أوافقهم الرأي.

نظر إليها المحقق ألدرن، قائلًا:

- عبير!!... أرجوكِ الصمت لبرهة، واحتفظي بتشخيصاتكِ الطبية لنفسكِ، لقد شاهدتُ صورة خالتي محبوسة داخل زنزانة حديدية كالوحوش، وعلى الجدران عبارات محفورة تقول: «كل حدث له زمان مقدر، لا الأنياب تُقلع قبل أوانها، ولا الرؤوس تُقطع قبل حينها، قدرك سيأتي لا محالة»...

والفزع يعتصر ملامحها، فكيف تطلبين مني السكينة بعد كل هذا؟!

- السكون الذي يتطلبه الوضع الذي نحن فيه الآن.

توقف المحقق ألدرن لبرهة... أغلق خلالها عينيه بقوة، ثم فتحهما مجددًا، قائلًا بحزم:

- سأجتهد قدر استطاعتي.

همست الدكتورة عبير بحذر:

- لعل قرصًا مهدئًا يكون...

قاطعها المحقق ألدرن بحدة:

- لا... أبدًا.

ثم انحنى نحوها، متابعًا بتوتر:

- في المرة الأخيرة التي استرحت فيها، استفقت على رأس وكيل وزارة الداخلية موضوعًا على مكتبي.

واستقام بجدية، مضيفًا بتوتر أشد:

- ولن أكون مستعدًا هذه المرة لأستيقظ على رأس خالتي.

شحب وجه الدكتورة عبير من الفكرة، وكادت تنطق بشيء، لكن صوت أحد خبراء الأدلة الجنائية ارتفع، قائلًا:

- إنها عيادة طبية قديمة.

التفت إليه المحقق ألدرن بلهفة، متسائلًا بانفعال:

- عيادة طبية قديمة؟!

أومأ الخبير نحو الصورة الرقمية على الشاشة، موضحًا:

- لقد قمت برفع جودة الخلفية، فظهرت حجارة الجدران بوضوح أكبر، انظر يا حضرة المحقق، هذا النمط من الحجارة ينتمي لعهد غابر، يعود تاريخه لأكثر من مئة عام على الأرجح، وانظر إلى تلك الشقوق في زوايا الحجارة.

سأله المحقق ألدرن بفضول وانفعال:

- ما معنى ذلك؟!

- هذه الشقوق تنشأ عادةً بسبب التقلبات الحرارية العنيفة، قد تتعرض

الجدران والأسقف للتصدع والتآكل.

- وما الدلالة وراء ذلك؟!

- إن العيادة الطبية تقبع في أرض تلظى بلهيب شمسها وتفيض بالأمواج الرملية.

استقام المحقق ألدرن في مقعده، متمتمًا بصوتٍ يكاد يُسمع:

- لعلها تكمن في أحضان صحراء الربع الخالي الواسعة!

- رُبما.

ظهرت على محيا المحقق ألدرن سحب التأمل الكثيفة، حتى أن الدكتورة عبير انحنت قليلًا نحوه، تستفسر بشغف:

- ما الذي يشغل بالك يا حضرة المحقق كونان؟!

ثم أردفت:

- قبل أن تقدم على فعل شيء تذكر يا ألدرن أن «**الملك في رقعة الشطرنج يتحرك خطوة واحدة في كل مرة، لكن عندما يتحرك، يغير مصير اللعبة بأكملها**».

أهمل المحقق ألدرن كلماتها تلك، وهو يغرق أكثر في بحر التفكير، و... وفجأة، خرق صمت المختبر دوي هاتفه المحمول، لقد كان غارقًا في أفكاره، حتى أن جسده قفز متشنجًا مع صدى الرنين، ثم انقضت يده

ليخطف الهاتف برشاقة، وهو ينطق بتوتر:

- ما الأمر يا دوجانا؟!

ردت دوجانا من الطرف الآخر بتوتر مماثل:

- يا حضرة المحقق... حسناء بريئة من زرع جهاز التنصت الذي اكتُشف في مكتبها.

زمَّ جبين المحقق ألدرن بقوة، وهمس بصوت كاد يُسمع:

- بريئة؟!

- لقد كان يتنصت على كل كلمة نطقنا بها يا حضرة المحقق، والأدهى من ذلك قادم.

أعاد المحقق ألدرن الكلمات بصوت جاف:

- الأدهى؟!

- وجدنا أجهزة مشابهة في منزل صديقة خالتك نزرية، و... وفي مكتبك أيضًا يا حضرة المحقق.

تفاقمت تجاعيد الغضب على جبين المحقق ألدرن، وهو يصيح:

- في مكتبي؟!

كان واضحًا أنه يكافح ليحتفظ بتماسكه، قبل أن يسأل دوجانا بحزم:

- هل وجدتِ أثرًا لجاسم؟!

- لم نجده بعد... لكنْ هناك خيوط قد تقودني إليه.

- افعلي ما في وسعكِ... وأما أنا فسأتعقب المشتبه الذي أزاحنا جميعًا عن مسرح الأحداث منذ البدء.

كانت دوجانا تود الاستفسار عن هوية المشتبه، لكنه قطع الاتصال ومد يده لورقة، خط عليها اسمًا، ثم قدمها لأحد الخبراء، قائلًا بكل جدية:

- استخرج كل ما يمكن عن هذا الرجل.

ثم أردف وهو يهمس بينه وبين نفسه قائلًا:

- لقد حان الوقت لتغيير مصير هذه اللعبة... وبخطوة واحدة.

لم تستطع الدكتورة عبير فهم ما يرمي إليه المحقق ألدرن ولا كتمان فضولها، فقامت من مقعدها، لترى الاسم الذي دوّنه المحقق ألدرن على الورقة... ولكن المحقق ألدرن منعها من ذلك، فارتسمت على وجهها علامات الدهشة الشديدة جدًّا جراء ما فعله معها...

***

- هنا؟!

تلك الأحرف خرجت مترددة من بين شفتي الأستاذة حسناء، وهي تقف متحيرة أمام مساعِدة المحقق ألدرن، التي رمقتها بنظرة حادة قائلة:

- أتملكين دليلًا يقودنا إلى مكمنه؟!

أجابت الأُستاذة حسناء بصوت خافت يكاد يُسمع:

- نعم، لكن...

وقد تهاوى صوتها عند تلك النقطة، لتنفجر بعدها قائلة بتأكيد:

- إن الأستاذ جاسم لا يمكن أن يكون ذلك السفاح.

ردت عليها مساعِدة المحقق ألدرن بحدة:

- وما الذي يدفعكِ للدفاع عنه بهذه القوة؟!

- لأنني على يقين من براءته!...

وفجأة، انهمرت دموعها، مُذيبةً جدار الصلابة الذي بنته حول نفسها، وهي تتابع:

- قد يكون جبانًا، خائفًا من أن تُلقى عليه التهم جزافًا، فاختار الهروب، لكنه ليس السفاح، هذا ما أومن به.

- هل هذا لأنه رئيسكِ في العمل فقط؟!

هزت حسناء رأسها بنفي قاطع، وأجابت بصوت متحمس:

- بل لأنه كان يملك القدرة على الوصول إلى أي معلومة يشاء، دون الحاجة إلى كل هذه الدراما... إنه صاحب المكتب، لا تنسي ذلك.

- ربما لم يرغب في أن يعرف أحد بحصوله على تلك المعلومات... أتفهمين ما أعنيه؟

ومن دون سابق إنذار انهمرت دموعها بغزارة، مما دفع دوجانا للسؤال بعطف:

- ولكن، لماذا هذا البكاء الشديد؟!... هل، هل تكنين له مشاعر؟!

أطلقت دوجانا السؤال بتوتر شديد، فردت حسناء بانفعال:

- كلا، بالتأكيد لا.

- ...

- لا أحبه، ولكنني أكن له كل الاحترام والتقدير، فبفضله أنا هنا اليوم، ولن أنسى يد العون التي مدّها لي عندما كنت على شفا الهاوية لقد تعرفت عليه في (وزارة الصحة)، في أحد الأيام التي كنت أزورها لاستلام عمولتي منهم، فهو المسؤول عن توقيع العقود، وعندما أخبرته بظروف شقيقتي المادية، عرض عليّ العمل كمستشارة لديه وأنـ...

وفجأة، قطع رنين هاتف دوجانا المحمول حديث الأستاذة حسناء، فأجابت بسرعة وهي تقول بتوتر:

- إنه المحقق ألدرن.

ثم أردفت:

- هل من جديد يا حضرة المحقق؟!

لم يجب المحقق ألدرن على سؤالها، بل سألها بانفعال:

- هل تعرفين أي ملف هو الذي استولى عليه ذلك السفاح من مكتب الأستاذ جاسم؟!

كان صوته عبر الهاتف مرتفعًا، حتى أن الأستاذة حسناء سمعته، فأجابت بسرعة:

- ملف العيادة الطبية الخاص بشقيقتي.

سمع المحقق ألدرن صوت الأستاذة حسناء عبر الهاتف... فصمت للحظة، وكأنما أثار فضوله وجودها هناك، ثم قال بجدية:

- هذا ما كنت أخشاه.

وأضاف بحزم:

- الآن استمعي إلّي جيدًا يا دوجانا، ونفذي التعليمات كما آمركِ، دون أي تغيير.

وهمس بصوت خافت، مكملًا:

- وأبعدي الأستاذة عنكِ... لا أريد لأحد أن يسمع هذا سواكِ.

أومأت دوجانا للأستاذة حسناء بالابتعاد واستمعت إلى المحقق ألدرن بانتباه.

ومن بعيد، راقبتها الأستاذة حسناء، وزمَّت جبينها بقلق، فتعابير وجه دوجانا كانت تشي بأن ما تسمعه يثير فيها الدهشة، والقلق إلى أقصى الحدود...

***

في أعماق صحراء (الربع الخالي) الساحرة، وتحديدًا في ربوع قرية (ذعبلوتن) النائية، حيث السكون يخيم على كل شيء، انتفض حكيم القرية مستقبلًا المحقق ألدرن في ساحة العيادة الطبية للدكتورة خنساء، وهو يهمس بصوت متهدج:

- لبيت النداء كما أوصيت، يا حضرة المحقق...

لم تكن ابتسامة المحقق ألدرن تلك الابتسامة المعهودة، إذ بدت مشوبة بنبرة غامضة، وهو يعقب:

- إنه الوقت الموعود الذي كنت أرقبه منك... يا حضرة الحكيم.

رمقه الحكيم بنظرات متسائلة ملؤها القلق، قبل أن يستفسر:

- ما الأمر الذي يجلبك، يا حضرة المحقق؟!

أغفل المحقق ألدرن استفساره برمته، واسترسل قائلًا:

- كم من الأعوام مضت وأنت تحمي هذه العيادة بجانب مهامك النبيلة، يا حضرة الحكيم؟!

ظهرت على محيا الحكيم علامات التحير لبرهة، كأن السؤال ألقى به في بحر من الدهشة، ثم لم يلبث أن رد بصوت خافت مضطرب:

- منذ أزمان بعيدة... يا حضرة المحقق.

انحنى المحقق ألدرن نحوه، مستفسراً:

- ألا تذكر تلك الأزمان بدقة؟!

تعاظمت حيرة الحكيم وهو يرى في عينيه انعكاسًا للبس الأمور، فاستوى المحقق ألدرن واقفًا وقال مردفًا بحزم:

- هل كان ذلك قبل رحيل الدكتورة خنساء أم بعده؟!

- لقد كنت أفعل ذلك منذ أن كانت هنا، وأختها كانت تتلقى العلم في المدينة، فلم ترق لها حياة القرى، ولذا تجدها أحيانًا لا تحتملني، ولكنها سخية جدًّا، تمنحني بعض المكافأة تقديرًا لما أبذله، رغم اعتراضي..

ثم تابع:

- إنني أحمي القرية بأسرها، لا العيادة وحسب، فهذا من شيم الحكماء، وأنا منهم.

شد المحقق ألدرن قامته، وسأله بحزم أشد:

- إذًا أنت تعرف الدكتورة خنساء عن كثب.

تأمله الحكيم لحظات في صمت، ثم أجاب بصوت خافت:

- لم تطأ قدماي محرابها منذ سنوات، ولكن...

قاطعه المحقق ألدرن بصرامة:

- وما الذي حال دون رؤيتك لها طوال هذه السنوات؟!

بلغت حيرة الحكيم ذروتها، وهو يرد:

- أخبرتك... يا حضرة المحقق، بأنها قد هاجرت.

اشتدّت قسمات وجه المحقق ألدرن وهو يعقب بتأكيد:

- هذا غير صحيح.

نظر إليه الحكيم بعينين متسعتين ملؤهما الحيرة، فأضاف المحقق ألدرن بصرامة:

- كل الوثائق الرسمية تشهد بأن الدكتورة خنساء لم تبرح حدود

الوطن قط.

تحديق حكيم القرية ازداد حدة، قبل أن يرد بتوتر:

- لكن يا حضرة المحقق، إن كانت لم ترحل، فأين عساها أن تكون؟!

انحنى المحقق ألدرن نحوه، قائلًا بصرامة مطلقة:

- هذا بالضبط ما جئت لأستجليه منك.

تراجع حكيم القرية كأنما أصابه صاعق، وهو يقول:

- وما علاقتي أنا بذلك... يا حضرة المحقق؟!

ظهر المحقق ألدرن بمظهر الشراسة، وهو يقول:

- متى كانت آخر مرة تواصلت فيها الدكتورة خنساء معك، يا حضرة الحكيم؟!

- لم تفعل قط، يا حضرة المحقق... من أكون حتى تتصل بي مباشرة؟!

اقترب منه المحقق ألدرن بشراسة أعظم، وهو يقول:

- استمع جيدًا، يا حضرة الحكيم... لقد اطلعت على ملف الدكتورة خنساء بنفسي، وكان يحوي صورة لهويتها القديمة وصورة لعقدٍ ما، وعندما تأملت ذلك العقد، انجلى لي كل شيء، وتبدد اللغز، و...

قطع حديثه فجأة، مع تلك النظرة المرعبة التي برزت من عيني حكيم

القرية وهو يتراجع كأنما أصابه الصعق، محدقًا في شيء ما، أو شخص ما، خلف المحقق ألدرن تمامًا.

بخطواتٍ متسارعة الوتيرة، انتزع المحقق ألدرن مسدسه من جرابه بمهارة فائقة، ودار على عقبيه نحو المكان الذي كان يرمقه حكيم القرية بنظراتٍ ثاقبة.

وإذ بضربة مباغتة، قاسية كالصخرة، تهوي على قافيته، فتهتز أركان عقله في تجويف الجمجمة، وينهار.

انهار جسده الآيل للسقوط في ساحة العيادة الطبية التابعة للدكتورة خنساء، ليغيب عن الوعي... بصورة مطلقة...

الفصل الرابع عشر والأخير

14

كش ملك

بكل حذر. . .دفع الأستاذ جاسم باب الشقة الضيقة المتاخمة لمسكنه، وأطل بربع وجهه خارجًا، وهو يهمس بقلق مكتوم:

- أستاذة حسناء؟!. . . كيف استدللتِ على مكاني هنا؟!

ردت الأستاذة حسناء بصوتٍ مطمئن:

- منذ عدة أشهر، ذكرت لي عن هذه الغرفة، التي استأجرتها بجوار منزلك لتنعم بلحظات العزلة.

- ولماذا جئتِ؟!

فُجع الأستاذ جاسم بظهور مساعِدة المحقق ألدرن تفتح الباب بعنف، وهي تقول بجدية:

- أنا من أحضرتها.

تراجع الأستاذ جاسم بقلق، وصرخ:

- ما الذي ترغبان به مني؟!

دفعته دوجانا أمامها بقوة، وهي تصيح به:

- لماذا فررت يا جاسم؟!

صرخ مدير مكتب المحاماة بوزارة الصحة بذعر:

- لأنكم ستحملونني وزر الجرم.

- ولماذا نُقدم على ذلك، إن لم تكن ملوثًا بالذنب؟!

- ذلك المحقق يبغضني... ألم تشهدي ذلك بعينيكِ؟!

قالت الأستاذة حسناء بغضب:

- الأستاذ جاسم بريء، لقد أفصحت لكِ بذلك مرارًا وتكرارًا يا دوجانا.

قالت دوجانا بثبات وهي تقيد يدي الأستاذ جاسم:

- إذًا ليبرهن على براءته.

- لقد قرأت في أحد بنود الأنظمة القانونية أن الحجة على من ادعى وأنتِ من تتهمينه، فعليكِ بالتالي حمل ثقل الإثبات، وليس عليه أن يدحض عن نفسه اتهامًا، لا يستند إلى برهان.

- لماذا إذًا أمرني حضرة المحقق بالبحث عن جاسم واعتقاله؟!

- لا تغفلي أن نبرة صوته عبر الهاتف كانت مرتفعة، بخلاف المعتاد.

توقفت دوجانا وسألتها بقلق:

- إلى ماذا تلمحين؟!

- ألمح إلى أن المحقق ألدرن ربما لم يكن ينوي إخباركِ بذلك في الأصل،

2575565132

بل كان يرتاب في وجود جهاز تنصت آخر، فأراد أن يبلغكِ ما يرغب أن يسمعه ذلك السفاح.

تجهمت ملامح دوجانا واسترجعت لمجأة مشهد المحقق ألدرن وهو يتحدث عن خطة الإيقاع بذلك السفاح بصوت مرتفع في بهو قسم البحث الجنائي، هذا ما فعله معها بالضبط، الطريقة نفسها والغاية نفسها.

أن تصل الرسالة إلى السفاح... إنه أراد أن يوهمه بأنهم يستهدفون الأستاذ جاسم ويعتقدون أنه هو السفاح... وهذا يعني أن الأستاذ جاسم ليس هو القاتل حقًّا، كما أكدت الأستاذة حسناء...

- فمن يكون القاتل إذًا؟!... وأين اختفى المحقق ألدرن يا تُرى؟!

كل هذه الأسئلة كانت تتردد في ذهن دوجانا وهي مشوشة وضائعة في بحر التساؤلات والأفكار...

***

في زاوية موحشة من العالم... الظلمات تعانق الأرجاء، وتنبعث منها رائحة رطبة تشبه رائحة الأرض بعد المطر، وتكتظ بالأدوات الجراحية التي تذكر بمعدات طب الأسنان، وكذلك تحيط بها أجهزة مخبرية متناثرة، والأتربة تتطاير في كل مكان.

وخيالات تتحرك في الخفاء، وبتؤدة، بدأت ذهنية المحقق ألدرن تتضح، وهو يتنقل بين اليقظة والغفوة، ممددًا على سرير طبي، وفجأة، دون

مقدمات، اخترقت سكون الليل صرخة مكتومة، دوى لها فؤاده.

صوت نحيب مكتوم، توقف للحظات، يحاول تمييز ذلك الصوت، فتبين له أنه نحيب خالته نزرية، ومع الصوت الذي أزعج روحه، فتح ألدرن عينيه، وأبصر... أبصر نفسه داخل عيادة طبية مهجورة، الجدران صلبة... والرمال... والهواء العليل، المحمل بعبق الموت والحياة... وعلى أحد الجدران، يتدلى ساطور ذو نصل محدب، يحكي قصصًا من العصور البائدة.

وذلك السفاح... كان يتمايل قريبًا منه، مديرًا ظهره، وفي أعماق المحقق ألدرن، انتفضت غريزة ما، وهو يراقب، على بعد خطوات من ذلك السفاح.

خالته محتجزة داخل زنزانة حديدية، كتلك التي رآها داخل الهاتف المحمول.

حيث تنظر إليه بعينين تغرقان في بحر من اليأس، تستغيث بصمت، وبكل ما تبقى له من قوة، همس:

- خالتي... هل أنتِ بخير؟!

أجابته خالته وسط بحر من الدموع:

- أنا بخير حتى اللحظة، ولكن...

قاطعها ذلك السفاح، وهو يلتفت إلى المحقق ألدرن بنبرة ملؤها السخرية والتهكم:

- ولكن رائحة الموت تفوح في المكان بالفعل.

أدار المحقق ألدرن رأسه نحو السفاح، الذي يرتدي معطفًا أبيض ملطخًا بالأوساخ والدماء مانحًا إياه هيئة مروعة، وكان يغطي نصف وجهه بقناع طبي، وتابع بصوت مبحوح:

- أظن أن الوقت قد حان لتقر بأنك لا تمتلك العبقرية التي ينسبونها إليك أيها المحقق كونان.

- وأنت لا تمتلك الدهاء الذي تتوهمه يا هذا.

انفجر السفاح بقهقهة مستهزئة موجزة، وبريق عينيه يشع بلمعان ماكر، مائلًا نحوه بصوت خافت:

- إن دليل فشل فريق البحث الجنائي في الإمساك بي، رغم الأدلة الساطعة التي خلفتها... يتجلى أمامكما.

همهم المحقق ألدرن بنبرة منخفضة:

- تظن ذلك؟!

- إنها قناعتي الراسخة.

تجمد المحقق ألدرن لبرهة، يتنقل بنظره بين خالته وذلك السفاح، قبل أن ينطق بتؤدة:

- لكل إنسان طاقته المحدودة.

نفض السفاح عباءته، قائلًا:

- هذا يصدق على البشر البسطاء.

تألقت عيناه بحدة، مضيفًا:

- ولست من البشر البسطاء.

تمتمت نزرية بصوت محتقر، وهي ترمقه بنظرة ثاقبة:

- أنت لست سوى شيطان رجيم.

ابتسم السفاح بابتسامة متعجرفة، متفاخرًا:

- هذا ما يردده الأغبياء مثلك.

أطلق المحقق ألدرن كلماته بحزم مفاجئ:

- هل تألمت كثيراً من زوجتك، حتى بلغت هذا الحد؟!

تحولت ملامح ذلك السفاح فجأة بعد سؤال المحقق ألدرن، وامتلأ وجهه بالازدراء، وهو يجيب بوحشية:

- لقد قامت بسرقتي ولم تؤمن قط بأن زوجها يفوقها عبقرية.

- أو جنونًا.

تطايرت شرارات من عيني ذلك السفاح، وهو يرمقه بنظرة متقدة، قبل أن يلوح بذراعه حوله، صائحًا:

- وهل يستطيع «المجنون» مثلي فعل هذا؟!

تساءل المحقق ألدرن بلهجة ساخرة، مما أذهل خالته وأثار توترها وخوفها:

- القتل؟!... كل مختل عقليًا يستطيع ذلك.

انحنى ذاك السفاح نحوه بحركة مفاجئة، معلنًا:

- بل أن يهب نفسه البقاء الأبدي والنشوة العظمى.

تمايل المحقق ألدرن بشفتيه، مطلقًا كلماته في الفضاء الراكد:

- لو كان عقلك سليمًا... لما أفصحت عن هذه الخزعبلات... البقاء إلى الأبد، لله وحده، يا هذا.

- هذا ما يردده ناقص العقل مثلك.

وبحركة مفاجئة، انحنى نحوه، حتى تلاقت أنفاسهما في صمت مشحون، وأردف قائلًا:

- إنها ثمرة أبحاث علمية، تتحدى أن يدركها حتى ألمع عقول الطب والعلوم... تركيبة فريدة من خلايا الأعصاب والأنياب، ومحلول الإيثيلين، ثم حمض اللاكتيك، ورشة من حمض الهيالورونيك ومحلول الصوديوم، ولمسة أخيرة من السوائل النُّطفية والكالسيوم... باختصار، إنه إكسير الأبدية والنشوة الذي طالما حلم به الإنسان به منذ فجر التاريخ... الإكسير

الذي يشعرك بقوة النشوة والشعور باللذة ألف مرة، ويمنح الخلايا القدرة على تجديد ذاتها في لمح البصر... هل ترى في هذا جنونًا؟!

- بلا شك.

انقبضت ملامح السفاح وهو يحدق فيه بغضب، وأكمل المحقق ألدرن بصوت لا يقبل الجدل، رغم قيوده:

- وهذا لا يبرر اقتلاعك لأنياب ضحاياك.

أطلقت خالته نزرية شهقة عند سماعها ذلك، وانهمرت دموعها في خوف متزايد، مما دفع ذلك السفاح للالتفات نحوها، وهو يقول بعينين تتلألأان بنظرة ماكرة، وكأنه يستمتع بتعذيبها:

- وأنا مستعد لاقتلاع أنيابها أيضًا إن شئت.

تراجعت خالته داخل تلك الزنزانة في هلع، فقال المحقق ألدرن بامتعاض:

- أترى كم أنت مسكون بالجنون؟!

برزت نظرة غضب شديدة من عيني ذلك السفاح، وهو يحدق فيه للحظات في صمت، ثم مال نحوه مجددًا، قائلًا:

- إذًا... إن كنت مصرًا على تسميتي بالمجنون، فلأرينك جنوني على حقيقته.

ثم استقام بحركة مفاجئة، وأشار إلى تلك الزنزانة التي تحتوي على خالة

المحقق ألدرن، مضيفًا بنبرة متوحشة:

- هذه الزنزانة تضم من هم أعز على قلبك...

وأضاف بصوت آمر:

- (نجد)!!

لقد استجابت الظلال لنداء ذلك السفاح، حيث من بين أركان العيادة الخافتة... برز ظلٌّ عملاق، أسود كالحالك، يتمايل بعنفوان كأنه وحشٌ من أساطير الزمان الغابرة، عضلاته تنبض بقوة البراكين الخامدة، تتحرك بتناغمٍ يشبه الرقص على إيقاعات الطبيعة الجامحة.

إذ من مخبئه المظلم، اندفع كالبرق الخاطف، خطواته تهز الأرض وتوقظ الغبار النائم على وجه الليل الساكن.

عيناه تلمعان بحمرة اللهب، كزوجين من الشعلات التي تتأجج بلهيب الفزع ونفسه الثقيل يقطع هدوء الفضاء بأنيابه الحادة كحد السيف، يعلن عن مخلوقٍ لا يعترف بالخوف، سيدٌ للظلمات، يستمد قوته من أغوار الأرض الباطنة.

وتتهادى أسفل عنقه قلادةٌ يعانقها الذهب، وتستقر في قلبها تميمةٌ فولاذية، تحمل في ثناياها أرقامًا متتاليةً تنطق بالغموض، محفورةً بعددٍ ثلاثيٍّ متماثل «888»

لم يكن مجرد كائن عادي بل خنزيرًا بريًّا أسود اللون، وكأنما كان حاكمًا للعيادة ليلًا.

اقترب ذلك الخنزير البري المسمى نجد من السفاح، فنظر إليه الأخير بعينين تتقدان بالاعتزاز والإجلال، وتشتعل ملامحه بالفتوة، وتتدفق من صوته نبرات القسوة، وهو يقول ملوحًا في الهواء:

- هذا هو نجد الذي يحمل في طيات اسمه ألغازًا مبهمة حيث النون «نون، النشوة التي تختال في الأعماق، والجيم «جيم، الجشع الذي لا يرتوي»، والدال «دال الدجى السرمدي»؛ وكما يُعرف بين البشر بالخنزير البري، لكنه ليس إلا قناعًا لما هو أعظم من رحم التجارب العلمية السرية، وُلد نجد مخلوقًا فريدًا يحمل في جيناته خلايا «أسامة» كلب البيتبول المرعب... الذي تحول بفعل تجاربي إلى خنزير بري هجين، يتجاوز حدود الطبيعة والفطرة، وإن كان يُنظر إليه كحيوان دنس، ملوث، إلا أنه يتفوق على البشر بنبل الوفاء وصدق الإخلاص.

قال ذلك وعيناه تتلألأان ببريق مخيف، وقال مردفًا بصوتٍ يشبه همس الريح في ليلة عاصفة:

- الاختيار بين يديك... بين نجد وبين ذلك الساطور ذي النصل المنحني... ليكون أداة لإنهاء حياة خالتك.

انتفضت نزرية برعبٍ مطلق، وأعاد السفاح نظره إلى المحقق ألدرن، وبصوتٍ مفعم بالوحشية والشراسة، قال:

- هيا يا حضرة المحقق كونان، لديك دقيقة واحدة لتقرر، أي سلاح تفضل أن يكون أداة لنهاية خالتك... نجد... أم هذا الساطور ذو النصل المنحني... هيا.

وبمجرد أن أنهى كلماته تلك، انفجرت نزرية بالبكاء، واعتصرتها نوبة رعب لا حدود لها..

***

تحت ظلال الغسق المتربص في الأرجاء، وبينما تتراقص على جدران العيادة الطبية المتهالكة، ألقى ذلك السفاح نظرة خاطفة إلى عقارب ساعته الأزلية، وبصوت يشبه هدير الرعد، أطلق كلماته الجليدية:

- لحظات عشر معدودة تفصلك عن المصير، وما زالت الحيرة تسكن قلبك يا حضرة المحقق كونان.

رفع المحقق ألدرن بصره الثاقب نحو الساطور ذي النصل المنحني الذي يتدلى من الجدار المبلل بعرق الخوف، وبصوت يشبه همس الأرواح، قال:

- أنت تتلذذ بمشاهدة الضحية وهي تتخبط... أليس كذلك؟!

- بل أتلذذ باللحوم البريئة لدى أجساد الصغار.

وأضاف بتهديد مبطن:

- سبع لحظات فحسب تفصلك عن القرار... ولا تظن أن في كلامي مجالًا للخداع... فإن لم تختر، فسأُجبر على استخدام الخيارين معًا.

وبصوت يشوبه الضجر، أجاب المحقق ألدرن:

- كف عن هذه المسرحية يا يامن.

وعندما نطق المحقق ألدرن باسمه، انفجر الدكتور يامن المختص في قسم الطب الشرعي في البحث الجنائي، بضحكة متعالية، وكأنه يسخر من القدر نفسه، قائلًا:

- تأخرت كثيراً في إدراك الحقيقة يا ألدرن.

- لم أتأخر... فكل حدث له زمان مقدر، لا الأنياب تُقلع قبل أوانها، ولا الرؤوس تُقطع قبل حينها، قدرك سيأتي لا محالة.

تجهمت ملامح الدكتور يامن بألم مفاجئ، قائلًا:

- ربما تكون تلك كلماتي.... ولكني وحدي من يملك حق إلقائها في

الوقت المناسب.

ضحك المحقق ألدرن ضحكة مجنونة قائلًا:

- لا تنغمس في الأوهام يا يامن... فكل خيط مَحْوك وكل مصير مرسوم بيد زعيم (الأوربوروس)، ولقد كشفتُ زيفك منذ البدء، إذ كنت تُمعن في تضليلنا بأباطيلك، حينما كنا نُسلمك أنياب ورؤوس الضحايا في قسم الطب الشرعي، ولكن ما لم يكن في الحساب هو اختطافك لخالتي، وهو الأمر الذي أطفأ شعلة الإثارة وأرّق مسار اللعبة قبل أن تدنو من خواتيمها... من أجل ذلك أتيتك بنفسي في ساحة العيادة، لكي تنقلني إلى خانتك الملكية[14]... وها أنت ذا ابتلعت الطعم.

اقترب الدكتور يامن بخطوات محمومة، وبصوت يقطر وحشية، قائلًا:

- هذا ليس بالحقيقة... هذا لا يُعقل.

- بلى... لقد خططنا ومهدنا لك دروب الغواية لنثبت عليك جرمنا الذي لم تقترفه أنت.. فوق جرمك الذي كنت تقترفه، بكل ما أوتينا من مكر ولباقة، كنا نتتبع خطاك في الخفاء، نرصد أنفاسك المتلاحقة في السُّهاد ونحصي دقات قلبك المضطربة، فأنت لم تكن لنا سوى البيدق الذي نحركه كيفما نشاء، مسكونًا باضطراب البيدوفيليا، مما جعلك البيدق المثالي للعبتنا، لقد اضطررنا لفعل كل هذا لأن أسماءنا قد تسربت في العلن، ضمن قائمة (ج.إ)، حيث، في شهر يناير البارد، حين تنكشف الحقائق كما

تنحسر الظلال عن وجوه الخائفين، اندلعت شرارة قضية تُعدّ الأعقد والأكثر إثارة للجدل في العصر الحديث. وسط الدهشة والفزع، أُميط اللثام عن قائمة سوداء تضم أسماءً كانت، إلى وقت قريب، تُحاط بهالة القداسة أو المجد الزائف. وجوه بارزة صنعت التاريخ، أو تظاهرت بصنعه، وقفت على حافة الهاوية، متأرجحة بين دور الجلاد والشاهد، بين المُدان والمبرّأ بصفقة في الظلام.

القائمة، بما حملته من أسماءٍ سياسية وفنية لطالما ظنها العوام منزّهة عن الدنس، خلّفت زلزالًا من الشكوك والتأويلات. تساؤلاتٌ تفجّرت حول تورط هؤلاء في الأحداث المريعة التي شهدتها الجزيرة، بقعةٌ انطوت على أسرار لم يكن يُفترض لها أن ترى النور. ومن بين تلك الأسماء، برز اسمٌ يثير الرعب قبل الاحترام، اسمٌ يكفي ذكره لتسري قشعريرة في أبدان من يظنون أنفسهم أسياد اللعبة... زعيم الأوروبوروس.

ثم جاء اسمي... لا كمتهم، ولا كشاهد، بل كإجابة على سؤال لم يجرؤ أحد على طرحه، وكنقطة فاصلة بين ما يظنه البشر حقيقة، وما هو، في الواقع، مجرد سراب يصنعونه ليروضوا خوفهم.

توقف المحقق ألدرن للحظة وهو يلقي نظرة ملؤها الرثاء عبر غمامة الأسى، وهو موثق القيود فوق ذلك السرير الطبي المهترئ، وتابع حديثه بنبرة هادئة تخفي وراءها زوابع من اللا مبالاة، وكأنه على يقين بأن العواقب الوخيمة التي تنتظره لا تعدو كونها مجرد سراب، قائلًا:

- لقد رسمنا هذه الخطة بأدق تفاصيلها، منذ أول ضحية لك، فنحن نعلم الشرخ الذي بينك وبين زوجتك، والذي أدى إلى فرارها منك، وعن عيادتها في قلب (الربع الخالي) تحديدًا في قرية (ذعبلوتن) حيث كان المكان المثالي لتنفيذ مخططنا لأنها في أرض نائية وبعيدة عن الأنظار... ونحن من سهلنا تنقلاتك في أرجاء مدن الوطن من خلال تركنا لك الأنفاق السرية التابعة لوزارة الداخلية من دون حراسة وأيضًا كنا نعلم بأنك تطعم بقايا أجساد ضحاياك لحيواناتك المهجنة ومن أجل ذلك كنت أماطل في البحث عن جثث ضحاياك... ولكن أتعلم؟... رغم كل ذلك... لا يعفيك أنك عالم بيدوفيلي و.... غبي.

سمع ذلك وداخل عينيه تلألأت شرارات الغضب، وعلى محياه ارتسمت خطوط الذهول، كأنما الحقيقة المرة التي سمعها للتو قد أشعلت في قلبه نيراناً لا يمكن إخمادها.

فوقف الدكتور يامن هناك في إحدى الزوايا، متجمداً في صمته، وكأن الزمن قد توقف لحظة إدراكه لواقع لم يكن ليتخيله يوماً، فقال بكل تردد:

- لا... هذا غير صحيح، أنت تكذب، أليس كذلك؟! كيف لهذا أن يحدث؟!

- أيها الأحمق... لقد كنت مجرد بيدق في أيدينا تمامًا كقطعة شطرنج، وحتى الأستاذة حسناء شقيقة زوجتك وحكيم القرية... كانا جزءًا من بيادق

هذه اللعبة، أدرك تمام الإدراك أن عقلك المحدود قد لا يستوعب كل ذلك، ولكنها الحقيقة الساطعة كالشمس، سواء قبلتها بروح طائعة أو رفضتها بعناد جامح.

وبينما كان المحقق ألدرن ينهي نطق كلمته الأخيرة إذ اقترب منه الدكتور يامن وبخفة سحب ذلك الساطور ذا النصل المنحني وهو يقول بغضب يتطاير من عينيه:

- لكن لم يكن في الحسبان أن... الأيدي المرتعشة تكتب نهايات الأقدار المجهولة.

لم يكد يسدل ستار الصمت على آخر حروفه المبعثرة، حتى ارتفعت ذراعاه الهزيلتان كهمسة واهنة تتشابك مع اتساع الفضاء، وانغرست بين أنامله المرتعشة شفرة ذلك الساطور ذي النصل المنحني فوق عنق المحقق ألدرن، وما أن اخترق النصل جلده حتى تفجرت ينابيع الدم القاني فوق الأرضية الصامتة وتدحرج رأسه أرضًا، فتسلل الدكتور يامن إليه بخطواتٍ وئيدة، وانخفض بجسده أرضاً حتى كادت أنفاسه تتشابك مع ظلال وجه المحقق ألدرن، وهمس بصوتٍ مبحوح، وقد تراقصت على شفتيه ابتسامةٌ ماكرة، تنمّ عن نشوة عارمة قائلًا:

- كش... ملك.

انطلقت صرخة الخالة نزرية، في الأرجاء محملة بأثقال الرعب والأسى،

تخترق الأرواح كنحيب الليل الحزين من هول المنظر:

- ألدرن... كلا!!

ومع همس أصداء صوتها المبحوح وشهقات بكائها، اخترقت الأرجاء ضحكات الدكتور يامن الماكرة، وهو يتأمل بنظراته الثاقبة رأس المحقق ألدرن المطأطئ، وإذ ببريق الغلبة يتلألأ في مقلتيه، كنجوم تتساقط من سماء مظلمة...

***

في حي (الصفا) الأثيل بمدينة (جدة)... يختبئ منزل قديم مغلف بالأصالة.

ويتشبث اللبلاب بجدرانه الصلدة، وتتهادى الأفنان فوق شرفاته المنحنية، مزينة إياه بسحر الجمال، والأبواب الأرومة محفورة بزخارف إسلامية تروي حكايات من عهد الإسلام.

تهتز القناديل الفولاذية مع كل هبة ريح، وكأنها تهيم على وقع أصداء الدهر.

البلاط المنقوش ينقل في ثناياه أصداء الأسلاف، والسواري البازلتية الشامخة تشهد على استبسال المنزل في وجه الأعوام.

في صميم هذا المنزل، وعلى كنبة مشغولة من الأخشاب السوداء

351 /332

ومُسدلة بأثواب مزركشة، انتفض المحقق ألدرن مذعورًا من نومه، وعيناه ترتجفان رعبًا من ذاك المنظر الذي اختزنه في كابوسه، وكان العرق ينهمر على محياه بوفرة وكأن جرة من الماء قد انقلبت عليه، فأزاح اللحاف جانبًا ليقوم، فإذا به يلمح امرأة في عقدها الرابع... سمرتها تعكس أشعة الشمس اللافحة، وعيناها البنيتان تبرقان باليقظة والحيطة، وشعرها الأسود الطويل ينسدل على منكبيها بفخامة، ساترًا بعضَ محياها، ترتدي ثيابًا فضفاضة، تناسب قوامها الممتلئ، وتمنحها هيئةً مبهمة، فقالت له بتردد:

- هل أنت بخير يا بني؟!

بلا تردد، وبقوة تفوق قوة الخوف الذي يعتصره ارتمى المحقق ألدرن في أحضانها وذراعاه تحيطان بها كحصن منيع، وهو يلتمس السكينة في دفء عناقها وصوت أنفاسه المتلاحقة يختلط بالصمت المحيط، وكأن كل نفس يطرد كل فكرة راودته من أفكار الكابوس الذي أيقظه فقال بصوت أجش:

- خالتي نزرية!!... أنتِ بخير، الحمد لله.

- هل راودك كابوس آخر؟!

تلعثم المحقق ألدرن قائلًا، وفي اللحظة ذاتها، بدأت ذراعه اليمنى تتوهج بلون أحمر قانٍ، مكسوَّةً برمز أفعى تلتهم ذيلها، مكونةً الرقم ثمانية باللغة الإنجليزية إذ لم يلحظ ذلك بسبب ملابسه والكُم الطويل الذي يغطي معصمه:

- كابوس مروع... وجدت نفسيـ..

قاطعته خالته متدخلة بلهجة مدينة جدة الدارجة هناك بكل حدة وبعصبية بالغة:

- كم مرة قلت لك يا زفت الطين لا تقرا دا الكتاب؟!

رمقها المحقق ألدرن بنظرات حانية ومودة قائلًا:

جميع الحقوق محفوظة لقناة رَقش

- خالتي، قصة هذه الرواية رائعة جدًّا، بعنوان «بيدوفيليا».

ثم أردف وهو يلوح بيديه في الهواء قائلًا:

- مؤلف هذه الرواية يشرح لنا ما هو البيدوفيليا من خلال سرد حكاية تشتمل على معلومات هذا الاضطراب، فبهذه الطريقة تصل المعلومة بيسر للقارئ، ولكن العجيب أنني أغفيت قليلًا فوق هذه الأريكة فوجدت نفسي داخل هذه القصة...

قاطعته مرة أخرى قائلة:

- لقد حذرتك من قراءة هذه الرواية، فهي لا تلائم فكرك، وفوق ذلك أنت لم تتعافَ تمامًا من الانفصام وهذه عواقبه... أضغاثُ أحلام.

- أدرك ذلك تمامًا، ولكني بتُّ أشفق على مؤلف هذه الرواية من بعد الكابوس الذي راودني، فهناك من سيتهمه بالبيدوفيليا لا محالة.

ألقت نزرية نظرة نحوه وهي تقول بكل جد:

- إذًا عليه أن يستمع إلى هذه الآية وأن يتبعها بدقة:

قال تعالى:

﴿... وَدَعْ أَذاهُم وَتَوَكَّل عَلَى اللهِ وَكَفى بِاللهِ وَكيلًا﴾[15]

وما أن نطقت بتلك الكلمات حتى انبثقت لوحة الأفق الأخاذة، وتهادت السماء متألقة كأنها رسمة فنية تتحول أصباغها برفق.

والشمس، كجمرة متقدة مهيبة، تغرب رويدًا رويدًا خلف الأفق، وتنسكب أضواؤها الذهبية على صفحة البحر البّراقة.

وطيور النورس بانسياب أجنحتها الناصعة، ترفرف عالياً في سماء مدينة جدة، تتمايل مع هبوب البحر الندي.

تبدو وكأنها تلقي التحية الأخيرة للشمس، في موكب وداع يخطف الألباب.

ويخبو النور شيئاً فشيئاً، مُعلناً بذلك زوال هذا الفصل، ولكن علينا أن ندرك أن المُعاناة سلسلة لن تنتهي أبدًا...

إلى المجهول...

إنني أعيش في عالمي الخاص، عالم مليء بالظلال والأصوات التي لا يسمعها أحد سواي.

ربما قد أعاني من الانفصام كما قالت لي الدكتورة عبير سابقًا، ولكن ذلك المرض الذي ينسج خيوطًا من الوهم حول عقلي، يجعلني أعيش في دوامة من الأحداث المتكررة والهلوسات المزعجة.

أشعر بأن حياتي عبارة عن سلسلة من الأحداث التي تتكرر، سلسلة من المعاناة. أرى نفسي أسير في الشوارع أنفسها، أتحدث مع الأشخاص أنفسهم، ولكن كل مرة تكون التفاصيل مختلفة قليلًا وأسماء الشخصيات متغيرة.

ربما يكون لون السماء مختلفًا، أو تكون الكلمات التي أسمعها تحمل معاني جديدة وهذا التكرار المزعج يجعلني أشعر وكأنني محاصر في حلقة زمنية لا نهاية لها.

أما الهلوسات، فتأتيني على هيئة أصوات وهمسات، وأحيانًا صور مرعبة تظهر أمام عيني حيث أسمع أصواتًا تناديني باسمي، تهمس لي بأسرار لا يعرفها أحد، أو تأمرني بفعل أشياء لم أكن أرغب في فعلها، هذه الأصوات تملأ رأسي، تجعلني أشعر بالارتباك والخوف، وتدفعني إلى الشك في نفسي وفي كل من حولي.

حيث بدأت أفقد الثقة في نفسي وفي الآخرين، أشعر بالعزلة والوحدة، وكأن العالم بأسره قد تخلى عني.

أعاني من القلق والاكتئاب، وتهاجمني نوبات الهلع بين الحين والآخر، تجعلني أشعر وكأن قلبي سينفجر من شدة الخوف.

في النهاية، أعيش في عالمين متوازيين، عالم الواقع وعالم الوهم، أحاول جاهدًا أن أميز بينهما بالرغم من نجاح خطة العلاج التي قامت الدكتورة عبير برسمها لي إلا أن الحدود تتلاشى أمام عيني، تاركة إياي في حالة من الضياع والتشتت.

إن الانفصام يأخذ مني كل يوم جزءًا من ذاتي، يجعلني أغرق أكثر في بحر من الظلال والأصوات التي لا يسمعها أحد سواي وكأنها سلسلة من المعاناة حيث إنني أحاول أن أدونها بين أوراقٍ بالكاد ستحتويها.

«المريض 888» .

في أعماق كل شتاء قارس، تخفق أرواح ربيعٍ مُزهر، وخلف ظلام كل ليلٍ مُدلهم، يترقب الفجرُ لحظة البزوغ، ومن رحم كل حكاية تولد قصصٌ من المُعاناة... لا تنتهي.

«يـا مـن تسكنيـن الفـؤاد ولا تدريـن

حـبكِ فـي قلبي يـزيـد ولا يلـيـن

أراكِ فــي الأحــلام زهـرةً تتفتحيـن

وفي اليقظة... أنتِ السراب الحزين

أحبكِ حـبًّا لــو تعلميـن عظيمــه

لكنتِ بيــن النـاس عنـي تحكيــن»

مسعود حكيم

ملفات كثيرة في طيّ الكتمان..

هل سيأتي ذلك اليوم وتبوح بالأسرار؟!

تتلاشى المسارات...

وتبقى المروج ممتدة، شاهدة على مُعاناة لم تُروَ بعد.

تخفت الحروف...

لكن الأيام تحمل في طياتها فصولًا لم تُكتب نهايتها.

إلى القراء...

عزيزي القارئ والقارئة ببلوغك إلى هذه النقطة، يعني أنك خضت غمار هذه الرواية بوعي تام، متجاهلًا كل تحذيراتي التي أطلقتها لك في مستهل الرحلة.

وها أنا ذا، أبرئ ذمتي من تداخل خيوط الواقع بنسيج الخيال في ذهنك، وأجدد لك التأكيد بأن ما شهدته من أحداث داخل ثنايا هذه الرواية ليس حقيقيًا.

وأن هذه الرواية الشائكة بطبيعتها، ليست إلا «رواية توعوية»، تسعى للكشف عن اضطراب «البيدوفيليا»، وتقصي دلائله وأعراضه.

والأماكن التي ذُكرت في هذه الرواية لا تعكس بتاتًا الواقع المُطمئن الذي يعمّها، بل هي، في حقيقة الأمر، تزهو بالأمن والأمان، متفوقةً على كثير من البلدان في هذا المضمار.

وفي كل بُعدٍ من أبعاد الوجود، حيث تنمو الأرواح اليافعة في مسعًى مستمر نحو النور والازدهار، تتوارى في زوايا الظلام أسرارٌ ثقيلة تُرهق نقاء الطفولة.

هناك... حيث تتحرك الخطيئة بصمتٍ مخيف، ينخر التحرش بالطفولة عُمق البراءة، ويمزق الأمان الذي كان يومًا حِصنًا للقلب الطاهر.

إن السكوت عن هذا الألم ليس ملاذًا، بل هو سكيُن يغوص عميقًا في

الجرح، يُطيل معاناة الروح ويمنحها ظلّاً أبديًّا من الألم.

إلى كل من عانى أو أحس بشبح هذا الظلم يقترب منه، لا تتوارَ خلف حجاب الصمت، ولا تَهبْ أن تصرخ بألمك وتطلب العون من والديك أولًا ثم ممن وُجدوا ليعيدوا الطمأنينة إلى النفوس البريئة.

إن اللجوء إلى مراكز الحماية المختصة مثل مراكز حماية الطفل أو الشرطة هو الخطوة الأولى في رحلة الخلاص من هذا الظلم المدفون، واستعادة السكينة التي سُلبت.

مسعود حكيم

جميع الحقوق محفوظة لقناة رَقش

رسالة...

قال النبي ﷺ عن أبي هُريرة رضي الله عنه:

﴿مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِله إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ﴾[16]

لذلك عزيزي القارئ والقارئة سيتم التبرع بأرباح هذه الرواية للجمعيات المتخصصة لمحاربة التحرش الجنسي وحماية الطفل.

فلنكن لهم النجمة الساطعة في سماء حياتهم المظلمة، فلنمد أيدينا للوحيدين والمكسورين، ولنكن سببًا في تغيير حياتهم.

مسعود حكيم

Notes

[←1]

المحقق كونان هو عبارة عن سلسلة مانغا يابانية مشهورة من تأليف «غوشو أوياما» بدأت المانغا في عام 1994 و نسبة لدهائه يلقبون المحقق الدرن بذلك اللقب.

[←2]

أنتاركتيكا: هي قارة قطبية جنوبية، وهي القارة الخامسة من حيث الحجم بين قارات العالم.

تقع في أقصى جنوب الكرة الأرضية وتعتبر القارة الأبرد والأكثر رياحًا وجفافًا حيث معظم مساحتها مغطاة بالجليد.

[←3]

المشربيات: هي الجزء البارز من «الروشن» أو «الروزن» وهي عبارة عن «نوافذ خشبية بارزة» اشتهرت به البيوت الحجازية قديمًا، وتستخدم المشربية لتبريد المكان، سميت بذلك نسبة لجرار الماء الصغيرة «الشربة» التي كانت توضع في ذلك الجزء إما لتبريد الماء أو لتبريد المكان بفعل التبخر.

[←4]

البيدق في لعبة الشطرنج هو اسم القطعة التي تمثل الجنود.

[←5]

المنطقة الحوضية في جسم الإنسان: هي جزء من الهيكل العظمي يقع في أسفل الجذع بين العمود الفقري والساقين ويتكون الحوض من عظام تشكِّل حلقة مفرغة تقع في المنطقة السفلى من جذع الإنسان، ويشكِّل حلقة وصل بين الجذع والساقين حيث تحتوي المنطقة على: الأمعاء والمثانة والأعضاء التناسلية الأخرى.

[←6]

أسامة: هو اسم علم مذكر ذو أصل عربي، ويحمل في طياته معاني القوة والشجاعة والبسالة. ومن الناحية النفسية، يُعتقد أن الاسم يُمكن أن يؤثر على شخصية حامله بشكل إيجابي، حيث يُضفي صفات عديدة قوية.

[←7]

كلب البيتبول هو نوع من الكلاب التي تم تهجينها من عدة أنواع للحصول على كلب يتميز بالقوة الهجومية والشراسة. يُعتبر كلب البيتبول من أكثر الكلاب شراسة وعدوانية.

[←8]

رقعة الشطرنج: هي المساحة التي تُلعب عليها قِطع اللعبة.

[←9]

أميقوس: هي كلمة إسبانية تعني «أصدقاء» بالعربية.

والمفرد منها هو «أميقو» والذي يعني «صديق».

[←10]

الرُّخ المعروف بـ «القلعة»: هو إحدى قِطع لعبة الشطرنج حيث تتحرك بشكل أفقي أو

عمودي على الرقعة.

وهنا يقصد المحقق ألدرن استخدامه لهذه الاستراتيجية إذ تتمثل هذه الاستراتيجية في توسيع نطاق الرخ على الرقعة للسيطرة على المزيد من المساحة وتقييد حركة قطع الخصم.

[←11]

اختبار القدرات: هو اختبار موحد يُجرى لطلاب المرحلة الثانوية في العامين الأخيرين من الدراسة حيث يهدف هذا الاختبار إلى قياس القدرات التحليلية والاستدلالية للطلاب، ويساعد المؤسسات التعليمية بعد الثانوية (مثل الجامعات والكليات) على اختيار الطلاب الأكثر قدرة على متابعة واستيفاء متطلبات الدراسة في تلك المؤسسات.

[←12]

اختبار التحصيلي: هو مقياس موحد لجميع خريجي المرحلة الثانوية، ويهدف إلى قياس مستوى التحصيل الدراسي للطلاب في عدد من المواد الدراسية.

[←13]

المعصوب هو طبق شعبي مشهور في الحجاز، يتكون أساساً من الموز والفطير المفروم، مع إضافات مثل العسل، القشطة، والسمن.

[←14]

الخانة الملكية في الرقعة تشير إلى المكان الذي توجد فيه قِطعة «الملك» على لوح الشطرنج.

[←15]

2575565132

سورة الأحزاب: آية [48] .

[←16]

رواه مسلم.